بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م٢٨ع٣، ٢٤٨ صفحة (٢٠٢٠م)
ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩
رقم الإيداع : ٠٢٩٤ / ١٤

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز

الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ٢٨ العدد ٣
٢٠٢٠م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
ص ب: ٨٠٢٠٠ - جدة: ٢١٥٨٩
المملكة العربية السعودية
http://spc.kau.edu.sa

■هيئة التحرير■

أ.د. أحمد بن محمد صالح عزب aazab@kau.edu.sa	رئيسًا
أ.د. عبدالرحمن بن رجا الله السلمي aralsulami@kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. محمد بن صالح ناحي الغامدي Msalghamdil@kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. آمال بنت يحيى الشيخ Ayalshaikh@kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. سامية بنت عبدالله بخاري Sbukare @kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. زكريا بن أحمد الشربيني zalsherpeny @kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. نهى بنت سليمان الشرفآ Nalshurafa@kau.edu.sa	عضوًا
د. زيني بن طلال الحازمي Zalhazmi@ kau.edu.sa	عضوًا
د. سليمان مصطفى آيدان slaydinn@hotmail.com	عضوًا
د. عبدالرحمن بن عبيد القرني aoalqarni@ kau.edu.sa	عضوًا
أ.د. عائض بن سعد الشهراني asalshahrani@ kau.edu.sa	عضوًا

مطابع جامعة الملك عبدالعزيز

المحتويات

القسم العربي

الصفحة

- «الاعتداء على الممتلكات العامة صوره وأحكامه» «دراسة فقهية مقارنة»
  د. نوال بنت سعيد يحيى آل روزة ١
- المفاهيم الحديثة في العقوبات البديلة عن الأحكام التعزيرية
  عنود محمد عبد المحسن الخضيري..... ٣١
- الالتفات في ضوء اختلاف القراءات القرآنية ودلالاته التفسيرية (دراسة وصفية)
  د. فهد بن عبد المنعم صقير السلمي..... ٦٣
- موقف الإمام ابن حزم الأندلسي من شبهة تحريف القرآن الكريم عند الشيعة
  فهد بن محمد بن عبدالرحمن القرشي..... ٩٣
- العتبات النصية في المجموعة القصصية «وغداً يأتي» للقاصة شريفة الشملان
  د. فواز بن عبدالعزيز اللعبون..... ١١٣
- الموازنةُ بين الطائفيَّين دراسة نقدية لكتابَي (شخصية/ وأبعاد (الطائف الشعرية) للقرشي والثبيتي
  د. أحمد بن عيسى الهلالي..... ١٣٩
- عبدالرزاق بن سعود المانع (١٤٣٨.١٣٥٦هـ/٢٠١٦.١٩٣٧م) حياته وأدبه
  عبدالرزاق بن سعود المانع و عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري..... ١٧١
- الشهادة الأدبية وبناء صورة الذات الساردات السعوديات نموذجا
  د. عبد الله بن حمود الفوزان..... ١٩٣
- التنظيم الانفعالي وعلاقته بدافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى
  د. عبير محمد الصبان وأ. سماح عمر السلمي وأ. هبه عبد الحي الأنصاري..... ٢١٧

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ١- ٣٠ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-3.1

«الاعتداء على الممتلكات العامة صوره وأحكامه»
«دراسة فقهية مقارنة»

د. نوال بنت سعيد يحيى آل روزة
أستاذ الفقه وأصوله المساعد بقسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب

مستخلص. فقد تم تقسيم البحث الموسوم بـ «الاعتداء على الممتلكات العامة، صوره، وأحكامه» «دراسة فقهية مقارنة». إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالفهارس.
أما المقدمة فاشتملت على أهمية البحث، وأسباب اختياره، والهدف منه، ومنهجه، وخطته.
وأما المبحث الأول ففي: تعريف الاعتداء، والممتلكات العامة لغة، واصطلاحاً، وتبين أن معناه هو تجاوز الحد، والحق، والقدر الذي ينبغي له الاقتصار عليه في أعيان، ومنافع الممتلكات العامة التي هي كل المؤسسات بأنواعها التي تقع تحت مظلة الملكية العامة أي ملكية المجتمع ككل لها.
وقد تناول المبحث الثاني: صور الاعتداء على الممتلكات العامة، وتبين بأن الإتلاف، والسرقة، والاستيلاء، والغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة أمور محرمة شرعاً توجب الإثم، والعقوبة، والضمان.
وأما المبحث الثالث: فقد تناولت فيه أسباب الاعتداء على الممتلكات العامة التي من أهمها ضعف الوازع الديني، واللامبالاة وعدم الاهتمام، والجهل بحرمة التعدي على الممتلكات العامة، وتفريغ الغضب، والمشاعر السلبية تجاه المؤسسات العامة، وأن من أهم الوسائل تقوية الوازع الديني، والتنشئة الأسرية السلمية للأبناء، وزرع القيم والمفاهيم الإسلامية الصحيحة في نفوس الناشئة، وتوعية المجتمع بأهمية المحافظة على الممتلكات العامة، ومراقبة الموظفين والعاملين في الممتلكات العامة، ومحاسبتهم، وفتح المجال أمام الشباب من المراهقين، والبالغين لممارسة هواياتهم، واستثمار طاقاتهم في المفيد بفتح أندية راقيه تحتويهم.

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومِن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إلـه إلا الله وحْـدَه لا شـريك لـه، وأشـهد أنَّ محمـدًا عبده ورسوله وبعد....

فأن من أهم المعايير التي يقاس بها مدى الوعي الحضاري لمجتمع ما، هي طريقة حفاظه على

الممتلكات العامة، ورفض أي فعل أو عمل عبثي ضدها، والانتفاع بها حق لجميع الناس على اختلاف شرائحهم ومستوياتهم الاجتماعية، ووجودها في الدولة أمر ضروري ؛من أجل تيسير حياة الناس، وتقديم الخدمات المختلفة لهم إلى جانب الترفيه عن الناس، ولا شك أن الاعتداء عليها إهدار للمال العام، واعتداء على حقوق المجتمع كله، وحمايتها مسؤولية الجميع، وفي الآونة الأخيرة كثرت صور الاعتداء على الممتلكات العامة من إتلاف، وسرقة، واستيلاء، وغير ذلك؛ ولذا كان توضيح خطورة هذه الصور، وحكمها، وما يترتب عليها من أحكام، وأثر ذلك كله على استقرار المجتمع، وظهوره بمظهر حضاري جدير بالدراسة والبحث.

أهداف البحث

يتمثل الهدف من بحث هذا الموضوع في:

١- إبراز الأحكام الفقهية المتعلقة بالاعتداء على الممتلكات العامة، ودراستها دراسة فقهية مقارنة.

٢- المساهمة في إبراز أهمية المحافظة على الممتلكات العامة ؛ وذلك بتوضيح خطورة الاعتداء عليها، وأن المرء محاسب عليها ديانة، وقضاء.

٣- المساهمة في نشر الوعي بين أفراد المجتمع ؛ بأن المحافظة على المال العام لا يقل أهمية عن الحفاظ على المال الخاص إن لم يزد عليه.

منهج البحث

تقتضي الدراسة اتِّباع المنهج الاستقرائي التحليلي الموضوعي ؛ وذلك من خلال تتبع أقوال الفقهاء في المصادر الأصيلة، للوقوف على أحكام الاعتداء على الممتلكات العامة، واستنباطها من الأدلة الشرعية، للوصول إلى ما يرجحه الدليل.

أما عن توثيق المادة العلمية في البحث، فسيكون – إن شاء الله تعالى– وفق الآتي:

– اقتصرت في هذا البحث على ما ذهب إليه الفقهاء الأربعة، ولا أستعين بمذاهب أخرى إلا عند الحاجة .

– ذكرت المسألة المراد بحثها في عنوان بارز.

– ذكرت بعد ذلك ما اتفق عليه الفقهاء من أجزاء هذه المسألة، ودليل تلك الاتفاقية.

– ذكرت موطن الخلاف في المسألة وآراء العلماء فيه، وأبدأ بذكر رأي الجمهور، إن كان لهم رأي مستقل، وإلا ذكرت المذاهب مرتبة ترتيبًا زمنيًا فأبدأ بالحنفية، فالمالكية فالشافعية وأخيرًا الحنابلة.

– ذكرت أولاً الآراء مجملة ثم قمت بعرض أهم أدلة كل رأي، وأورد ما يقتضي البحث إيراده من مناقشات عقب كل دليل والإجابة عنه إن وُجد، ثم أختار الرأي الذي يدعمه الدليل، فإن تساوت في نظري الأدلة نظرت إلى القواعد والمصالح لتبين لي الرأي المختار.

– اعتمدت في جمع المادة العلمية على الكتب المعتمدة في كل مذهب، وألجأ إلى الكتب الحديثة عند الاحتياج إلى ذلك.

– عزوت الآيات إلى سورها من كتاب الله عز وجل مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

– خرجت الأحاديث من الكتب الستة وذلك بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك. وإن كان في غير الصحيحين ذكرت من أخرجه من الكتب الستة، وإن لم يكن في الكتب الستة خرجته من بقية الكتب التسعة، فإن لم يكن في الكتب التسعة خرجته من كتب متون الحديث الأخرى .أما الحكم على الحديث فنقلت أقوال العلماء فيه باختصار.

– خرجت الآثار الواردة من مظانها، ونقلت أقوال العلماء فيها باختصار، فإن لم أجد للعلماء قولاً فيها اجتهدت في الحكم عليها .

– فسرت الغريب والمصطلحات التي تحتاج إلى تفسير ؛ لتعم الفائدة وتتضح الرؤية.

– لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث استغناء بسهولة الحصول على التراجم في الوقت الحاضر، ورغبة مني في عدم إثقال الحاشية.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث مذيلة بخاتمة وثبت بالمصادر والفهارس المتنوعة: أما المقدمة فتشتمل على أهمية البحث وأسباب اختياره، والهدف من البحث، ومنهج وخطة البحث.

وأما المبحث الأول ففي: معنى الاعتداء، والممتلكات العامة .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الاعتداء لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: معنى الممتلكات العامة.

وأما المبحث الثاني ففي صور الاعتداء على الممتلكات العامة وأحكامها وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إتلاف الممتلكات العامة، صوره، وحكمه، وما يترتب عليه.

المطلب الثاني: السرقة من الممتلكات العامة، صورها، وحكمها، وما يترتب عليها.

المطلب الثالث: الاستيلاء على الممتلكات العامة، صوره، وحكمه، وما يترتب عليه.

المطلب الرابع: الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة، صورهما، وحكمهما، وما يترتب عليهما.

المبحث الثالث ففي: وسائل المحافظة على الممتلكات العامة .

وأما الخاتمة: ففيها أهم نتائج البحث.

وأما الفهارس فهي فهرس الموضوعات. فهرس المصادر والمراجع.

وبعد فإني لا أدعي الكمال فيما كتبت، ولا العصمة فيما بحثت، ولا الاستيعاب لما تناولت، وحسبي أن بذلت جهدي ووقتي وفكري للوصول إلى الحق بالدليل الشرعي، فإن كان الحق في غير ما وصلت إليه فإني راجعة عنه متى اتضح لي الحق في غيره.

المبحث الأول: معنى الاعتداء، والممتلكات العامة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الاعتداء لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: معنى الممتلكات العامة.

المطلب الأول: معنى الاعتداء لغة واصطلاحاً

أولاً: المعنى اللغوي للاعتداء:

الاعتداء في اللغة يدل حول معنين: [1]

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٥٥٤/١) ؛ لسان العرب مادة (عدا) (٣٣/١٥) ؛ المعجم الوسيط مادة (عدا) (٥٨٩/٢) ؛ تاج العروس مادة (عدو) (٥/٣٩).

أولاً: الظلم والجور يقال عدا عليه عَدْواً عَدَاءً وعُدُوًّا، وعُدْواناً، وعِدواناً وعُدْوى وتعَدى واعتدى كله ظلمه.

وعدا بنى فلان على بنى فلان أي ظلموهم.

ثانياً: مجاوزة الحق والقدر الذي يجب أن تقصير عليه يقال: تعديت الحق واعتديته وعدوته إذا جاوزته والعرب تقول: اعتدى فلان عن الحق واعتدى فوق الحق أي جاز عن الحق إلى الظلم.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للاعتداء:

الاعتداء في الاصطلاح[٢] يوافق المعنى اللغوي فهو يأتي ليدل على تجاوز الحد والقدر والحق الذي ينبغي له الاقتصار عليه، وفعل المرء ما ليس له فعله، أو ترك ما يجب عليه فعله في أعيان ومنافع الممتلكات العامة.

المطلب الثاني: معنى الممتلكات العامة.

أولاً: معنى الملك في اللغة[٣]:

الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء.

ملك الإنسان الشيء – يملكه ملكا والاسم الملك لأن يده فيه قوية صحيحه فالملك ما مُلك من مال فالمَلك والمُلك و المِلْك احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به.

ثانياً: في الاصطلاح[٤]:

المِلك هو القدرة الشرعية على التصرف في الرقبة، أو هو الاختصاص الحاجز، فالمِلك يمكن الإنسان شرعاً بنفسه أو بنيابة عنه من الانتفاع بالعين أو المنفعة ومن أخذ العوض عن العين أو المنفعة.

وأما الممتلكات العامة فالمقصود بها: الأشياء التي لا ينفرد بملكيتها شخص أو بعض أشخاص بل هي ملك للجميع كالمؤسسات بأنواعها والتي تقع تحت مظلة الملكية العامة أي ملكية المجتمع ككل وهي تشمل: الجسور، والطرق العامة، والمساجد، والجامعات، والمدارس الحكومية والهيئات، والمرافق العامة: مثل شبكات الكهرباء، والهاتف، والمياه، والصرف الصحي، والمراكز الخدمية مثل: المستشفيات، أو أقسام الشرطة، أو الإسعاف، والحدائق العامة، والمتنزهات، ووسائل المواصلات العامة، وغير ذلك.

والانتفاع بهذه الممتلكات، والقيام بالوظائف العامة حق للمجتمع كلها وفق الضوابط الشرعية، وليست خاصة بأحد ومن يتولى أمرها لا يعد مالكا لها، وليس له حق التصرف المطلق فيها فإنما هو أجير، أو عامل، أو حافظ عليها يديرها وفق القواعد الشرعية، وهو مايسمى في مصطلح الأنظمة بالشخصية المعنوية .

وهذا ما بينه الرسول –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده إلى أبي هريرة –

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٧٩/٢٨) ؛ الاحتساب في الاعتداء على المال العام لمحمود العزاوي ص(٤٣١) من مجلة العلوم الشرعية العدد (٤١).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٣٥١/٥) مادة ملك ؛ لسان العرب مادة ملك (٤٩٢/١٠) ؛ القاموس المحيط مادة ملك (٩٥٤/١).

(٤) ينظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٢٩٩ ؛ البحر الرائق (٢٧٨/٥) ؛ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١٠٦/٤) ؛ الفروق للقرافي (٢٠٩/٣) ؛ نهاية المطلب في دراية المذهب (٣٢٠/٨).

رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ:«ما أعطيكم ولا أمنعكم إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت»[٥].

وعمل به الخلفاء الراشدون –رضوان الله عليهم – فهذا عمر رضي الله عنه – يضع نفسه في التصرف في المال العام كولي اليتيم، وذلك في قوله الذي أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إني أنزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة اليتيم، إن استغنيت عنه استعففت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف»[٦].

المبحث الثاني: صور الاعتداء على الممتلكات العامة وأحكامها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إتلاف الممتلكات العامة، صوره، وحكمه، وما يترتب عليه.

المطلب الثاني: السرقة من الممتلكات العامة صورها، وحكمها، وما يترتب عليها.

المطلب الثالث: الاستيلاء على الممتلكات العامة، صوره، وحكمه، وما يترتب عليه.

المطلب الرابع: الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة، صورهما، وحكمهما، وما يترتب عليهما.

المطلب الأول: إتلاف الممتلكات العامة، صوره، وحكمه، وما يترتب عليه.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: معنى إتلاف الممتلكات العامة، وصوره.

الفرع الثاني: حكمه، وما يترتب عليه.

الفرع الأول: معنى إتلاف الممتلكات العامة، وصوره.

المسألة الأولى: معنى إتلاف الممتلكات العامة.

أولاً: معنى الإتلاف في اللغة: [٧]

التاء واللام والفاء «تَلَفَ» كلمة واحده معناها ذهاب الشيء، فالتلفُ هو الهلاك، والعطب في كل شيء.

ثانياً: معنى الإتلاف اصطلاحاً.

لفظة الإتلاف عامة تستعمل للأنفس، والأموال، فالمتلَف قد يكون نفس، وقد يكون مالاً ؛ ولكن الفقهاء –رحمهم الله تعالى– تعارفوا في الغالب على استعمال تعبير الإتلاف، وقصدوا به ما يقع على المال خاصة، أما ما يقع على النفس فيدخل تحت مسمى جناية.

والمتتبع لكتب الفقهاء نجد أنهم في الغالب لم يحدوا الإتلاف بتعريف خاص به، وإنما يذكرون المسائل التطبيقية المتعلقة بالمتلفات، وكيفية ضمانها. [٨]

فلا يخرج معنى الإتلاف عندهم عن الاستعمال اللغوي للفظ، فإتلاف المال عندهم هو: إخراجه من أن يكون منتفعاً به منفعة مطلوبة منه عادة سواء كان الإتلاف إتلاف للعين، أو المنفعة.

والمقصود هنا بإتلاف الممتلكات العامة: الفعل

---

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ (٨٥/٤) برقم (٣١١٧).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه كتاب السير باب ما قالوا في عدل الوالي وقسمه قليلاً كان أو كثيراً (٤٦٠/٦) برقم (٣٢٩١٤).
قال ابن حجر: إسناده صحيح.
ينظر: تغليق التعليق (٢٩٤/٥) .

(٧) ينظر: مقاييس اللغة مادة تلف (٣٥٣/١) ؛ لسان العرب مادة تلف (١٨/٩).

(٨) ينظر: بدائع الصنائع (١٦٤/٧).

الضـار بهـا الـذي يـؤدي إلـى هلاكهـا، أو إنقـاص منفعتها التي وضعت لها.

للإتلاف أنواع عدة[٩] أهمها ما يقع عليه وهو قسمان:

القسم الأول: ما يقع على عين المال سواء أدى ذلك الإتلاف إلى هلاكها كلياً، أو جزء منها، وسواء كان ذلك مباشرة، أو بالتسبب[١٠] .

وذلك كإشعال النار في الغابات، أو الحدائق العامة، والمنتزهات سواء كان بتعمد الإتلاف، أو لغرض الاستفادة منها في تجهيز أكل، أو إضاءة، أو تدفئه، ولكن تسبب في الإتلاف، وسواء أدى هذا إلى إتلافها كلياً، أو جزء منها.

القسم الثاني: ما يقع على المنفعة سواء أدى ذلك إلى تعطيل منفعتها بالكلية، أو جزء منها، وسواء كان ذلك مباشرة، أو بالتسبب.

وذلك كفصل التيار الكهربائي عن أعمدة الإنارة في الطرق العامة مثلاً سواء تعمد الإتلاف، أو بالتسبب كأن اصطدمت سيارته بخزان التيار الكهربائي، وسواء أدى ذلك إلى فصل التيار عن كل الأعمدة، أو جزء منها.

المسألة الثانية: صور الإتلاف في الممتلكات العامة .

إتلاف الممتلكات العامة له صور عدة وكثيرة في وقت الحاضر ومن أمثلة ذلك:

١- نسف المباني وتفجيرها، وإشعال الحرائق في الأشجار، والحدائق العامة.

٢- تكسير محتويات الممتلكات العامة، وتخريبها كالمقاعد في المدارس، والمستشفيات، والحدائق، والمنتزهات.

٣- تشويه المظهر الخارجي للممتلكات العامة بالكتابة على جدرانها.

٤- إهمال صيانة الممتلكات العامة من مباني، وأجهزة، ومرافق مما يؤدي إلى تلفها تدريجياً، أو ذهاب منفعتها.

٥- إتلاف عمداً ما يتم تسليمه للموظف العام للعمل عليه كمكينة، أو سيارة بغرض الحصول على إجازة أو راحة من عمله.

٦- عدم التنسيق بين الجهات المعنية بالطرق والكهرباء، وشبكات الصرف، أو المياه، والغاز في إنجاز أعمالهم، وذلك كأن تقوم شركة رصف الطرق برصف طريق ما ثم يأتي بعده بفترة شركة الكهرباء، أو الصرف، أو المياه، أو الغاز، وتقوم بتكسير الطريق لإنجاز أعمالها مما يؤدي إلى تشويه، وتخريب، وإرباك لحركة السيارات.

الفرع الثاني: حكم إتلاف الممتلكات العامة وما يترتب عليه.

المسألة الأولى: حكم إتلاف الممتلكات العامة.

إتلاف الممتلكات العامة أمر محظور شرعاً، وهو اعتداء على ما حرمه الله، وقد نهى الله عنه، وذم فاعله، وتوعده، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

---

(٩) للاستزادة ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١/ ٢٢٣) وما بعدها.

(١٠) المباشرة هو إلحاق الضرر من غير واسطة بمحل التلف، أما التسبب فهو ارتكاب فعل في محل يفضي إلى تلف غيره.
ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته (٦/٤٨٢٥).

(أ) قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾[١١].

(ب) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾[١٢].

(ج) قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[١٣].

وجه الدلالة من الآيات السابقة : في هذه الآيات نهي عن الإفساد والتخريب في الأرض ، والنهي يقتضي التحريم ،وإتلاف الممتلكات العامة من باب الإفساد والتخريب في الأرض فهو أمر محظور شرعاً.

(د) ما أخرجه ابن ماجه بسنده إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقضى أن: «لا ضرر ولا ضرار»[١٤].

وجه الدلالة : إتلاف الممتلكات العامة ضرر وإضرار بالمجتمع وهو أمر منهي عنه.

(هـ) ما أخرجه الشيخان بسنديهما إلى المغيرة بن شعبه أن الرسولﷺ :«كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[١٥]

وجه الدلالة: إتلاف الممتلكات العامة إضاعة للمال المنهي عنه شرعاً.

المسألة الثانية: ما يترتب على إتلاف الممتلكات العامة .

يترتب على إتلاف الممتلكات العامة أمور، وهي:

١- الإثم: لأن الإتلاف محرم فمن أتلف بقصد وتعمد فهو آثم[١٦] فتلزمه التوبة بشروطها.

٢- الضمان: فقد اتفق الفقهاء الأربعة[١٧] – رحمهم الله – على أن من أتلف مالاً محترماً فعليه الضمان، المثلي بالمثلي، والمتقوم بالقيمة، فإن تعذر المثلي فالقيمة، ولا يشترط في الضمان التكليف، والعلم، والقصد، فهو من خطاب الوضع فيستوي فيه العالم، والجاهل، الذاكر، والناسي، العامد والمخطئ، الصغير، والكبير، فعلى كل من أتلف مالاً الضمان بكل حال.

٣- العقوبة: إتلاف الممتلكات العامة عمداً، من الإفساد في الأرض الذي يستحق صاحبه التعزير، وقد يؤدي هذا الإتلاف إلى إزهاق الأنفس المعصومة ؛ ولذا فقد أفتى هيئة كبار العلماء في القرار رقم (١٤٨) وتاريخ (١٢/ ١/ ١٤٠٩هـ) بأن التعدي على الممتلكات العامة، وتخريبها، وتفجيرها ماهي إلا أمور تزعزع الأمن؛ ولذا فإن عقوبة مرتكبه القتل ؛ لأنه من

---

(١١) سورة البقرة، الآية (١١٤).
(١٢) سورة البقرة، الآية (٢٠٥).
(١٣) سورة الأعراف، الآية (٥٦).
(١٤) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (٧٨٤/٢) برقم (٢٣٤٠). وقال عنه الألباني رحمه الله: صحيح.
ينظر: إرواء الغليل (٤٠٨/٣) .
(١٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف مالا يعنيه (٩٥/٩) برقم (٧٢٩٢) ،كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب مالا يستحقه (١٣٤١/٣) برقم (٥٩٣).

(١٦) ينظر: الأم للشافعي (٢٠٠/٢) ؛ الشرح الممتع لابن عثيمين (١٩٨/١٠).
(١٧) ينظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (١٧٧/٦) ؛ البدائع (١٦٤/٧) وما بعدها ؛ مواهب الجليل (٢٧٨/٥) ؛ الشرح الكبير (٤٤٤/٥) ؛ القوانين الفقهية (٢١٨/١) ؛ مغني المحتاج (٣٣٩/٣) ؛ الحاوي الكبير (٩٤/٦) ؛ الفروع لابن مفلح وتصحيحه (٢٥٠/٧).

الإفساد في الأرض الذي يقتضي إهدار دم المفسد.

وهذا إذا كان في إتلاف الممتلكات العامة ما يزعزع الأمن، ويروع الآمنين، أما إذا كان من باب التخريب، والتشويه الذي لا يزعزع الأمن، ولا يؤدي إلى ترويع الآمنين كما في بعض صور الإتلاف – السابق ذكرها – فعقوبته تكون عقوبة تعزيرية، إما بالسجن، أو الجلد، إضافة إلى تغريمه مالا، حيث نص نظام حماية المرافق العامة الصادر بالمرسوم الملكي الكريم رقم ٦٢/٢ في ١٤٠٥/١٢/٢٠هـ أن من تعمد إتلاف أي من منشآت، وتمديدات المرافق العامة، أو تعمد قطعها، أو تعطيلها بالسجن مدة لا تزيد عن سنتين، وبغرامة لا تجاوز مائة ألف ريال، سواء كان الفاعل أصلياً أو شريكاً، وأن من يعبث بعدادات المياه، والكهرباء، أو أجهزة الهاتف العامة، أو تمديداتها بقصد تعطيل وظيفتها، أو الإخلال بها بغرامة لا تزيد عن ثلاثة آلاف ريال.

ولابد من التحدث هنا عن مسألتين مهمتين هما: حكم التعزير بالمال، والجمع بين العقوبة والضمان.

المسألة الأولى: حكم التعزير بالمال:

اختلف الفقهاء –رحمهم الله– في حكم التعزير بالمال على قولين:

القول الأول: ذهب إليه جمهور الفقهاء[١٨] ومنهم الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، إلى عدم جواز التعزير بالمال.

القول الثاني: ذهب إليه بعض من الحنفية[١٩]، وبعض المالكية[٢٠]، وهو قول الشافعي في القديم، وبعض الحنابلة[٢١] واختيار ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم إلى جواز التعزير بالمال[٢٢].

ولكل قول أدلته.

أدلة القول الأول:

استدل القائلون بعدم جواز التعزير بالمال بالكتاب، والسنة، والمعقول[٢٣]، أما الكتاب، والسنة فاستدلوا بعموم الآيات، والأحاديث التي تحرم مال الغير، ومن ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾[٢٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[٢٥].

(٢) ما أخرجه الشيخان في صحيحهما بسندهما إلى أبي بكرة أن رسول الله ﷺقال في خطبة الوداع: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ... »[٢٦].

---

(١) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (٦١/٤) ؛ البحر الرائق (٤٤/٥) ؛ فتح القدير (٣٤٥/٥) ؛ الشرح الكبير وحاشية الدسوقي (٣٥٥/٤) ؛ مواهب الجليل (٣٤٤/٤) ؛ الأم للشافعي (٢٦٥/٤) ؛ المجموع (٣٣٤/٥) ؛ المغني لابن قدامة (١٧٨/٩) ؛ كشاف القناع (١٢٤/٦).

(٣) أبو يوسف.

(٢٠) ابن فرحون.

(٢١) أبو بكر عبدالعزيز (غلام الخلال).

(٢٢) ينظر الدر المختار وحاشية ابن عابدين (٦١/٤) ؛ فتح القدير (٣٤٥/٥) ؛ تبصرة الحكام (٢٩٢/٢) وما بعدها؛ المجموع (٣٣٤/٥) ؛ الإنصاف (١٨٩/٣) ؛ الفتاوى الكبرى(٥٣٠/٥) ؛الطرق الحكمية ص(٢٢٤).

(٢٣) ينظر: نيل الأوطار للشوكاني(١٤٩/٤)؛ الدر المختار وحاشية ابن عابدين (٦١/٤) ؛ والمغني (٤٢٨/٢).

(٢٤) سورة البقرة آية (١٨٨).

(٢٥) سورة النساء (٢٩).

(٢٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :"رب مبلغ أوعى من سامع"(٢٤/١) برقم (٦٧)، والإمام مسلم في

(٣) ما أخرجه أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺقال: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»[٢٧]

ففي هذه الآيات والأحاديث تحريم لمال المسلم، فلا يحل لأحد الأخذ منه حتى لو على سبيل التأديب.

ويناقش هذا الاستدلال بأن هذه الأدلة عامة خصصت بأدلة تدل على جواز التعزير بالمال كما سيأتي.

وأما المعقول فمنه: أن التعزير بالمال يفتح الباب للحكام الظلمة بأخذ أموال الناس، فمن باب سد الذرائع يمنع التعزير بالمال، حتى لا يسلط الحكام على أموال الناس بحجة التأديب.

ويناقش هذا: أن هذا القول ينطبق على التعزير بالجلد، والحبس، والقتل أيضًا، فقد يغري الحكام الظلمة إلى التجاوز فيه، فلا يصلح الاستدلال بهذا.

أدلة القول الثاني[٢٨]: استدل القائلون بجواز التعزير بالمال بالسنة، والآثار، والمعقول.

أما السنة:

فقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– تدل على جواز التعزير بالمال ومنها:

(١) ما أخرجه أبو داود في سننه بسنده إلى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن الرسول ﷺقال:«في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون، ولا يفرق إبل عن حسابها، من أعطاها مؤتجرا فله أجرها، ومن منعها فإنا آخذوها، وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا عز وجل، لا يحل لآل محمد منها شيء»[٢٩].

وجه الدلالة من الحديث حيث بين الرسول ﷺأن مانع الزكاة يعاقب بأن تؤخذ منه زكاة ماله قهراً، ويعزر على ذلك بأخذ شطر ماله.

ونوقش هذا، بعده أمور تتعلق بسند الحديث ومتنه:

أ) سند الحديث: أن هذا الحديث ضعيف لوجود بهز بن حكيم فلا يثبت.

وأجيب عن هذا بأن بهز بن حكيم قد وثقه كثير من علماء الجرح والتعديل[٣٠].

ب) متن الحديث:

١- أن الراوي وهم في لفظة الحديث فإنما هو «فإنا آخذوها من شطر ماله» أي يجعل ماله شطرين، وتأخذ الزكاة من خير الشطرين.

٢- أن لفظة (شطر ماله) إنما هي بضم الشين وكسر الطاء، فهي فعل مبنى للمجهول، ومعناه جُعل ماله شطرين، وتأخذ الزكاة من أي الشطرين[٣١].

وأجيب عن هذا[٣٢] بأن هذا باطل لشدة منافرته وبُعده عن مفهوم الكلام لقولهﷺ :«فإنا أخذوها وشطر ماله».

وعلى سبيل التسليم بما ذُكر، فإن الأخذ من خير

صحيحه كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال(٣/١٣٠٦) برقم (١٦٧٩).

(٢٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٤/٣٩٩) برقم (٢٠٦٩٥) من حديث أبي حرة الرقاشي. وقال الألباني: صحيح. ينظر: إرواء الغليل (٥/٢٧٩).

(٢٨) ينظر: نيل الأوطار (٤/١٤٧) ومابعدها، المجموع (٥/٣٣٤) ؛ الطرق الحكمية (٢٢٥)، تبصرة الحكام (٢/٢٩٢).

(٢٩) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب الزكاة باب في الزكاة السائمة (٢/١٠١) برقم (١٥٧٥) ، كما أخرجه النسائي في سننه كتاب الزكاة ، باب عقوبة مانع الزكاة (٣/١١) برقم (٢٢٣٦). قال الألباني: إسناده حسن. ينظر: إرواء الغليل (٣/٢٦٤).

(٣٠) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/٤٣٠) ؛ تهذيب التهذيب (١/٤٩٨) ؛ خلاصة البدر المنير (١/٢٩٦) ؛ تلخيص الحبير (٢/٣٥٧).

(٣١) ينظر: نيل الأوطار (٤/١٤٨) ؛ المغني (٢/٤٢٨) ؛ شرح السنة للبغوي (٦/٨٠).

(٣٢) ينظر: نيل الأوطار (٤/١٤٩) ؛ تهذيب السنن لابن القيم (٢/١٩٤).

الشطرين فيه عقوبة بالمال ؛ لأن الأخذ من خير الشطرين عقوبة بأخذ زيادة على الواجب، إذا الواجب الوسط لا الخيار.

٣- إن هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تدل على جواز التعزير بالمال منسوخة، حيث كان هذا في بداية الأمر، ثم نسخ واختلفوا في ناسخه[٣٣]، فقالوا: نُسخ بحديث «ليس في المال حق سوى الزكاة»، وقيل: بآيات الربا حيث عاد الأمر إلى أن لا يؤخذ ممن أخذ شيئاً إلا مثل ما أخذ، وقيل: منسوخ بحديث تضمين ما أتلفت المواشي بالليل، وهو ما أخرجه أبو داود والنسائي بسنديهما إلى البراء بن عازب -رضى الله عنه- قال: «قضى رسول الله ﷺأن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها، وأن حفظ الماشية بالليل على أهلها، وأن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل»[٣٤].

وأجيب عن هذا[٣٥]بأن دعوى النسخ لا دليل عليها حيث إنما يصار إلى النسخ إذا عُلم التاريخ، وليس هنا علم به، كما أن النسخ يلجأ إليه إذا لم يمكن الجمع، والترجيح عند جمهور الفقهاء[٣٦]، وهنا ممكن فحديث ليس في المال حق سوى الزكاة ضعيف منكر، وآيات الربا في باب المعاوضات، والتعزير في باب العقوبات، وأما حديث تضمين أصحاب المواشي بالليل، فإن العقوبة تكون إذا كان الفاعل متعدياً، وأما ما كان من غير قصد، وتعدي فلا تكون العقوبة.

(٢) ما أخرجه النسائي بسنده إلى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن: رجلاً من مزينة أتي إلى النبي ﷺفقال يا رسول الله كيف ترى في حريسة الجبل[٣٧]؟ فقال: «هي ومثلها والنكال، وليس في شيء من الماشية قطع إلا فيما آواه المراح فبلغ ثمن المجن ففيه قطع اليد، ومالم يبلغ ثمن المجن، ففيه غرامة مثليه، وجلدات نكال» قال يا رسول الله كيف ترى في الثمر المعلق ؟ قال: «هو ومثله معه، والنكال وليس في شيء من الثمر المعلق قطع إلا فيما آواه الجرين[٣٨]، فما أخذ من الجرين فبلغ ثمن المجن، ففيه القطع، ومالم يبلغ ثمن المجن ففيه غرامة مثليه، وجلدات نكال». [٣٩]

ووجه الدلالة ظاهرة في لفظ (غرامة مثليه) في الموضعين فهذا دليل على جواز التعزير بالمال، حيث يأخذ في حريسة الجبل، والثمر المعلق الذي لم يبلغ ثمن المجن زيادة عليه تنكيلاً، وتأديباً.

وقد نوقش هذا بما نوقش به سابقه من دعوى النسخ،

(٣٣) ينظر: المغني (٤٢٨/٢) ؛ شرح معاني الآثار (١٤٦/٣) ؛ نيل الأوطار (١٤٧/٤).
(٣٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب أبواب الإجارة، باب المواشي تفسد زرع قوم (٢٩٨/٣) برقم (٣٥٧٠)، كما أخرجه الإمام النسائي في سننه كتاب العارية والوديعة، باب تضمين أهل الماشية ما أفسدت مواشيهم بالليل (٣٣٤/٥) برقم (٥٧٥٣). قال الألباني: صحيح.
ينظر: صحيح وضعيف أبي داود (٣٨٠/١).
(٣٥) تهذيب السنن (١٩٤/٢) ؛ نيل الأوطار (١٥٠/٤) وما بعدها.
(٣٦) منهج الحنفية عند تعارض الأدلة النسخ ثم الجمع.

(٣٧) حريسة الجبل: الحريسة تفسر تفسرين فبعضهم يجعلها لسرقة نفسها يقال حرست أحرس حرسا إذا سرق فيكون المعنى أنه ليس فيما يسرق من الماشية بالجبل قطع حتى يؤديها المراح والتفسير الآخر أن يكون الحريسة هي المحروسة فيقل ليس فيها يحرس في الجبل قطع لأنه ليس بموضع حرز وأن حُرس .
ينظر: غريب الحديث للقاسم ابن سلام (٩٨/٣-٩٩).
(٣٨) الجرين هو الموضع الذي يلقى فيه الثمر بعد الجداد قبل أن يوضع في الأوعية وينقل . ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٣٧٣/١).
(٣٩) أخرجه الإمام النسائي في سننه كتاب قطع السارق، باب الثمر يسرق بعد أن يؤويه الجرين (٨٥/٨) برقم (٤٩٥٩)، وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه كتاب الحدود، باب من سرق من الحرز (٨٦٥/٢) برقم (٢٥٩٦). قال الألباني: حسن.
ينظر: صحيح وضعيف النسائي (٣١/١١).

وأجيب عنه بما أجيب عن سابقه.

وأما الآثار فمنها:

ما أخرجه عبدالرزاق في مصنفه أن عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– «وجد في بيت رجل من ثقيف خمراً، وقد كان جلده في الخمر فحرق بيته، وقال ما اسمك قال رويشد قال بل أنت فويسق»[٤٠].

وكذلك روى عن علي –رضي الله عنه–[٣].

الرأي المختار:

المختار في هذه المسألة القول القائل بجواز التعزير بالمال ؛ لما ذكروه من أدلة قوية تدل على ذلك، ودعوى النسخ لم تثبت، وإعمال الأدلة أولى من إهمالها، يضاف إلى ذلك أن العمل بهذا الرأي استقرار للمجتمع وضبط لتصرفات الناس ،وبخاصة أن بعض الشباب عنده نوع من التهور والإفراط والتكاسل في المحافظة على الممتلكات العامة ، فالتعزير بالمال من أنجع الوسائل للتأديب والزجر.

المسألة الثانية: الجمع بين الحد والضمان:

اختلف الفقهاء في الجمع بين العقوبة والضمان على ثلاثة أقوال:

القول الأول:ذهب إليه الحنفية[٤]أنه لا يجمع بين حد، وضمان ؛وذلك لقوله تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾(المائدة؛٣٨)حيث دلت الآية على الحد وهو قطع اليد، أما الغرم فالشارع سكت عنه، فلا يجب مع الحد شيء، ولحديث « لا يغرم صاحب سرقة إذا أقيم عليه الحد »[٥].

ويناقش هذا: بأن عدم ذكر الضمان في الآية لا يدل على عدم وجوبه، والحديث ضعيف لا يصلح الاستدلال به.

القول الثاني: ذهب إليه المالكية[٦]أن الجاني لو كان موسراً عند إقامة الحد وجب عليه الحد، والضمان ؛ تغليظا له، وإن كان معسراً لم يطالب بالضمان، ويجب عليه الحد فقط.

ويناقش هذا: بأن الفقهاء لم يفرقوا في العقوبات بين موسر، ومعسر.

القول الثالث: ذهب إليه الشافعية[٤١] والحنابلة[٤٢] أن المال إذا تلف في يد الجاني فإنه يضمنه برد مثله إن كان مثلياً، وقيمته إن كان قيمياً، سواء أقيم عليه الحد، أم لا، وذلك لاختلاف سبب وجوب كل منهما فالضمان يجب رعاية لمصلحة المجني عليه، والحد يجب لحق الله تعالى، فلا يمنع أحدهما الآخر .وهذا هو الرأي المختار لما ذكروه ،يضاف إلى ذلك أن الهدف من إقامة الحدود استتباب الأمن واستقرار المجتمع فإذا كان السارق لا يضمن ما سرق فربما يجرئه ذلك ويجرئ الكثيرون على سرقة المال الوفير إذ ربما يفلتون من العقوبة ، ولو أقيمت عليهم العقوبة فإنهم يستمتعون بالمال الوفير بقية حياتهم.

---

(٤٠) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه باب بيع الخمر برقم(١٠٠٥١)(٧٦/٦). وإسناده صحيح .ينظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني(٤٩/١).

(٣) ينظر :الطرق الحكمية (ص٢٢٦).

(٤) ينظر: البدائع(٨٤/٧)؛ البحر الرائق(٦٨/٥).

(٥) أخرجه الإمام النسائي في سننه باب لا يغرم صاحب سرقة إذا أقيم عليه الحد برقم (٧٤٣٥) (٤٤/٧). و قال عنه الألباني : ضعيف. ينظر: صحيح وضعيف سنن النسائي(٥٦/١١).

(٦) ينظر: بداية المجتهد(٢٣٥/٤)؛ التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب(٣١٢/٨).

(٤١) الحاوي (١٦٦/٧) وما بعدها ؛ المجموع شرح المهذب (١٠٢/٢) وما بعدها.

(٤٢) المغني (١٣٠/٩).

المطلب الثاني: السرقة من الممتلكات العامة صورها، وحكمها، وما يترتب عليها.

والحديث في هذا المطلب سيكون بإذن الله على فرعين:

الفرع الأول: معنى السرقة، وصورها.

الفرع الثاني: حكم السرقة من الممتلكات العامة وما يترتب عليها.

الفرع الأول: معنى السرقة، وصورها.

المسألة الأولى: معنى السرقة[٤٣]:

أولاً: المعنى اللغوي للسرقة:

السين والراء والقاف أصل يدل على أخذ شيء في خفاء، وستر يقال: سرق يسرق سرقة والمسروق سَرَقٌ، واسترق السمع إذا تَسمَّع مختفيًا.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للسرقة:

عرف الفقهاء –رحمهم الله– السرقة بتعاريف عدة[٤٤] راعوا فيها المعنى اللغوي حيث إن ركن السرقة بالمعنى الفقهي هو أخذ المال من الغير خفية، إضافة إلى القيود الشرعية التي تعد شروط لترتيب العقوبة عليها.

ولعل التعريف الجامع للسرقة هو أخذ مكلف المال على وجه الاختفاء من مالكه، أو نائبه[٤٥]، من حرز مثله [٤٦].

المسألة الثانية: صور السرقة من الممتلكات العامة:

(١) السطو على المنشآت العامة كالمدارس، والمستشفيات، والمرافق العامة الأخرى، وسرقة أي منقولات فيها كالنقود، والأثاث، والأجهزة، والأدوية، وغير ذلك.

(٢) سرقة الكهرباء، وذلك إما من مصدره مباشرة باستخدام أداة لنقل التيار من مصدر الكهرباء العمومي، أو من السلك العمومي مباشرة، أو بالعبث بعداد الكهرباء، وذلك بتعطيله كلياً بإيقاف حركة العداد ليمتنع عن أداء وظيفته، وتتوقف حركة التروس الدالة على حركة التيار المسحوب، أو تعطيله جزئياً، بتقليل سرعة دوران التروس، مما يقلل من حركتها الحقيقية، فيؤدي ذلك إلى عدم احتساب كمية التيار المستهلك بالكامل. [٤٧]

(٣) سرقة الماء الموصل للمنازل بالشبكات، وسرقة خطوط الهاتف.

(٤) سرقة الأخشاب من الأراضي المحجوزة.

الفرع الثاني: حكم السرقة من الممتلكات العامة وما يترتب عليه

الاعتداء على الممتلكات العامة بالسرقة لا يختلف

---

(٤٣) مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٤/٣) ؛ لسان العرب لابن منظور (١٥٥/١٠) .

(٤٤) عرفها الحنفية بقولهم أخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهم مضروبة محرزه بمكان أو حافظ، أو أخذ مكلف ناطق بصير عشرة دراهم جياداً أو مقدارها مقصودة خفية من صاحب يد صحيحة مما لا يتسارع إليه الفساد في دار العدل من حرز لا شبهة ولا تأويل فيه.
وعرفها المالكية أخذ مكلف حرا لا يعقل لصغره أو مالا محترماً لغيره نصابا أخرجه من حرزه بقصد واحد خفية لا شبهه له فيه.
وعرفها الشافعية بقولهم أخذ المال خفية ظلماً من حرز مثله بشروط، وعرفها الحنابلة بأنها أخذ المال على وجه الخفية والاستتثار.
ينظر: البحر الرائق (٥٤/٥) ؛ رد المحتار وحاشية ابن عابدين (٨٢/٤ وما بعدها) ؛ حاشية الخرشي (٩١/٨) ؛ شرح حدود ابن عرفه (٥٠٣/١)؛ مغني المحتاج (٤٦٥/٥) ؛ تحفة المحتاج (١٢٤/٩) ؛ المغني (١٠٤/٩) ؛ الشرح الكبير (٢٣٩/١٠).

(٤٥) ينظر: الشرح الممتع لابن عثيمين (٣٢٤/١٤).

(٤٦) ينظر: الروض المربع (٣٦٢/١٠).

(٤٧) ينظر: الموسوعة الميسرة، قسم الحدود والجنايات (٢٩٣/١) وما بعدها.

في الحرمة عن السرقة من ممتلكات الأفراد، بل إن السرقة من الممتلكات العامة أشد حرمة وأعظم إثماً عند الله ؛ لأنه يشكل اعتداء على حق الأمة، والأضرار الناتجة عنها أعظم، وأخطر ضرراً من السرقة من ممتلكات الأفراد.

فمن يسرق من الممتلكات العامة، فإن خصمه يوم القيامة جميع المسلمين ؛لأنها حق لجميع المسلمين.

وقد تحدث الفقهاء –رحمهم الله– عن السرقة من بيت المال، وما يترتب عليها، واختلفوا في حكم قطع يد السارق من بيت المال على قولين:

القول الأول: ذهب إليه جمهور الفقهاء[٤٨] ومنهم الحنفية، والشافعية[٤٩]، والحنابلة إلى أن السارق من بيت المال لا تقطع يده.

القول الثاني: ذهب إليه المالكية[٥٠] إلى أن السارق من بيت المال تقطع يده.

ولكل قول أدلته.

أدلة القول الأول:

استدل أصحاب القول الأول القائلون بعدم قطع يد السارق من بيت المال بالسنة، والآثار، والمعقول.

أما السنة فمنها ما أخرجه ابن ماجه بسنده إلى ابن عباس «أن عبدا من رقيق الخمس سرق من الخمس» فرفع ذلك إلى النبي ﷺ «فلم يقطعه» وقال: «مال الله عز وجل سرق بعضه بعضاً».[٥١]

وجه الدلالة من الحديث:

أن رسول الله ﷺلم يقم حد السرقة على العبد الذي سرق من بيت المال لأن له فيه حق.

ونوقش هذا من وجهين:

الأول: الحديث ضعيف لا يصلح الاستدلال به.[٥٢]

ثانياً: على فرض صحته فليس فيه دلالة على المدعى، وذلك لأن قوله ﷺ«مال الله» أخرج من سواهم، وذلك لأن عبيد بيت المال من المال نفسه، فلا حجة فيه لغيرهم.[٥٣]

وأما الآثار فمنها:

(أ) ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه أن رجلاً سرق من بيت المال، فكتب فيه إلى عمر –رضي الله عنه– فكتب «ليس عليه قطع، له فيه نصيب»[٥٤].

وجه الدلالة من الأثر ظاهرة ويناقش هذا بأن الأثر ضعيف[٥٥] لا يصلح للاستدلال به.

(ب)ما أخرجه البيهقي في سننه أن علي –رضي الله عنه –كان يقول: «ليس على من سرق من بيت المال قطع»[٥٦].

وجه الدلالة من الأثر ظاهرة.

---

(٤٨) ينظر: الهداية وشرحه البناية (٢٩/٧) ؛ المبسوط (١٨٨/٩) ؛ الحاوي الكبير (٣٥٠/١٣) ؛ مغني المحتاج (٤٧٢/٥) ؛ المغني (١٣٦/٩) ؛ المبدع (٤٤٦/٧).

(٤٩) فرق الشافعية في السرقة من بيت المال بين السرقة بعد فرزه لطائفة معينة ، وقبل فرزه ؛ فإن فرز لطائفة معينة وليس السارق منهم فتقطع يده ، وإن كان قبل فرزه وله وجه حق فيه فلا تقطع، وكذلك لو فرز المال لطائفة معينة والسارق واحد منهم فلا تقطع لوجود الشبهة وهو حقه في بيت المال.

(٥٠) شرح مختصر خليل للخرشي (٩٦/٨) ؛ الشرح الكبير وحاشية الدسوقي (٣٣٧/٤) ؛ المعونة على مذهب عالم المدنية ص(١٤٢٢).

(٥١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه كتاب الحدود، باب العبد يسرق (٨٦٤/٢) برقم (٢٥٩٠).

(٥٢) قال عنه الألباني: ضعيف . ينظر: إرواء الغليل للألباني (٧٨/٨).

(٥٣) ينظر: حماية المال العام في الفقه الإسلامي ص٢٧٨.

(٥٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الحدود باب في الرجل يسرق من بيت المال، ما عليه ؟ (٥١٨/٥) برقم (٢٨٥٦٣).

(٥٥) قال عنه الألباني: وهذا إسناد منقطع ضعيف.
ينظر: إرواء الغليل (٧٦/٨).

(٥٦) أخرجه البيهقي في سننه باب من سرق من بيت المال شيئاً (٤٨٩/٨) برقم(١٧٣٠٤).

ونـوقش هـذا بـأن الأثـر ضـعيف[٥٧] لا يصـلح للاستدلال به.

ويجاب عن ذلك: بأن له طريق آخر لم يتحدث العلماء فيه بالجرح، والتعديل.

وأما المعقول فمنه:

(أ) أن من سرق من بيت المال لا تقطع يده؛ قياساً على من سرق من مال له فيه شركة، بجامع أن كلا منهما له نصيب في هذا المال.

ويناقش هذا بأنه قياس مع الفارق لأن السرقة من مال الشركة كأنه يسرق من مال حقيقي له ،وأما بيت المال فربما يكون السارق ليس له حق فيه كأن يكون غنيا مثلا.

(ب) السارق من بيت المال يسرق مالاً له فيه نصيب، وهذه شبهة تدرأ الحد عنه «فالحدود تدرأ بالشبهات».

ونوقش هذا بأن هذه شبهة ضعيفة لا تدرأ الحد؛ وذلك لأن بيت المال لجماعة المسلمين والسارق منه لا يستحق منه شيئاً بعينه إلا بالقسمة والعطية، أما قبلها فمن الجائز أن يصرف الإمام كل ما في بيت المال لمصلحة من مصالح المسلمين، ولا يفرقه على أحد من الناس، وقد يعطي قوم ويمنع آخرين ؛ ولذا فالسارق من بيت المال لا حق له فيه.

أدلة القول الثاني:

استدل القائلون بقطع يد السارق من بيت المال بعموم قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[٥٨]، حيث لم تفرق الآية بين السارق من بيت المال، وغيره، فتبقى على عمومها، وليس هناك أدلة قوية تخصصها، ولا شبهة قوية تدرأ الحد عنه، فكل من أخذ مال مملوك خفية من حرز مثله فهو سارق تقطع يده.

ونوقش هذا: بأن الآية لم تبق على العموم فقد خصصت بأنواع من السرقات كسرقة الأب من مال ابنه أو العكس، وسرقة الشريك من مال الشركة التي اتفق الفقهاء على عدم وجوب الحد مع توافر شروط السرقة.

الرأي المختار:

بعد عرض أدلة كل قول، وما ورد عليها من مناقشات أرى أن المختار في هذه المسألة التفصيل: إن كان للسارق نصيب في هذا المال الذي سرقه فلا تقطع يده، وإنما يعزر ؛ وإن لم يكن له حق كأن كان هذا المال مخصص لفئة معينة فيقام عليه الحد.

وكذلك القول في السرقة من أموال الممتلكات العامة المحرزة بحرز مثلها، فإن كان للسارق حق في هذه الأموال فذلك شبهة تدرأ الحد عنه، وإنما يعزر لسلوكه وسيلة غير مشروعة ليحصل على حقه، أما إذا لم يكن له فيها نصيب كمن سرق من أموال

---

(٥٧) قال عنه الألباني: "ضعيف لكن له طريق أخرى فقال سعيد بن منصور حدثنا الأحوص ثنا سماك بن حرب عن ابن عبيد بن الأبرص قال «شهدت عليا رضي الله عنه في الرحبة وهو يقسم خمساً بين الناس، فسرق رجل من حضرموت مغفر حديد من المتاع فأتى به علي –رضى الله عنه– قال: ليس عليه قطع وهو خائن وله نصيب» وأخرجه البيهقي أيضاً ثم قال البيهقي ورواه الثوري عن سماك عن دثار بن يزيد بن عبيد بن الأبرص قال: أتى علي رضي الله عنه برجل: فذكره له قلت: ودثار هذا أورده ابن أبي حاتم (٤٣/٢/١) بروايته عن علي وعنه سماك ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا .... ".
ينظر: إرواء الغليل (٧٧/٨).

(٥٨) سورة المائدة، الآية (٣٨).

المدارس، أو الجامعات التي ليس هو طالب فيها، فإن الحد يقام عليه ؛ لأنه سرق مالاً مملوكاً لغيره، وليس له فيه نصيب.

المطلب الثالث: الاستيلاء على الممتلكات العامة، صوره، وحكمه، وما يترتب عليه.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: معنى الاستيلاء على الممتلكات العامة، وصوره.

الفرع الثاني: حكم الاستيلاء على الممتلكات العامة، وما يترتب عليه.

الفرع الأول: معنى الاستيلاء على الممتلكات العامة، وصوره.

المسألة الأولى: معنى الاستيلاء على الممتلكات العامة.

أولاً: معنى الاستيلاء في اللغة: (٥٩)

الاستيلاء في اللغة معناه ظهر عليه، وتمكن منه، وصار في يده، وعلى الأمر بلغ الغاية، وعلى الغاية سبق إليها، واستولى فلان على مالي أي غلبني عليه.

ثانياً: معنى الاستيلاء في الاصطلاح:

عرف الفقهاء(٦٠) -رحمهم الله - الاستيلاء بتعاريف عدة تدور كلها حول القهر، والغلبة.

وعلى ذلك فيكون معنى الاستيلاء على الممتلكات العامة هو: ضم شخص جزء من الممتلكات العامة إلى ماله الخاص بصورة مباشرة، أو غير مباشرة قهراً، وغلبة.

المسألة الثانية: صور الاستيلاء على الممتلكات العامة.

قد يكون الاستيلاء على الممتلكات العامة من قبل الموظف العام، أو من قبل الشخص العادي.

فإن كان من قبل الموظف فقد يكون مختصاً بحيازة الممتلكات العامة، وأموالها، وهم كل الموظفين الذين يشغلون الوظائف العامة التي تتعلق مباشرة بحفظ الأموال كأمناء الصناديق، ومأموري الصرف، والجباه، والمحصلين، وأمناء، ومأموري المستودعات، وغيرهم، وقد يكون غير مختصاً، ولكنه يشغل وظيفة عامة، ويسمى هذا الاستيلاء بهذه الصورة اختلاساً.

فالاختلاس لابد أن يكون المال تحت حيازة المختلس، أي يرجع هذا المال إلى دائرة اختصاصه الوظيفي التي يرسمها له القانون، أو اللائحة الداخلية للدائرة التي يعمل بها، أو يكون موظفاً عاماً، يستولي على المال بحكم وظيفته، أو بسببها، أو استغلاله لها. ويكون الاستيلاء بإحدى طريقتين:

١- بانتزاع المال خلسة، أو عنوة من زميله في العمل، أو بالنصب، والاحتيال.

٢- بتسهيل الغير للاستيلاء على الممتلكات العامة، وما يخصها من أموال مثل: أن يحرر موظف لشخص

---

(٥٩) ينظر: المعجم الوسيط مادة استولى (١٠٥٧/٢) ؛ لسان العرب مادة (ولى) (٤١٣/١٥).

(٦٠) عرف الحنفية الاستيلاء بأنه الاقتدار على المحل قهراً وغلبة، وعرفه المالكية بأنه القهر والقدرة، وعرفه الشافعية بأنه القهر والغلبة ولو حكماً، وعرفه الحنابلة بأنه القهر والغلبة.
ينظر: العناية (١٧/٦) ؛ تبيين الحقائق (٢٦٦/٣) ؛ والبيان والتحصيل (٣٦٩/١٦) ؛ تحفة المحتاج (٣/٦) ؛ مغني المحتاج (٣٣٥/٣) ؛ شرح الزركشي على مختصر الخرقي (١٦٧/٤) ؛ الإنصاف (١٢١/٦).

٣- ما استمارة يترتب عليها صرف مبالغ معينة لا يستحقها، أو إصدار صكوك غير شرعية تثبت ملكية أراضي عامة لشخص ما.

أما الاستيلاء على الممتلكات العامة من قبل الشخص العادي، وغير الموظف فله صور عدة منها:

١- التعدي بالاستيلاء على الممتلكات العامة من ضم شوارع، وطرق، وأراضي، ومنشآت حكومية، وحدائق عامة، وتسويرها ضمن الممتلكات الخاصة. (٦١)

٢- ضمَّ مساحة من الرصيف إلى المحلات التجارية، والبناء عليها وإلحاقها بالمحل. (٦٢)أو إلى المنازل، واتخاذها كراجاً للبيت مثلاً، أو تشييد سلم للطابق العلوي، أو بناء دكات متصلة بالمنزل، أو غرس الأشجار، ونحو ذلك.

٣- بناء محل صغير (كشك) على الرصيف للبيع، واتخاذ الرصيف مكانا له.

٤- إغلاق الشارع العام، والإضرار بالعامة ؛ لجعلهم يسلكون طرق أخرى بعيدة. (٦٣)

٥- أخذ شيء من أدوات، ومعدات، ومستلزمات الممتلكات العامة قهراً، وغلبة.

الفرع الثاني: حكم الاستيلاء على الممتلكات العامة وما يترتب عليه:

لاشك أن الاستيلاء على الممتلكات العامة محرم(٦٤)باتفاق الفقهاء بالكتاب، والسنة.

أما الكتاب فمنه: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾(٦٥)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾(٦٦).

وأما السنة فمنها: أ- ما أخرجه الشيخان في صحيحهما بسندهما إلى أبي بكرة أن رسول الله ﷺقال في خطبة الوداع: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ... »(٦٧).

ب- ما أخرجه الشيخان في صحيحهما بسندهما إلى سعيد بن زيد قال: قال رسول اللهﷺ: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين»(٦٨) .

وعلى الرغم أن هذه الأدلة ظاهرها يتناول المال

---

(٦١) ينظر: الحماية الجنائية ص٨٤ وما بعدها.

(٦٢) " استعادت إدارة حماية الأراضي الحكومية بأمانة منطقة القصيم مؤخراً عدداً من الأراضي الحكومية بمدينة بريدة تبلغ مساحاتها (٥,٦) مليون متر مربع، وأمانة جدة تقاضي رجل أعمال استولى على أرض حكومية مساحتها (٢٧) مليون متر مربع، ومحكمة الاستئناف بمنطقة مكة المكرمة أصدرت قراراً بإبطال صك طبق على أرض حكومية بمساحة (٢٠) مليون متر مربع في محافظة جدة، .....وألغت وزارة العدل صكاً طبق على أرض حكومية بمساحة (٣٥) مليون متر مربع بمحافظة الخرج ثم استخراجه بطرق غير نظامية" مقال في جريدة الرياض بعنوان (ما أجرأهم على نهب المال العام لحسناء القنيعير في ٢١ رمضان ١٤٣٧هـ) ٢٦ يونيو ٢٠١٦م. .

(٦٣) تم رصد التعديات على شوارع جدة سواء بإغلاقها كليا أو جزئياً أو إعاقة الحركة المرورية من قبل محافظة جدة والأمانة وشرطة المنطقة وإدارة الطرق والنقل بالمنطقة وإدارة مرور محافظة جدة وتم فتح ١٤٢ شارعاً منها ٩١ شارعاً تم الاعتداء عليها من قبل مواطنين.

مقال في جريدة الرياض بعنوان (ما أجرأهم على نهب المال العام لحسناء القنيعير في ٢١ رمضان ١٤٣٧هـ) ٢٦ يونيو ٢٠١٦م.

(٦٤) حاشية ابن عابدين ورد المحتار (١٧٩/٦) ؛ منح الجليل (٧٧/٧) ؛ الحاوي (١٣٣/٧) ؛ المغني (١٧٧/٥).

(٦٥) سورة البقرة، الآية (١٨٨).

(٦٦) سورة النساء، الآية (٢٩).

(٦٧) سبق تخريجه ص (١٠).

(٦٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب، باب ماجاء في سبع أرضين (١٠٧/٤) برقم (٣١٩٨)؛ والإمام مسلم في صحيحه كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض (١٢٣١/٣) برقم (١٦١٠).

الخاص، إلا أنه يمكن تطبيقها على المال العام؛ لأن كل فرد في المجتمع له فيه حق.

ج – ما أخرجه مسلم بسنده إلى عدي بن عميرة الكندي قال سمعت رسول الله ﷺيقول: «من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً، يأتي به يوم القيامة»(٦٩).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ بين أن من استولى على شيئ ولو كان يسيرا كان كالغال من مال الغنيمة.

أما ما يترتب على الاستيلاء على الممتلكات العامة فالإثم، والعقوبة، والضمان، وقد سبق الحديث عن الضمان، وأما العقوبة فعقوبة التعدي على الأموال العامة عقوبة تعزيرية، وقد صدر نظام وظائف مباشرة الأموال العامة بالمرسوم الملكي رقم م/٧٧ وتاريخ ١٣٩٥/١٠/٢٣هـ، والمعدل بالمرسوم الملكي رقم م/٥ وتاريخ ١٤٠٠/٤/١٤هـ كل ما يخص هذه الوظائف من شروط وضمانات وعقوبات.

حيث نص هذا النظام أن من قام بالاختلاس، أو التصرف بغير وجه شرعي في الأموال العامة الموجودة في حوزته بالسجن مدة لا تزيد على عشر سنوات، أو بغرامة لا تزيد عن مائة ألف ريال، أو بكليهما معاً، مع الالتزام بإعادة الأموال، والأعيان، أو ما يعادل قيمتها.

كما أن الموظف يعاقب بالعزل، والفصل من وظيفته إذا تم معاقبته بالسجن لمدة تزيد عن سنة ؛ وذلك استناداً للائحة التنفيذية لنظام الخدمة المدنية.

كما نص النظام أن المشترك مع المختلس، أو المتواطئ معه يعاقب بنفس العقوبة، سواء كان موظفاً، أو غير موظف.

فعلى المعتدي على الممتلكات العامة التوبة، والإنابة، وإرجاع ما تم أخذه، وإزالة الضرر الذي تسبب به.

المطلب الرابع: الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة، صورهما، وحكمهما، وما يترتب عليهما.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: معنى الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة، وصورهما.

والفرع الثاني: حكم الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة وما يترتب عليهما.

الفرع الأول: معنى الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة، وصورهما.وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: معنى الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة:

أولاً: المعنى اللغوي للغش وخيانة الأمانة(٧٠):

(أ)الغش بالكسر نقيض النصح، وهو مأخوذ من الغشش، وهو المشرب الكدر. يقال غش صاحبه إذا زين له غير المصلحة، وأظهر له غير ما أضمر، ويقال لبن مغشوش، أي مخلوط بالماء.

(ب) خون الخاء والواو والنون أصل واحد يراد به التنقص. يقال: خَانَهُ يَخُونُهُ خَوْنًا. وذلك نقصان

(٦٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال (١٤٦٥/٣) برقم (١٨٣٣).

(٧٠) ينظر: لسان العرب مادة (غش) (٣٢٣/٦)؛ القاموس المحيط مادة (غش) (٦٠٠/١) ؛ المغرب في ترتيب المعرب مادة (غش) (٣٤٠/١)؛مقاييس اللغة مادة(خون) (٢٣١/٢)،ومادة(أمن) (١٣٣/١).

الوفاء.

(ج) أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب. والآخر التصديق.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للغش وخيانة الأمانة[٧١]:

(أ)عرف الفقهاء –رحمهم الله– الغش في البيع ما يخلط من الرديء بالجيد، أو بأنه أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع، أو مشتر منها شيئاً لو اطلع عليه مريد آخذها ما أخذها بذلك المقابل، وهذه التعريفات تختص بنوع واحد من أنواع الغش، وهو ما كان في عقد البيع، ولكن ليس المقصود به هنا فقط، فالغش في الممتلكات العامة يرادف المعنى اللغوي للغش، وهو ما كان نقيض النصح فهو خداع قد يحصل في العقد عند انعقاد، أو عند تنفيذه، أو في غير عقد بقصد الإضرار بحقوق الغير[٧٢]، فالغش فعل غير مشروع يؤدي إلى الحصول على حق غير مشروع بانتهاج أي وسيلة كانت، كالتزوير، واستغلال غفلة الآخر، والخداع، وغير ذلك ؛ وذلك استناداً للحديث الذي أخرجه الشيخان في صحيحهما، بسندهما إلى معقل بن يسار أنه قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم –يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[٧٣].

حيث وضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن الغاش لمن كانوا تحت ولايته، ورعايته، ولم ينصح لهم، وأهمل حقوقهم، وأخذ أموالهم، أو ترك حمايتهم، أو ولى عليهم من يحابيه لا لغرض إصلاحهم، أو ولى من غيره أولى بالقيام بحقوقهم،

فإن عقوبته النار إذا مات على ذلك، وهذا عام في كل من وكل إليه حفظ غيره، والقيام بمصالحهم، وتفويض[٧٤] أمورهم إليه.

(ب)خِيانة الأمانة: الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة الأمانة، ورعاية الأمانة هي : أداؤها على الوجه الذي أمر الله به ، سواء أكانت هذه الأمانة لله، فيما افترض سبحانه على المؤمن، من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج– وجهاد، أو كانت من أمانة الإنسان لنفسه، كفرجه.. أو أمانة للغير، كالودائع ونحوها..

فالغش وخيانة الأمانة من الآفات، والأوبئة الاجتماعية التي تحول دون رقي، وتقدم المجتمعات، وهما خديعة، وخيانة، وفقد للثقة بين الناس[٧٥]، يتخذ فاعلهما من المكر، والتحايل، والتزوير مطية للحصول على حاجات، وتحقيق أغراض شخصية غير مشروعة، وبدون وجه حق.

المسألة الثانية: صور الغش وخيانة الأمانة في

(٧١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٥٢/١) ؛ تحفة المحتاج (٣٨٩/٤) ؛ نهاية المحتاج (٧١/٤) ؛روح البيان (٣٧/٦)،التفسير القرآني(١١٨٤/١٥).

(٧٢) ينظر: التعريف بالغش واختلافه عن التدليس لأبي الوفاء محمد أبو الوفاء، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٣٨٧، ٤٩).

(٧٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (١٢٥/١) برقم (١٤٢) واللفظ له. كما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب من استرعى رعية فلم ينصح (٦٤/٩) برقم (٧١٥٠).

(٧٤) ينظر الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٧/٤) ، فتح ذي الجلال والإكرام (٣٦٥/٦) ، البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٢٨٥).

(٧٥) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٥٥/٢٠).

الممتلكات العامة.

يتخذ الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة صور عدة منها:

١- تعيين العمال من هم دون الكفاءة، أو يفتقدون القيم الأخلاقية، والخبرة بسبب المحسوبية والمجاملة مع وجود من هم أتقى، وأكفأ منهم.

٢- استخدام الموظفين للأشياء الموجودة بالمكان الذي يعملون به لأغراض شخصية، أو في غير الأغراض التي يجيزها القانون المنظم لاستخدامها، كاستخدام سيارات، وهواتف المؤسسات العامة لتنقلاتهم، واتصالاتهم الخاصة بهم.

٣- المجاملة في ترسية العطاءات، والمناقصات على شخص معين مع وجود من هو أفضل منه.

٤- الحصول على عمولة من قبل المشتري، أو المورد، أو من في حكمهم نظير تسهيل لهم بعض الأمور، وهذا من الرشوة المحرمة.

٥- عدم صيانة منشآت، ومباني، ومصانع، وسيارات، وماكينات، ومعدات، وأجهزة الممتلكات العامة مما يعرضها للتلف، أو انتقاص منفعتها.

٦- الغش في تنفيذ العقود المتعلقة بالممتلكات العامة، كالطرق، والمدارس فبعض الشركات التي تقوم بتنفيذ عقود المقاولات، والأشغال العامة[٧٦]، أو التوريد[٧٧] لا تفي بالشروط، والمواصفات التي تم الاتفاق عليها، ويزداد الغش كلما قلت الرقابة على تنفيذ هذه العقود.

٧- الإهمال: وذلك في عدم بذل الجهد الذي يتطلبه عمل المسؤولين عن الممتلكات العامة ؛ مما يسبب هذا الإهمال في إلحاق الضرر بالأموال، والمصالح العامة التي يعمل بها، أو يتصل بها بحكم وظيفته، أو يعرض الأشخاص للضرر، أو الهلاك، كحارس المدرسة الذي يهمل حراسة المبنى المدرسي مما يتسبب في القيام بالاعتداء عليها بالتخريب، أو السرقة، أو غير ذلك.

الفرع الثاني: حكم الغش وخيانة الأمانة في الممتلكات العامة وما يترتب عليهما.

الغش وخيانة الأمانة بكل الصور، والأشكال محرما شرعاً، وهما من الكبائر، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع . فقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تنهى عنهما وتحذر منهما، وتوضح الوعيد الشديد لمرتكبهما ومن ذلك:

١) قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾[٧٨]

حيث توعد الله الذين ينقصون الناس في الكيل، والوزن ويغشونهم بالويل، والعذاب الأليم، فما بالك بمن يغش المجتمع في ممتلكاته العامة أو يخون

(٧٦) عقد الأشغال العامة هو عقد مقاولة بين شخص أو أشخاص القانون العام وفرد أو شركة بمقتضاه يتعهد المقاول بالقيام بعمل من أعمال البناء أو الترميم أو الصيانة في عقار لحساب هذا الشخص المفوض العام تحقيقاً لمصلحة عامة مقابل ثمن يحدد في العقد.
ينظر: ورقة عمل حول العقود الإدارية ، نبيل محمد الهادي، (ص١٥) ؛ الغش وأثره على العقد الإداري، محمد حسين المجالي (ص٣٨).

(٧٧) التوريد: اتفاق بين شخص معنوي من أشخاص القانون العام وفرد أو شركة يتعهد بمقتضاه الفرد أو الشركة بتوريد منقولات معينة للشخص المعنوي لازمه لمرفق عام مقابل ثمن معين.
ينظر: ورقة عمل حول العقود الإدارية ، نبيل محمد الهادي (ص١٦) ؛ الغش وأثره على العقد الإداري، محمد حسين المجالي (ص٦٤).

(٧٨) سورة المطففين، الآية (١-٣).

الأمانة فيها.

٢) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[٧٩]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٨٠].

حيث نهى الله سبحانه عباده من أكل أموال الناس بغير حق، والغاش والخائن للأمانة اللذان يحتالان على الناس، ويتعاملان معهم بالخداع لاشك أنهما داخلان في هذا النهي.

٣) قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٨١].

دلت الآية على النهي عن خيانة الأمانة، وحذرت منها، فهي تضييع لما أوجبه الله على الإنسان حفظه، والقيام بحقوقه، ولم تفرق الآية بين خيانة الأمانة في الأموال الخاصة والأموال العامة.

٤) قوله تعالى: ﴿ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴾[٨٢].

في هذه الآية أمر من الله تعالى بإيفاء العقود، والالتزام بما تم الاتفاق بين المتعاقدين عليه من شروط، وحقوق، وواجبات، ولا شك أن الغش والخيانة في العقود فيه نقض للعهد، ومخالف لما أمر الله به عباده من إيفاءالعقود.

وأما السنة فمنها:

(١) ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»[٨٣].

وجه الدلالة ظاهرة حيث بين صلى الله عليه وسلم أن مرتكب الغش[٨٤] ليس على منهاج النبوة، وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

(٢) ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده إلى خولة الأنصارية –رضي الله عنها– قالت: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»[٨٥]

وجه الدلالة: يتبين لنا من الحديث أن الذين[٨٦] يتصرفون في مال الله، ويأخذون منه أكثر من أجرة عملهم، وقدر استحقاقهم فلهم النار يوم القيامة. و المعتدي على الممتلكات العامة بالخيانة أو الغش أخذ مالا يستحق .

(٣) ما أخرجه أحمد في مسنده بسنده إلى أبي هريرة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح»[٨٧].

(٤) والحديث الذي أخرجه الطبراني بسنده إلى عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله – صلى الله عليه

(٧٩) سورة البقرة، الآية (١٨٨).
(٨٠) سورة النساء، الآية (٢٩).
(٨١) سورة الأنفال، الآية (٢٧).
(٨٢) سورة المائدة، الآية (١).

(٨٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «من غشنا فليس منا» (١/٩٩) برقم (١٠١).
(٨٤) فيض القدير (٦/١٨٥).
(٨٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الأنفال (٤١) (٤/٨٥) برقم (٣١١٨).
(٨٦) مرقاه المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/٢٤٣٣) ؛ فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٦/٣٧٢).
(٨٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤/١٣٦) برقم (٨٤١٢).
قال عنه الألباني رحمه الله: حسن، رواه أحمد ورواته ثقات.
ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/١٩١).

وسلم- قال: «العامل إذا استعمل فأخذ الحق، وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله، حتى يرجع إلى بيته»[٨٨].

وجه الدلالة من الحديثين: بين صلى الله عليه وسلم أن العامل إذا أتقن عمله، وأخلص فيه متجنباً للغش[٨٩] والخيانة، وافياً بحق وظيفته، وعمله فإن كسبه من خير الكسب، وأنه كالمجاهد في سبيل الله، لأنه يقوم بحق ما أوتمن عليه، ولم يضيعه بل قام به خير قيام.

وأما الإجماع: فقد أجمع العلماء على حرمة الغش وخيانة الأمانة.[٩٠].

ويترتب على الغش وخيانة الأمانة ما يترتب على غيرهما من الأفعال المحرمة من الإثم، فهما من باب أكل أموال الناس بالباطل التي نهى الإسلام عن أكلها.

كما يترتب على الغش وخيانة الأمانة العقوبة التعزيرية، وقد نصت لوائح تنفيذية لمكافحتهما، حيث صدر المرسوم الملكي برقم (٤٣) الصادر ١٣٧٧، والذي ينص في مادته الثانية على أنه يعاقب بالسجن مدة لا تزيد عن عشر سنوات، أو غرامة لا تزيد عن عشرين ألف كل موظف ثبت ارتكابه لإحدى الجرائم التالية:

١) الاختلاس، أو التبديد، أو التفريط في الأموال العامة صرفاً، أو صيانة.

٢) استغلال نفوذ الوظيفة لمصلحة شخصية داخل الدائرة، وخارجها.

٣) استغلال العقود في ذلك عقود المزايدات، والمناقصات عن طريق مباشر، أو غير مباشر لمصلحة شخصية.

كما نصت المادة الثالثة أنه فضلاً عن العقوبات المذكورة في المادة السالفة، الحكم على من تثبت إدانته بالتعويض المناسب لمن أصابه ضرر برد المبالغ التي أخذت بغير وجه شرعي إلى أربابها.

وصدر نظام مكافحة الرشوة الصادر برقم (١٧٥) وتاريخ ١٤١٢/١٢/٢٨هـ، والذي نُص فيه على العقوبات التي يعاقب بها الموظف العام الذي طلب لنفسه، أو لغيره، أو قَبل، أو أخذ وعداً، أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته، أو الامتناع عن عمل من أعمال وظيفته بالسجن الذي قد يصل إلى عشر سنوات، وبغرامة مالية قد تصل إلى مليون ريال بهما معاً، أو بإحدى العقوبتين.

وصدر أيضاً نظام مكافحة الغش التجاري الصادر برقم (١١٩)، وتاريخ ١٤٢٩/٤/٢٢هـ.

والذي ينص في الفصل الرابع (العقوبات): في مادته السادسة عشر، والسابعة عشر، والثامنة عشر على العقوبات لمن ارتكب إحدى المخالفات التي نص عليها النظام تتراوح العقوبات ما بين السجن الذي قد يصل إلى ثلاث سنوات، والغرامة المالية التي قد تصل إلى مليون ريال.

وكل هذه العقوبات للحد من الغش وخيانة الأمانة.

---

(٨٨) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٢٨١) (١٣٤/٢).
وقال عنه الألباني حسن لغيره. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (٤٧٨/١).

(٨٩) ينظر: فيض القدير (٤٧٦/٣).

(٩٠) الفواكه الدواني (٢٨٥/٢)، تفسير الإمام الشافعي (٦١٦/٢)

المبحث الثالث: وسائل المحافظة على الممتلكات العامة

قبل التحدث عن الوسائل للمحافظة على الممتلكات العامة، لابد من الإشارة إلى الأسباب التي تدعو إلى الاعتداء عليها، وهي:

ضعف الوازع الديني، تفريغ الغضب، والمشاعر السلبية فبعض حوادث الإتلاف، والتخريب في المدارس، والمستشفيات، والمؤسسات الخدمية يكون سببها ردة فعل سلبية تجاه هذه المؤسسات من قبل منسوبيها، كالموظفين والطلاب، أو المستفيدين منها كالمراجعين ، اللامبالاة، وعدم الاهتمام يكتنفها في بعض الأحيان الجهل بحرمة التعدي على الممتلكات العامة، الجشع، والطمع، والتنافس في جمع المال، والثروة بأي وسيلة كانت مشروعة، أو غير مشروعة ؛ وقلة الرقابة، وعدم المحاسبة من قبل المسؤولين من الأسباب التي تدفع إلى الاعتداء على الممتلكات العامة.

كانت هذه أهم الأسباب التي أدت إلى الاعتداء على الممتلكات العامة، أما ما يتعلق بالوسائل التي تدعو إلى المحافظة عليها فيمكن إجمالها فيما يلي: [٩١]

١- تقوية الوازع الديني، ومراقبة الله واستشعار معيته جل في علاه، والتذكير الدائم في كل المناسبات، والاجتماعات، وفي الخطب كخطبة الجمعة، والعيدين ؛ ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة ووسائل التواصل الاجتماعي بأن المسلم محاسب، ومسؤول أمام الله، مما يدفعه إلى التحلي بمحاسن الأخلاق، كالأمانة، والعدل، والوفاء بالعقود، والعفة، وغير ذلك.

٢- التنشئة الأسرية السليمة للأبناء، وغرس المفاهيم، والقيم الإسلامية الصحيحة في نفوس الناشئة، كمراقبة الله، والخوف منه، ومحاسبة النفس، والأمانة، والوسطية، والوفاء بالعقود، والإخلاص في العمل، وإتقانه، والملكية العامة، والملكية الفردية وإن الممتلكات العامة لا تقل أهمية عن الممتلكات الخاصة، فيجب المحافظة عليها، وعدم العبث بها.

٣- توعية المجتمع بحقوقه، ومسؤولياته، وأن الممتلكات العامة حق للجميع ؛ للاستفادة منها وفق الضوابط الشرعية، فعليهم المحافظة عليها، والأخذ، والمراقبة على يد المقصر، ومحاسبته، والرفع إلى الجهات الرسمية بالطرق المشروعة للأخذ على يد المقصرين، والاهتمام البالغ بتوعية المجتمع بكافة شرائحه بالممتلكات العامة، والقيام بحملات تطوعية تثقيفيه، والتركيز في المناهج التعليمية، والمناشط الصفية، واللاصفية على أهمية المحافظة على الممتلكات العامة، وغرس المفاهيم الإسلامية حول المال العام.

٤- تفعيل دور الجهات الرقابية في الأجهزة الإدارية بمراقبة الموظفين، ومتابعتهم، ومحاسبة

---

(٩١) ينظر: الاحتساب على الاعتداء على المال العام، لمحمود العزاوي (ص ٤٨٠ وما بعدها) ، القيم السلوكية والاتجاهات اللازمة لتحصين النشء ضد الجريمة وإتلاف الممتلكات، د. سناء حسن عماشة (ص ١٠٥ وما بعدها) ، مجلة البحوث الأمنية، عدد (٤٤) ١٤٣٠هـ).

المعتدين، والمقصرين، وإنزال العقوبات المناسبة ؛ لكفهم، وردع غيرهم من الاعتداء على الممتلكات العامة.

ووضع كاميرات المراقبة على منشآت الممتلكات العامة من الوسائل المهمة التي تمنع كل من تسول له نفسه من العبث بالممتلكات العامة، كما أنها تسهل عملية محاسبة المعتدين، والعابثين بها.

٥- تولية المناصب في الممتلكات العامة لأصحاب الكفاءات العلمية، وأهل الأمانة، والورع، والتقوى، فمن استشعر الخوف من الله، وثقل الأمانة المحمل بها سيعمل جاهداً في الحفاظ على ما استؤمن عليه، والقيام بكل ما أوجبه الله عليه ؛ لتيقنه بأنه مسؤول أمام الله عنه.

وقد كان صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون يختارون الولاة الذين يتصفون بالتقوى، والأمانة.

وأخيرا: إتاحة المجال أمام الشباب من المراهقين، والبالغين لممارسة هواياتهم من الرسوم، والكتابة، وغيرها بشكل بناء، ونافع، واستثمار طاقاتهم بالمفيد، وذلك عن طريق إشراكهم في الأنشطة الصفية، واللاصفية، والبرامج التوعوية النافعة، وإقامة أندية صغيرة راقية متكاملة في كل الأحياء، وفي كل المدن ؛ لاحتواء الشباب، واستثمار طاقاتهم، وتوجيه سلوكهم.

الخاتمة

الحمد لله، وكفى، والصلاة، والسلام على من اصطفى.

فبعد الانتهاء من بحث «الاعتداء على الممتلكات العامة، صوره، وأحكامه» «دراسة فقهية مقارنة»، نستخلص أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كالتالي:

١. الممتلكات العامة هي: كل الأشياء التي لا ينفرد بملكيتها شخص أو بعض أشخاص بل هي ملك للجميع كالمؤسسات بأنواعها والتي تقع تحت مظلة الملكية العامة أي ملكية المجتمع ككل وهي: تشمل الجسور، والطرق العامة، والمساجد، والهيئات، والجامعات، والمدارس الحكومية، والهيئات، والمرافق العامة كشبكات الكهرباء، والهاتف، والمياه، والصرف الصحي، والمراكز الخدمية كالمستشفيات، والحدائق العامة، ووسائل المواصلات، وغيرها.

٢. إتلاف الممتلكات العامة محرم شرعاً يوجب القتل على فاعله إذا كان فيه ترويع الآمنين، وإزهاق الأرواح.

٣. التعمد في إتلاف الممتلكات العامة يوجب الإثم، والعقوبة، والضمان.

٤. التعزير بالمال جائز شرعاً وهو من أنجع الوسائل للتأديب، والزجر.

٥. إن كان للسارق نصيب في الممتلكات العامة فلا تقطع يده، وإنما يعزر ؛ وإن لم يكن له حق كأن كانت مخصصة لفئة معينة فيقام عليه الحد.

٦. الاستيلاء على الممتلكات العامة محرماً شرعاً يوجب الإثم، والعقوبة، والضمان.

٧. الغش في الممتلكات العامة كل فعل غير مشروع للحصول على حق غير مشروع بأي وسيلة كانت كالتزوير، والخيانة، والخداع، والنصب، والاحتيال، وغير ذلك.

٨. الغش وخيانة الأمانة أمران محرمان شرعاً يوجبان الإثم، والعقوبة، والضمان.

٩. من وسائل المحافظة على الممتلكات العامة: تقوية الوازع الديني، والتنشئة الأسرية السليمة للأبناء، وتوعية المجتمع بحقوقه ومسؤولياته، ومراقبة الموظفين ومحاسبتهم، وتولية

المناصب في الممتلكات العامة لأصحاب الكفاءات والأمانة، وإقامة أندية للشباب لاستثمار طاقاتهم، وممارسة هواياتهم بالمفيد.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- الاحتساب في الاعتداء على المال العام لمحمود بن عبدالهادي العزاوي ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، المجلد(٤١) ، شوال ١٤٣٧هـ.

٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ) ط. المكتب الإسلامي ، ط. الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان لزين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم المصري المتوفى: ٩٧٠هـ، ت: الشيخ زكريا عميرات، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤- الأم لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى (٢٠٤هـ) ط. دار المعرفة، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ) د. دار إحياء التراث العربي ط. الثانية.

٦- أنوار البروق في أنواء الفروق لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي المتوفى (٦٨٤هـ)، ط. عالم الكتب.

٧- البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري المتوفى: ٩٧٠هـ، ط. دار الكتاب الإسلامي، ط. الثانية.

٨- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، ط. دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (المتوفى ٥٨٧هـ) ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٠- البناية شرح الهداية لأبي محمد محمود بن أحمد الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١١- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ) ت: د. محمد حجي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٢- تاج العروس لمحمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ت. مجموعة من المحققين، ط. دار الهداية.

١٣- تأملات في جرائم الأموال العامة لخالد محمد إبراهيم صالح، مجلة العلوم الشرعية والقانونية كلية القانون بالخمس – جامعة المرقب – ليبيا العدد (١) ٢٠١٣م.

١٤- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لإبراهيم بن علي ابن فرحون (المتوفى: ٧٩٩هـ) ط. مكتبة الكليات الأزهرية، ط. الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٥- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لعثمان بن علي فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣هـ) ط. المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، ط. الأولى ١٣١٣هـ.

١٦- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، ط. المكتب

الإسلامي – بيروت، ط. الرابعة.
١٧- تحفة المحتاج في شرح المنهاج لأحمد بن محمد بن حجر العيثمي، ت: لجنة من العلماء، ط. المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٧هـ-١٩٨٣م.
١٨- تغليق التعليق على صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ت: سعيد عبدالرحمن العزقي، ط. المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.
١٩- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤١٩هـ-١٩٨٩م.
٢٠- تهذيب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ) ت: محمد عوامة، ط. دار الرشيد – سوريا، ط. الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢١- تهذيب السنن لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: إسماعيل بن غازي مرحبا، ط. مكتبة المعارف بالرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٢٢- التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب لخليل بن إسحاق ضياء الدين الجندي المالكي (المتوفى: ٧٧٦هـ)، ت: د. أحمد بن عبدالكريم نجيب، ط. مركز نجيبوية للمخطوطات وخدمة التراث، ط. الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٣- التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ) ط. عالم الكتب، القاهرة، ط. الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٤- الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الضحاك الترمذي أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، ت: بشار عواد معروف، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م.
٢٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير الناصر، ط. دار طوق النجاة، ط. الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٦- الجرح والتعديل لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، ط. الأولى ١٢٧١هـ-١٩٥٢م.
٢٧- حاشية ابن عابدين المعروفة باسم رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين محمد أمين المنفى المتوفى (١٢٥٢هـ)، ط. دار الفكر، بيروت، ط. الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٨- الحاوي الكبير وفقه مذهب الإمام الشافعي لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ت: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ط. الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٢٩- حكم إتلاف المال العام لصبري عبدالمنعم عبدالرؤوف، مجلة صوت الأمة بالهند العدد ٢ المجلد ٤٩ جمادى الأولى ٢٠١٧م.
٣٠- الحماية الجنائية للمال العام في الفقه الإسلامي والنظام السعودي لمبارك بن عبدالله بن هقشة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٢هـ.
٣١- حماية المال العام في الفقه الإسلامي د. نذير بن محمد الطيب أوهاب، مركز الدراسات والبحوث الأكاديمية نايف للعلوم الأمنية الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣٢- خلاصة البدر المنير. لابن الملقن سراج الدين عمر بن

علي الشافعي (المتوفى: ٨٠٤هـ) ط. مكتبة الرشد، ط. الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٣٣- الروض المربع شرح زاد المستقنع لمنصور بن يونس البهوتي (المتوفى: ١٠٥١هـ) ت: مجموعة من العلماء، ط. دار الوطن – الرياض، ط. الثانية ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣٤- سرقة المال العام للدكتور أسامة بن محمد الحموي، مجلة جامعة دمشق – المجلد التاسع عشر العدد الأول ٢٠٠٣م.

٣٥- سنن ابن ماجه لابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ت: محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٦- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط. المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٣٧- سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٣٨- السنن الكبرى لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) ت: حسن عبدالمنعم شلبي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣٩- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوَجردي أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ت: محمد عبدالقادر عطا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٠- شرح الزركشي على مختصر الخرقي لشمس الدين محمد بن عبدالله الزركشي الحنبلي (المتوفى: ٧٧٢هـ)، ط. دار العبيكان، ط. الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤١- شرح السنة لأبي محمد ا لحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى ٥١٦هـ) ت: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، ط. المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت، ط. الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٢- الشرح الكبير وحاشية الدسوقي للشيخ أحمد الدردير، ولمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي المتوفى (١٢٣٠هـ) ط. دار الفكر بيروت.

٤٣- الشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ط. دار ابن الجوزي – الدمام – ط. الأولى ١٤٢٢هـ – ١٤٢٨هـ.

٤٤- شرح حدود ابن عرفة لمحمد بن قاسم الرصاع التونسي المالكي (المتوفى: ٨٩٤هـ) ط. المكتبة العلمية، ط. الأولى ١٣٥٠هـ.

٤٥- شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، ط. دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٤٦- شرح فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبدالواحد السيراسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ) ط. دار الفكر، بيروت.

٤٧- شرح قانون العقوبات د. فتوح عبدالله الشاذلي، ط. دار المطبوعات الجامعية ١٩٩٦م.

٤٨- شرح مختصر خليل لمحمد بن عبدالله الخرشي المالكي (المتوفى: ١١٠١هـ) ط. دار الفكر للطباعة، بيروت.

٤٩- شرح معاني الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) ت: محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق)، ط. عالم الكتب، ط. الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥٠- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي الخَسْرَوْجِروي

أبـــو بكـــر البيهقـــي (المتـــوفى: ٤٥٨هـــ) ت: د. عبدالعلي عبدالحميد حامد، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م.

٥١- صحيح الترغيب والترغيب للشيخ محمد بن ناصر الدين الألبـاني، ط. مكتبـة المعـارف، الريـاض، ط. الأولـى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٢- صحيح وضعيف سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٥٣- صحيح وضعيف سنن الترمذي للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٥٤- صحيح وضعيف سنن النسائي للشيخ محمد ناصر الدين الألباني المتوفى (١٤٢٠هـ)، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٥٥- ضمان العدوان في الفقه الإسلامي د. محمد أحمد سراج، ط. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٦- الطرق الحكمية لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ط. مكتبة دار البيان.

٥٧- العناية شرح الهداية لحمد بن محمد بن محمود البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ) ط. دار الفكر، بيروت.

٥٨- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤٠هـ) ت: د. محمد عبدالمعيد خان، ط. مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ط. الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٥٩- غريب الحديث لجمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ت: د. عبدالمعطي أمين القلعجي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٦٠- الفتاوى الكبرى لابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم المتوفى (٧٢٨هـ)، ط.، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٦١- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام للشيخ محمد بن العثيمين، ت: صبحي بن محمد رمضان، ط. المكتبة الإسلامية، ط. الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٦٢- الفرع لمحمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ) ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦٣- الفقه الإسلامي وأدلته للشيخ وهبه مصطفى الزحيلي، ط. دار الفكر، دمشق ط. الرابعة.

٦٤- الفواكه الدواني لشهاب الدين النعرواي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ) ط. دار الفكر ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٦٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ) ط. المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط. الأولى ١٣٥٦هـ.

٦٦- القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفي: ٨١٧هـ، ت: محمد نعيم العرقسوسي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثامنة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٦٧- القوانين الفقهية لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) ط. مكتبة كلية الآداب – الدمام.

٦٨- القيم والاتجاهات اللازمة لتحصين النشء ضد الجريمة وإتلاف الممتلكات د. سناء حسن عماشة، مجلة البحوث الأمنية، العدد (٤٤)، ذو الحجة ١٤٣٠هـ.

٦٩- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة عبدالله بن محمد (المتوفى: ٢٣٥هـ) ت: كمال يوسف الحوت، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى ١٤٠٩هـ.

٧٠- كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ) ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

٧١- الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين بن عبدالله الهرري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء، ط. دار المنهاج – دار طوق النجاة، ط. الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٧٢- لسان العرب لمحمد بن مكرم أبو الفضل ابن منظور المتوفى: ٧١١هـ، ط. دار صادر – بيروت، ط. الثالثة – ١٤١٤هـ.

٧٣- المبسوط لمحمد بن أحمد شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، ط. دار المعرفة، بيروت ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٧٤- المجتبى من السنن المعروف بالسنن الصغرى لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، ت: عبدالفتاح أبو غدة، ط. مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط. الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٧٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي المتوفى (٨٠٧هـ) ت: حسام الدين القدسي، ط. مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٧٦- المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ط. دار الفكر، بيروت.

٧٧- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ط. دار الوطن – دار الثريا، ١٤١٣هـ.

٧٨- مرقاه المفاتيح شرح مشكاه المصابيح لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) ط. دار الفكر، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٧٩- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) ت: مصطفى عبدالقادر عطا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٨٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون، ط. مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٨١- مسند الشافعي لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى (٢٠٤هـ) ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٨٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ت: محمد فؤاد عبدالباقي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٣- المصنف لأبي بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية ، ١٤٠٣هـ.

٨٤- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ت: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط. مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط. الثانية.

٨٥- المعجم الوسيط تأليف: مجمع اللغة العربية، ط. دار الدعوة.

٨٦- المعونة على مذهب عالم المدينة لأبي محمد عبدالوهاب بن علي الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، ت: حميش عبدالحق، ط. المكتبة التجارية،

مصطفى أحمد الباز مكة المكرمة.
٨٧- المغرب في ترتيب المعرب لناصر بن عبد السيد أبي المكارم الخوارزمي المطّرِّزي (المتوفى: ٦١٠هـ) ط. دار الكتاب العربي.
٨٨- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٨٩- المغني لأبي محمد موفق الدين عبدالله بن قدامة (المتوفى: ٦٢٠هـ) ط. مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
٩٠- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى ٥٠٢هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي، ط. دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط. الأولى ١٤١٢هـ.
٩١- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس الرازي (المتوفي: ٣٩٥هـ) ، ت: عبدالسلام محمد هارون، ط. دار الفكر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٩٢- من صور التعدي على المال العام عوض أحمد إدريس، مجلة العدل – وزارة العدل، السودان، العدد الثاني يوليو ٢٠٠٠م.
٩٣- منح الجليل شرح مختصر خليل لمحمد بن أحمد بن عليش (المتوفى: ١٢٩٩هـ) ط. دار الفكر، بيروت ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٩٤- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل لشمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد المعروف بالحطاب الرُّعيني (المتوفى: ٩٥٤هـ) ط. دار الفكر، بيروت، ط. الثالثة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٩٥- الموسوعة الفقهية الكويتية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط. ٣ (١٤٠٤-١٤٢٧هـ).
٩٦- الموسوعة الميسرة في فقه القضايا المعاصرة والقضاء والعلاقات الدولية، مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٩٧- الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) ت: محمد مصطفى الأعظمي، ط. مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي، ط. الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٩٨- نهاية المطلب في دراية المذهب لعبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني أبو المعالي (المتوفى ٤٧٨هـ)، ت: أ. د. عبدالعظيم محمود الديب، ط. دار المنهاج، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٩٩- نيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ت: عصام الدين الصبابطي، ط. دار الحديث، مصر، ط. الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٠٠- الهداية في شرح بداية المبتدي لعلي ابن أبي بكر بن عبدالجليل المرغيناني (المتوفى: ٥٩٣هـ) ت: طلال يوسف، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

«Attacking public property - pictures and rulings»

A Comparative Jurisprudence Study

Nawal Saeed Yahya

Abstract. Praise be to Allah, Lord of the Worlds, prayers and peace be upon the Most Honored Messenger...
The research titled "Trespassing on Public Property, its shapes, and its provisions" "Comparative Juristic Study". is divided into
An introduction, three chapters, and a conclusion, proved by indexes.
The introduction included the importance of the research, the reasons for selecting it, its purpose, methodology and plan.
The first chapter: define linguistically and idiomatically the trespassing on public property, It is revealed that it means to exceed the limit, the right, the extent must to be limited to it in the assets and the benefits of public property, which are all institutions of all kinds that fall under the umbrella of public property, i.e. Community ownership as a whole.
The second chapter deals with the shapes of the trespassing on public property. It is revealed that destruction, theft, seizure, fraudulent and dishonesty in properties are forbidden according to shari'ah and make you to be sin and subject to punishment and guarantee.
The third chapter deals with the reasons for the trespassing on public property, the most important of which is the weakness of religious deterrent, indifference and lack of interest, ignorance of the inviolability of trespassing on public property, the discharge of anger and negative feelings towards public institutions. One of the most important to stop that is to strengthen the religious deterrent , the proper family upbringing for children and implant the correct values and concepts of Islam in the emerging generation, and raise awareness of the community about the importance of maintain public property, and control of employees and workers in the public property, and make them subject to accountability, and open the way for the youth including adolescents and adults to exercise their hobbies, and investment their energies in useful way by opening high class clubs contain them.
The conclusion contains the most important findings I have reached.
The indexes have two indexes: a topic index, and an index of references and sources.
Finally, God's Prayer and Peace be to our master Muhammad, and on His family, and His companions, and praise be to God the Lord of the Worlds.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ٣١- ٦٢ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-3.2

المفاهيم الحديثة في العقوبات البديلة عن الأحكام التعزيرية

عنود محمد عبد المحسن الخضيري

المملكة العربية السعودية – المنطقة الشرقية – الدمام

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب – جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

مستخلص. سلطت الضوء في هذا البحث على العقوبات البديلة للأحكام التعزيرية غير المقدرة من الشارع، مبينة شرعيتها –تأصيلاً وتكييفاً– وأنها ليست ضرباً من القوانين الوضعية المصادمة للكتاب والسنة؛ بل إنها تمثل إحدى طرق استمداد الحكم الشرعي. وبينت مفهومها ومدى الحاجة إليها، وضوابطها وفوائدها مع بيان القواعد والضوابط الفقهية التي تتخرج عليها، ومعوقات تفعيلها، ثم ذكرت أمثلة لها، كما عرجت على بيان العلاقة بينها وبين التعازير.

وتوصلت لنتائج منها:

١–العقوبات البديلة ضرورة تمليها المرحلة المعاصرة وما وصل إليه العلم من حقائق حول الفوائد التي تحققها على صعيد الأمن واستقرار المجتمع وتماسك الأسرة والتنمية وحقوق الإنسان وعلى سلوك الجاني وسلامته من التنكيل والإيلام البدني والنفسي.

٢–العقوبات البديلة لا تنسحب إلا على أبواب التعازير وهي ما لا نص شرعياً في تقدير عقوبتها.

٣–تتميز العقوبات البديلة بخصائص منها: ردع الجاني وعظةً للغير، وأنها تترك للقاضي مجالاً واسعاً في تقدير العقوبة ونوعها دون إهمال النظر للجاني، وأنها ليست بلازمة بل يمكن اختيار المناسب منها أو العدول إلى غيرها مما ليس فيه خروج على أحكام الشريعة وروحها.

أهم التوصيات:

١–الاهتمام بنشر الوعي الاجتماعي بأهمية العقوبات البديلة في المجتمع عن طريق الدورات والبرامج المختلفة.

٢–المطالبة بتعميم وتنويع التعازير ببدائل السجون؛ حفاظاً على المجتمع وإظهاراً لمقاصد الشريعة في العقوبة.

الكلمات المفتاحية: العقوبات–البديلة–التعزيرية

المقدمة

لا شك أن نظام العقوبات في الإسلام يشمل الأوامر والنواهي التي نصت عليها الدولة (الإمام – الحاكم – أو من ينوب عنهم) وهي فرض على المسلمين يجب التقيد بها، ومن لم يتقيد بها كان مخالفاً وكان للحاكم أن يعاقب أو يعفو.

والمخالفات ليس لها أنواع محصورة بل هي أي قانون صدر عن الدولة وتم تجاوزه أو التعدي عليه، وهذه

المخالفات يسميها الفقهاء جرائم التعزير، والتي هي في الواقع محظورات شرعية ليس لها عقوبة مقدرة من قبل الشارع مثل: الخلوة بالمرأة الأجنبية، وأكل الربا، والقذف بغير الزنا، والشتم والسباب، والتطفيف في الكيل والميزان... ونحو ذلك.

وترك تحديد العقوبة نوعاً ومقداراً مفوضاً إلى اجتهاد القاضي حتى تكون العقوبة محققة للغرض من تشريعها. ولا يصدر رأيه عن هوى، وإنما يلاحظ جسامة الجريمة وظروفها ومقدار ضررها وحال الجاني من كونه ارتكب جريمة أو لا أو كونه من ذوي السوابق والإجرام. ومن المعلوم أن الشريعة جاءت بمبادئ عامة وقواعد كلية، وبتطبيق هذه القاعدة على نظام العقوبات نجد الشريعة بينت بالنص القاطع لجرائم العقوبات الثابتة –والتي لا يخلو منها مجتمع ولا تتغير صورتها؛ لصلتها بثبات الطبيعة العامة للإنسان والتي بتطبيقها يحصل الأمن العام–.

أما غير هذه الجرائم فقد واجهتها بالنص على المبدأ العام القاضي بالتجريم وتركت العقوبة للسلطة المختصة –كما أسلفت–. ونحن نعلم بأن العقوبات لم تشرَّع للانتقام أو التشفي أو الامتهان لكرامة الإنسان؛ بل لحماية المجتمع من المخاطر التي تهدد أخلاقه وأمنه؛ لذا لا يكاد يخلو نظام في العالم من أنظمة عقابية أو جزائية. أما نظام التعزير في العقوبات فهو مما انفردت به الشريعة الإسلامية، والعقوبات البديلة مرتبطة بالتعازير من وجهين:

الأول: لا يوجد فيه نص شرعي؛ إذ بابه واسع في الاجتهاد وليس توقيفياً.

والثاني: هو مرتبط بحال المتهم وملابسات قضيته.

وإذا علمنا أن العقوبات التعزيرية لا يوجد محدد لها شرعاً بعكس القضايا الحدودية فإن هذا يفتح الباب لمصطلح جديد هو العقوبات البديلة عن الأحكام التعزيرية، وهذه البديلة تأتي تحت ما يسمى بالمصلحة العامة التي جاءت الشريعة بدعمها فيما لا يخالف الأحكام المحددة شرعاً. ولا يُتصور مصطلح العقوبات البديلة بأنه بديل للحكم النصي أو الخروج عنه وتجاوز له وتعدي على أحكام الشريعة؛ إذ أن فقه مقاصد الشريعة يعتبر من أهم آليات تجديد الفقه وتطويره، والتجديد الذي نسعى إليه ليس معناه التبديل، فالثوابت باقية وملزمة، ولكن فتح باب الاجتهاد أصبح من الواجبات خاصة في ظل المتغيرات المعاصرة والنوازل الواقعة [١].

أهمية البحث

١–العقوبات البديلة تعد من فقه المستجدات والنوازل التي تُنزَّل فيها النصوص على الواقعة الجديدة التي لم تكن من قبل–؛ لكونها من باب التعزير، والتعزير في الشريعة يدور مع المصلحة وجوداً وعدماً، ويمكن لكل مجتمع في كل زمان ومكان أن يوقع التعزيرات المناسبة التي تكفل صلاح المجتمع والأمة–. وإعمال لفقه الموازنات وفق قاعدة المصالح والمفاسد ومن

١- انظر: مقدمة مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات.

ذلك عدم دخول أرباب الجرائم الكبيرة والخطرة في الخيار البديل.

٢-بيان شمولية وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان وإبراز محاسنها ومرونتها لاسيما في الجوانب الجنائية والقضائية مع بيان أن من أهم الثوابت التي يقوم عليها ديننا الحنيف أنه يحدد لولي الأمر القواعد العامة التي لا تختلف باختلاف المكان أو الزمان، وترك تحديد الأحكام الخاصة له والجزئيات الدقيقة والتي لا شك أنها في تغير دائم.

٣-تظهر أهمية العقوبات البديلة في كونها تمثل مظهراً من مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية التي تقوم على اليسر، ويوصلنا إلى أن بقاء الحكم على ما كان عليه يلزم منه المشقة والضرر بالناس وهذا مخالف لقواعد الشريعة التي تدعو إلى التخفيف ورفع الحرج.

٤-أصبح للعصر ضروراته وحاجاته، وهذه وتلك ينبغي أن تفرض على الفقيه الاتجاه إلى مراعاة الواقع والاجتهاد له في الأحكام الفرعية سواء في العبادات أو المعاملات او الأحوال الشخصية أو الحدود.

٥-تمييز السياسة العقابية في الشريعة الإسلامية – التي تهدف إلى السمو بالإنسان وحمايته – عن منظومات القوانين الوضعية التي لا تراعي المصالح والإطار الأخلاقي التشريعي.

أسباب اختيار الموضوع

١- تصحيح الاعتقاد الخاطئ من عامة الناس بأن لفظ العقوبات البديلة هو إقصاء للحكم الشرعي لفظاً ومحلاً؛ لكونها بديلة للأحكام النصية في نظرهم بل ويصفون اللجوء إليها بالاستخفاف بشعائر الله تعالى وتمرداً على أحكامه وعلى الأنظمة التي سنها ولي الأمر ولا يخفى ما في ذلك من الجهل الفاضح.

٢-إعطاء الرأي الإسلامي العام والموقف الفقهي الإجمالي لهذه العقوبات على صعيد التحقيق العلمي والتأصيل الاجتهادي وتقديم الحلول الشرعية المناسبة والمقاربات الاجتهادية الممكنة.

٣-إن قضاء المملكة مستهدف ومتربص من بعض المتطرفين الذين يحاولون التشكيك في شرعية قوانينه وعقوباته ويرمونها بالوضعية المصادمة للكتاب والسنة.

٤-الاهتمام الدولي بالاتجاه إلى توسيع نطاقه وزيادة العمل به بصورة مطردة؛ لما لهذه الإحكام من آثارها الايجابية على المدى البعيد ودورها العميق في البعد السلوكي لمرتكبي الجرائم.

٥-التبصرة بأن قضائنا يعتمد تحكيم الشريعة الإسلامية التي تقضي قواعدها بالأخذ بالمقاصد والغايات وعدم الأخذ بالمنهج المجرد للظاهر.

إشكالية البحث

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الآتي: هل العقوبات البديلة تعتبر بديلاً عن الأحكام الشرعية المقررة

بالكتاب والسنة وإقصاءً لها؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية الأمور التالية:

الأول: هل هذه البدائل منضبطة بضوابط الشرع؟ وما مدى موائمتها للواقع؟

الثاني: الفرق بينها وبين التعازير، وماهي الآثار الإيجابية لتفعيلها على الفرد والمجتمع.

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها

١- العقوبات البديلة في الفقه الإسلامي: محمد محمد مصباح القاضي.

٢- العقوبات البديلة المقترحة في دول الخليج العربي: عبد الله بن عبد العزيز السعيد.

٣- الاتجاهات الحديثة في العقوبات البديلة: محمد صالح العنزي.

٤- بدائل العقوبات السالبة للحرية وأثرها في الحد من الخطورة الإجرامية: بشرى رضا راضي سعد.

٥- البدائل الاجتماعية للعقوبات السالبة للحرية: عبد الله اليوسف.

٦- العقوبات البديلة للعقوبات السالبة للحرية القصيرة المدة: أسامة الكيلاني.

فهذه الدراسات بعضها تناول البدائل من وجهة نظر قانونية وبعضها أسهب في طرح أمثلة لها في كل مجتمع وحدد الملائم لها، والبعض الآخر ركز على البديلة في قضايا الأحداث. ومنهم من تحدث عن ضرورة إدراج العقوبات المجتمعية كبديل للعقوبات السالبة للحرية. أما إضافة هذا البحث فهي بالإضافة إلى تجميع متفرق دفعت توهم كونها بديلاً عن الأحكام الشرعية.

خطة البحث

اشتمل البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة:

❖ المبحث الأول: تأصيل وتكييف العقوبات البديلة: ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم الأحكام البديلة ومدى الحاجة إليها -ويشتمل على مسألتين-:
  - المسألة الأولى: المقصود بالأحكام البديلة وأنواع الجرائم التي تدخل فيها.
  - المسألة الثانية: مشروعية تطبيق العقوبات البديلة في الشريعة الإسلامية.
- المطلب الثاني: القواعد والضوابط الفقهية التي تتخرج عليها العقوبات البديلة.

❖ المبحث الثاني: الأحكام البديلة، أقسامها وأنواعها، معوقاتها، أمثلتها، الآثار الإيجابية للعقوبات البديلة.

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: أقسام وأنواع العقوبات البديلة.
- المطلب الثاني: معوقاتها.
- المطلب الثالث: أمثلة العقوبات البديلة.
- المطلب الرابع: الآثار الإيجابية للعقوبات البديلة.

❖ المبحث الثالث: العلاقة بين الأحكام البديلة والتعزير.

منهج البحث

- اعتمدت المنهج التأصيلي والاستقرائي وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ثم بالرجوع إلى المصادر المعاصرة التي تحدثت عن العقوبات البديلة والمواضيع المتعلقة بالتعازير.
- الحرص على تدعيم البحث بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ونصوص العلماء.
- بيان مواضع الآيات القرآنية في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية وتخريج الأحاديث الواردة في ثنايا البحث من كتب الأحاديث والتخريج.

المبحث الاول: تأصيل وتكييف العقوبات البديلة

المطلب الأول: مفهوم الأحكام البديلة ومدى الحاجة إليها

لا شك أن النظام القضائي في الإسلام يأخذ بكل الوسائل التي تحقق المصالح وتدرأ المفاسد بشرط عدم تعارضها مع الشرع ومنها أخذِه بالعقوبات البديلة، والتي يقصد بها في الغالب الأعم عقوبة السجن وهذه تَبين عدم جدواها للآتي:

١-تكاليفها باهظة من عناية ورعاية وتأهيل ومتابعة للسجين.

٢-قد يقتضي الأمر وجود السجين في سجن لذوي جرائم كبيرة مع أن قضيته لا ترتقي لمستوى سجنه.

٣-توافر سبل المعيشة الميسرة له، مما لا يحقق الغرض من الردع.

٤-إن التوقيف في السجن ليس هدفاً بحد ذاته؛ بل هو وسيلة للحد من الجريمة وردع مرتكبها وذلك يتحقق في أي عقوبة بديلة ومن أجل ذلك كله ظهرت عقوبات بديلة للسجن متنوعة.

ومن المعلوم أن هذا الموضوع هو من باب التعازير الذي لا يتعلق به نص شرعي، وتتميز التعازير عن الحدود في الشريعة بأمور[١]:

١-أنها غير محددة شرعاً بمقدار ولا بنوع معين بل يقدرها بما يحقق المصلحة حسب حجم الجريمة ونوعها وحسب اختلاف الجاني والمجني عليه.

٢-لا تسقط بالشبهات كالحدود، فإنه يُحكم بثبوت موجبها مع قيام الشبهات[٢].

٣-في الحدود والقصاص يجب على الإمام تنفيذها إذا لم يكن عفو من ولي الدم-فلا يجوز للإمام أو نائبه أن يعفو إلى الدية أو إلى العفو مطلقاً إلا إذا عفا المجني عليه أو ورثته-أما التعزير فإن كان حقاً لله تعالى وجب تنفيذه ويجوز العفو والشفاعة إن رُئِي في ذلك مصلحة، وإن كان حقاً للأفراد فلصاحب الحق أن يتركه بعفو أو غيره ولو بعد رفعها للإمام[٣].

٤-التعزير يسقط بالتوبة بلا خلاف، والحدود لا تسقط بالتوبة على الصحيح إلا الحرابة فإنها تسقط

١- بدائع الصنائع: جـ ٧/صـ ٣٣؛ حاشية رد المحتار: جـ٣ صـ٢٧٣؛ فتح الوهاب: جـ٢ صـ ١٦٦؛ الأحكام السلطانية للماوردي صـ٢٣٦؛ المطلَّع على أبواب المقنع صـ ٣٧٤.

٢- المنثور في القواعد: جـ٢صـ ٢٢٦.

٣- الأحكام السلطانية لأبي يعلى: صـ٢٨١؛ الأحكام السلطانية للماوردي: صـ٢٣٧؛ حاشية ابن عابدين: جـ ٣ صـ ٢٧٣؛ المقنع: جـ ٣صـ٢٦١.

بالتوبة قبل القدرة عليهم[١] لقوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٢].

٥-العقوبة التعزيرية يجوز إيقاعها على الصبي وعلى المجنون الذي لديه بعض الإدراك؛ لأنه عقوبة تأديبية، وتأديب هؤلاء جائز إذا ثبت اقترافهم لما يستوجب التعزير، أما العقوبة الحدّية والقصاص فإنها لا توقَع على أياً من هؤلاء؛ لأن التكليف من أهم شروط إقامة الحد[٣].

٦-التعزير يختلف باختلاف الناس فتعزير ذوي الهيئات أخف من غيرهم لقول الرسول ﷺ (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود) [٤] وهذا بخلاف الحدود والقصاص فالناس بها سواء[٥].

٧-التعزير يختلف باختلاف الأعصار والأمصار، فرب تعزير في بلد يكون إكراماً في آخر.

٨-إنها تابعة للمفاسد سواء كانت جنايات أو جرائم وسواء كانت معاصي أو مجرد مفاسد، أما الحدود فإنها باستقراء أفرادها في الشرع لم توجد إلا في معصية [٦].

المسألة الأولى: المقصود بالأحكام البديلة وأنواع الجرائم التي تدخل فيها

لم أقف على تعريف علمي وفقهي دقيق للأحكام البديلة؛ ولعل السبب في ذلك عدم الذهاب بتصور المستمع لها بأن هناك عقوبة أصلية أو بديلة وهو ذات الأمر الذي يكمن وراء إطلاق لفظ (بدلائل السجون) عليها. ويمكن تحديد مفهومها بـ: الأحكام الصادرة عن القضاة على جريمة معينة لا يتعلق بها حد شرعي وهي متنوعة منها: عقوبات وإلزامات قضائية وعقوبات تتعلق بالخدمة الاجتماعية والتطوعية أو الإقامة الجبرية وغيرها من التكاليف والإلزامات التي تحقق معنى العقوبة والتقويم والإصلاح ولكن بطريقة أكثر تناسباً وفاعلية في أحوال الجناة. أما عن تعريفها اللغوي فالبدائل: جمع بديل على غير القياس الصرفي*، والبديل [٧] ما يخلف الشيء ويقوم مقامه، فالبدل لا يخرج عن كونه جعل الشيء مكان شيء آخر أو تغييره عن طريق المبادلة، فيقوم مقام المبدل ويسد مسده ويبني حكمه على حكم مبدله. وبما أن هذا المصطلح (بدائل السجن) لم يذكر في كتب الفقهاء فقد حاول البعض أن يأتي بعدة تعريفات اصطلاحية له فقد عرَّفه الذيابي [٨]: بأنه مجموعة من

١- ترتيب الفروق: جـ ٢صـ٣٢٥.
٢- سورة المائدة آية٣٤.
٣- نهاية المحتاج: جـ٨صـ١٩؛ كشَّاف القناع: جـ٦صـ١٢٤.
٤- رواه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار، رقم ٤٢٩٤٦، وأبو داوود في كتاب الحدود، باب في الحد يشفع في رقم ٤٣٧٥، والنسائي في الكبرى: جـ٢ صـ١١٢٩برقم (٧٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى جـ٨ صـ٤٦٥رقم (١٧٢٢٩) و (١٧٦٢٨) عن عائشة رضي الله عنها. انظر سبل السلام: جـ٢صـ٥٢.
٥ -الأحكام السلطانية لأبي يعلى: صـ٢٧٩؛ الظروف المخففة والمشددة في عقوبة التعزير في الفقه الإسلامي: صـ٢٦١.
٦- الفروق: جـ٤ صـ١٨٠؛ الذخيرة: جـ ٨ صـ٢٧١؛ الأشباه والنظائر للسيوطي: صـ٧٤٨.
* وأشار إلى ذلك الذيابي أيضاً حين أفاد أنه لم يجد حسب بحثه في كتب اللغة في مادة بدله: أن بديل يُجمع على بدائل وإنما الصحيح لجمع بديل هو إبدال ولكن رأى الأخذ بجمع بدائل لبديل وإن كان مخالفاً للقياس الصرفي إلا أنه يمكن تخريجه على ما ذكره بعضهم من أن مثل هذا الجمع يستعمل بقلة ومن ثم فهو جائز في الاستعمال.
٧- القاموس المحيط صـ ١٢٤٧؛ لسان العرب جـ١١صـ ٤٨.
٨- في رسالة بدائل السجن؛ دراسة مقارنة.

التدابير التي تحل محل السجن لإصلاح الجاني وحماية الجماعة أو التثبت من المتهم والكشف عن حاله. وعرفها فؤاد عبد المنعم [١]: نظام يتيح إحلال عقوبة من نوع معين محل عقوبة من نوع آخر قضائياً، سواء تم الإحلال ضمن حكم الإدانة أو بعده، ويتم ذلك عند تعثر تنفيذ العقوبة الأصلية، أو قيام احتمال تعذّر تنفيذها أو إذا كانت العقوبة البديلة أكثر ملائمة من حيث التنفيذ بالقياس إلى العقوبة المحكوم بها بداية منظوراً في ذلك حالة المتهم كما عرَّفه البعض[٢] بأنه استخدام عقوبات غير سجنية بدلاً من العقوبات البديلة السجينة وهذا يخرج العقوبات المقيدة للحرية من مفهوم الإجراءات البديلة عن الحبس.

وعُرِّف أيضاً [٣] باتخاذ عقوبات غير سجنية ضد المذنبين، فهذا التعريف يحصرها (البدائل) في عقوبة المذنبين وسواء كانت تلك الإجراءات البديلة المتخذة قبل المحاكمة أو اثناءها أو بعدها [٤] فهناك بدائل للقبض والتحقيق وبدائل للمحاكمة إلى جانب بدائل لعقوبات صدر الحكم بها، فمجال تطبيق البدائل ليس منحصراً في عقوبة بل إنها قابلة للتطبيق في جميع مراحل الدعوة الجنائية.

وقد عرَّفه من أعد مشروع [٥] بدائل السجن المقترح في وزارة العدل بالمملكة بأنه: مجموعة من التدابير التي تحل محل عقوبة السجن وتعمل على تطبيق سياسة منع الجريمة.

ويمكن الاتيان بتعريف قريب إلى تعريفات الفقهاء فيقال بدائل السجن اصطلاحاً ما يحل محل السجن في تحقيق المصلحة الشخصية للفرد والجماعة من عقوبات التعزير [٦].

فكل هذه التعاريف وإن اختلفت مصطلحاتها إلا أنها تتفق في إحلال عقوبة بديلة محل الأصلية السالبة للحرية وهي الحبس أو السجن غالباً، والهدف هو لإصلاح المتهم وزجر الآخرين والحيلولة دون دخول من يحكم عليه بها السجن، فهي إذا تخضع لكافة المبادئ التي تخضع لها العقوبة الاصلية وبالتالي لا يختلف تعريف العقوبة البديلة عن تعريف الأصلية من حيث كونها عقوبة يفرضها الشارع الجزائي على من ارتكب الجريمة أو ساهم فيها بدلاً من العقوبة المتمثلة في الحبس.

والجرائم التي تدخل في العقوبات البديلة هي كل جريمة لم يرد فيها حد شرعي مقدر ويعرفها الفقهاء بالتعزير وهو كل معصية لا حد فيها ولا كفارة [٧] – كما أسلفت– كالمعاكسات وأنواع من التحرش

١-مفهوم العقوبة وأنواعها في الأنظمة المقارنة: بحث مقدم في ملتقى الاتجاهات الحديثة.
٢- الفكر الشرطي: صـــ١٢٤.
٣- انظر المرجع السابق.
٤- أنواع العقوبات البديلة التي تطبق على الكبار صـــ ٦.

٥- مسودة مشروع نظام العقوبات البديلة المقترح والمرفوع من قبل وزارة العدل بالمملكة باعتماده بعد دراسته وهو عبارة عن ثلاثة وثلاثين مادة صـــ٣.
٦- الخلاصة في أحكام السجن في الفقه الإسلامي: جـــ١صـــ٨١.
٧- الأحكام السلطانية للماوردي: صـــ ٢٣٦؛ المبدع: جـــ ٩صـــ١٠٨؛ الأشباه والنظائر للسيوطي: صـــ٣٩٨.

الجنسي والسرقة التي لا قطع فيها لكونها لم تتوفر فيها شروطها.

المسألة الثانية: مشروعية تطبيق العقوبات البديلة في الشريعة الإسلامية

لا شك ان السجن ليس عقوبة أصلية في الشريعة الإسلامية حتى نبحث لها عن بديل، إنما العقوبات البديلة مشروعة للقضاة ليختاروا من بينها ما يتفق مع مقاصد الشريعة من تطبيق سياسة العقوبات.

وليس في تشريعنا الجنائي أيضاً بدائل لأصوله فكل ما يحقق المصلحة الشرعية يعد أصلاً في العقوبة، والنظام الجزائي في قضائنا غير مقنن باستثناء ما ورد في بعض الأنظمة من تعزيرات لجرائم المخدرات والرشوة والتزوير وغسل الاموال ونحوها فالقضايا التعزيرية واسعة وقابلة للتنوع والتغبير بحسب أحوال الزمن والوقائع. والقول بمشروعية تطبيق العقوبات البديلة في الشريعة الإسلامية يستند إلى أدلة متكاثرة منها:

١-ما فعله النبي ﷺ مع بعض أسرى بدر عندما طلب منهم تعليم أبناء المسلمين الكتابة بدلاً من دفع الفداء المالي [١]. فهذا الحديث وإن كان ليس بصريح في الدلالة على المسألة التي نجن بصددها إلا أنه يفيد بأن استبدال العقوبة المالية (وهي مبلغ الفداء) بعمل يخدم فئة من المجتمع وهو تعليم الكتابة للصغار له أصل في الشريعة الإسلامية من فعل النبي ﷺ وبناءً عليه فلا مانع من التعزير بذلك وأمثاله إذا كان فيه مصلحة.

٢-إن استعمال السجن كان محدوداً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث ثبت أن رسول الله ﷺ (حبس رجلاً في تهمة) [٢] أما في عهد عمر والخلفاء من بعده فقد زادت الحوادث الموجبة له فيُستدل من ذلك بأن السجن لم يكن العقوبة الأساسية للجرم المقترف.

٣-القياس على الجزاء لمن ترك أفعال الإسلام الظاهرة كأن يترك قوم الصلاة في الجماعة أو إقامة الأذان أو الامتناع عن الزكاة، ويشهد لذلك توعد الرسول ﷺ وتهديده لمن منع الزكاة بأنه سيأخذها منه ويأخذ معها نصف ماله[٣] عقوبة له على جريمة المماطلة بالزكاة المفروضة وكان بإمكانه حبسه بعد أخذ الزكاة منه، كما عزر ﷺ بالهجر في حق الثلاثة الذين ذكرهم الله في القرآن فهجروا خمسين يوماً لا يكلمهم أحد، وأخرج الرسول ﷺ المخنثين من المدينة ونفاهم وفعل الصحابة كذلك معهم، وقام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بهجر صُبيغ الذي كان يسأل عن الذاريات وغيرها ويأمر الناس بالتفقه في

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس برقم (٢١٠٦).

٢- أخرجه الترمذي في سننه كتاب الديات باب ما جاء في الحبس في التهمة برقم (١٤١٧) جـ٤صـ ٢٨؛ وأبو داوود في كتاب الأقضية باب في الحبس في الدين رقم (٣٦٣٠) جـ٣صـ٣١٤؛ والحاكم في المستدرك رقم (٤٣) جـ١صـ٢١٤ وله شواهد من حديث أبي هريرة وحديث أنس وحديث نُبيشة. انظر نصب الراية جـ ٣ صـ٣١٠؛ التلخيص الحبير جـ ٣صـ٤٠.

٣- انظر سنن أبي داوود جـ٢ صـ٢٣٣؛ سنن الدارمي جـ١صـ ٤٨٦ رقم ١٦٧٧.

المشكلات من القرآن وضربه ضرباً شديداً ونفاه إلى البصرة وأمر بهجره لا يكلمه أحد حتى تاب [١].

٤-القياس على الكفارات فقد جعل الشارع فيها زواجر بأعمال تعبدية محض كالصوم، والمقصود بالكفارة في الشرع [٢] ما يقوم به المذنب من عتق أو صيام أو إطعام لفعله ما يستوجبها. واستعملت الكفارة كعقوبة أصلية في القتل الخطأ، وتأخذ صورة عتق رقبة مؤمنة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فالصوم يكون عقوبة بدلية [٣] إذا امتُنع تنفيذ العقوبة الأصلية. والكفارة في جميع صورها عقوبة ذات طابع مالي، وقد تكون مصاحبة لعقوبة مقدرة كالدية في القتل الخطأ، وقد تكون مصاحبة لعقوبة غير مقدرة وهي التعزير. وأصل العقوبة البديلة موجود في مدونات الفقه الإسلامي -وإن لم يُذكر باللفظ- ففي المذهب الحنبلي قال بعضهم [٤] يُكلف المعسر بالعمل حتى يُسدد ما في ذمته. وورد في الأشباه والنظائر للسُبكي [٥] قاعدة كل من وجب عليه الحبس بدين فقال صاحب الدين لا يُحبس-وأنا أُلازمه - كانت الملازمة أحق- إلا أن يقول المديون أحبسني وامنعهُ من ملازمتي فيُنظر-. وقال أبو بكر الطرطوسي في أخبار الخلفاء المتقدمين [٦] أنهم كانوا يعاملون الرجل على قدره وقدر جنايته، فمنهم من يُضرب، ومنهم من يُحبس، ومنهم من يُقام واقفاً على قدميه في المحافل، ومنهم من تُنزع عمامته، ومنهم من يُحل إزاره.

وقال القرافي [٧] إن التعزير يختلف باختلاف الأعصار والأمصار، فرُبَّ تعزير في بلد يكون إكراماً في بلد آخر كقطع الطيلسان ليس تعزيراً في الشام بل إكرام، وكشف الرأس عند الأندلس ليس هواناً وبمصر والعراق هوان. وفي وقتنا الراهن نجد أن العلماء نوَّعُوا -في باب التعازير-بالعقوبات وتوسعوا في أدواتها من التوبيخ إلى ما هو أكبر وبما يتناسب مع نوع الجرم المُقترف مع مراعاة حال المُعاقب وتحري الأصلح للمجتمع؛ حِفاظاً على حقوقه ومصالحه.

المطلب الثاني: القواعد والضوابط الفقهية التي تتخرج عليها العقوبات البديلة.

هناك عدد من القواعد التي يمكن أن تستند إليها بدائل السجن نظراً وتطبيقاً وهي:

القاعدة الأولى: كل تصرف لا يترتب عليه مقصودة لا يشرع ويبطل إن وقع [٨].

التصرف المحكوم عليه في هذه القاعدة يدخل تحته كل تصرف سواء كان تصرفاً مالياً أم تصرفاً غير مالي كالحدود والتعزير وغيرهما. والسجن تصرف من تصرفات الولاة، وإذا لم يحقق المقصود منه فإنه لا يجوز الأخذ به، بل يعد الأخذ به حينئذٍ محرماً

١- معين الحكام: صـــ ١٩٥؛ الفروق: جـــ ٤صـــــ٢٠٥.
٢-تحرير التنبيه: صـــ١٢٥؛ الكفارات في الشريعة الإسلامية: صـــ ٦.
٣-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: جـــ١صـــ٢١١.
٤-شرح منتهى الإرادات: جـــ٢ صـــ٢٧٦ – ٢٧٧.
٥-جـ١ صـــ ٣١٨ وانظر أيضاً المهذب: جـــ ٣ صـــ٢٤٤؛ روضة الطالبين: جـ٤ صـــ١٣٦ – ١٣٧.
٦-صـــــ٢٩١.
٧-في الفروق: جـــ٤ صـــــ١٨٣.
٨-القواعد الكبرى للعز بن عبد السلام: جـــ٢/٢٤٩؛ الذخيرة: جـــ٤/٣٤١؛ الفروق: جـــ٤/١٨٤؛ المجموع المُذَهَّب للعلائي: جـــ٢/٣٤٦.

شرعاً. ويترتب على ذلك أن يؤخذ ببدائله. والسجن جنس واحد، والجنايات متفاوتة من حيث الجسامة، ومن حيث قصد الجاني وعدم قصده، وتكرار الجناية من عدمها، ومن حيث خطر الجاني، والسجن وحده قد لا يكون محققاً المصلحة المقصودة ويلزم من هذا إيجاد بدائل للسجن تحقق المصلحة الشرعية المقصودة من تشريع التعزير [١].

القاعدة الثانية: الأصل ملائمة العقوبات التعزيرية للجنايات [٢].

بناءً على هذا الأصل مع ما عُرف من أن السجن لا يلائم كل الجنايات فإن إقامة بدائل للسجن أمر لابد منه.

القاعدة الثالثة: مهما حصل التأديب بالأخف من الأفعال والأقوال والحبس والاعتقال لم يعدل إلى الأغلظ؛ إذ هو مفسدةً لا فائدة فيه؛ لحصول الغرض بما دونه [٣].

هذا الضابط الذي نص عليه العز بن عبد السلام واضح الدلالة على المراد إذ كل فرد من أفراد التعزير ومنها السجن إذا كان غيره أقوم بالمصلحة منه فإنه لا يعدل إلى الأشد الأغلظ.

القاعدة الرابعة: يُغتفر في الوسائل مالا يُغتفر في المقاصد.

ومعناها أن حكم الوسيلة إلى الشيء يختلف عن حكم غايته ومقصوده ومثالها: جواز تعزير المتهم بما يراه القاضي للتوصل إلى معرفة الحق، والأصل منع التعدي والأذى إلا بعد ثبوت الإدانة [٤]. وهذا يدل على أن السجن ليس الوسيلة الوحيدة لتحقيق المقصد. ويرى بعض الفقهاء أنه لابد للمفتي والقاضي من اعتبار الأحكام التي تتعلق بالوسائل، والأحكام التي تتعلق بالمقاصد، فلابد من التفريق عند الفتوى أو الحكم من اعتبار الوسائل والمقاصد حيث إن لاعتبارهما تأثيراً في الحكم، فإذا التزم المفتي والقاضي هذه القاعدة أفادتهما كثيراً في التوصل إلى الحق الذي ينبغي بذل الجهد من أجل إصابته [٥].

المبحث الثاني: الأحكام البديلة، أقسامها وأنواعها، معوقاتها، أمثلتها، الآثار الإيجابية لها.

المطلب الأول: أقسام الأحكام البديلة وأنواعها:

العقوبات البديلة إذا كانت بديلة عن الأحكام الشرعية والتقريرية الشرعية فهذه باطلة أما إن كانت من باب الاجتهادات التعزيرية التي يقوم بها القاضي فلا بأس بها مع ضرورة مراعاة نفسية وعقلية من ستُطبق عليه العقوبة وغيرها من الضوابط السابق ذكرها. والعقوبات البديلة هي عقوبات أصلية قبل أن تكون بديلة، وإنما تُعتبر بديلة لما هو أشد منها إذا أُمتنع تطبيق العقوبة الأشد، فالدية عقوبة أصلية في القتل شبه العمد، ولكنها تعتبر عقوبة بديلة بالنسبة للقصاص [٦]، والتعزير عقوبة أصلية في جرائم

١-بدائل السجن – دراسة فقهية-للطيب السنوسي أحمد، صـ١١٦.
٢-الفروق: جـ٤/١٧٩.
٣-القواعد الكبرى للعز بن عبد السلام: جـ٢/١٥٧.
٤-الاعتصام: جـ٢/١٠٢.
٥-القواعد الفقهية الكبرى: صالح السدلان صـ٦٧.
٦-فقه العقوبات: صـ٧١.

التعازير[١] ولكن يُحكم به بدلاً من القصاص أو الحد إذا امتنعا لسبب شرعي. والعقوبات البديلة يمكن تصفيفها على عدة معايير تصنيفية، فبالنظر إلى تعينها وعدم تعينها يمكن أن تُقسم إلى ثلاثة أقسام:

١-ما يتعين في البديل؛ لعدم تحقيق الحبس للمصلحة الشرعية، بأن يكون مثلاً في الحبس ظلم أو مفسدة ظاهرة للمسجون فالبديل هنا عن أصل وهو السجن.

٢-ما يتعين فيه الحبس لعدم تحقيق البديل للمصلحة الشرعية؛ وذلك إذا كان السجن هو الوحيد بين أفراد التعزير الذي يُحقق المقصود، سواء حماية المجتمع أو إصلاح الجاني أو حفظ الحقوق.

٣-ما لا يتعين فيه أحدهما، بل يختار ولي الأمر ما يراه راجحاً من أفراد العقوبات التعزيرية وقد أشار القرافي [٢] إلى نماذج من موجبات السجن نذكر منها: حبس الجاني لغيبة المجني عليه؛ حفظاً لمحل القصاص وحبس الممتنع عن دفع الحق وحبس الجاني تعزيراً وردعاً عن معاصي الله، وحبس الممتنع في حق الله الذي لا تدخله النيابة كالصوم عند الشافعية، وحبس من أقر بمجهول عين أو بشيء في الذمة وامتنع من تعيينه فيجب حتى يُعينهما.

ثم أشار إلى ما تتعين فيه البدائل قائلاً [٣] ولا يجوز الحبس في الحق إذا تمكن الحاكم من استيفائه، فإن امتنع من دفع الدين ونحن نعرف ماله أخذنا منه مقدار الدين ولا يجوز لنا حبسه، وكذلك إذا ظفرنا بماله أو داره أو شيء يُباع له في الدين كان رهناً أم لا فعلنا ذلك، ولا نحبسه؛ لأن في حبسه استمرار ظلمه ودوام المنكر في الظلم وضرره هو مع إمكان ألا يبقى شيء من ذلك كله. ومن ناحية أخرى يُقسم البديل إلى قسمين، بديل عن أصل السجن وبديل عن بعض المدة المقررة. وبالنظر إلى نسبتها إلى السجن في الشدة والضعف تنقسم إلى بدائل أشد من السجون وبدائل أخف منه. وبالنظر إلى نوع البديل تُقسم إلى بديل مالي وبديل غير مالي وبديل حسي وبديل معنوي.

وتُصنف على حسب المراحل التي تمر بها القضية إلى: بدائل التحقيق، وبدائل المحاكمة، وما بعد صدور الحكم والتنفيذ. وتُصنف حسب نوع الجريمة: بدائل لجرائم المخدرات، وبدائل لجرائم الأخلاقيات، وجرائم الأموال، والجرائم القاصرة، والجرائم المتعدية، والمخالفات، والجنح البسيطة، والجرائم الخطيرة. وبحسب معيار وطبيعة التدبير المُتخذ ومحله تُصنف إلى مالية وبدنية ومعنوية.

وإذا تقرر بأن العقوبات البديلة هي عقوبات تعزيرية، وأن أنواع العقوبة في الإسلام تتنوع بالنظر إلى علاقة كل منها بغيرها من العقوبات؛ فلذلك نذكر أقسام العقوبة؛ لنبين بأن البدائل لا تخرج عن هذه الأقسام.

١-حقوق الإنسان بعد المحاكمة في الفقه والنظام وتطبيقاتها: صـــــ٢٥.
٢-في الفروق: جـــ ٤ صـــــ ٧٩.
٣-المرجع السابق: جـــــ٤ صـــــ٨٠.

فالعقوبة تنقسم بحسب ذاتيتها أو الرابطة القائمة بينها إلى [١]:

١-عقوبة أصلية: وهي العقوبات المقررة أصلاً للجريمة كالقصاص للقتل، والرجم للزنا، والقطع للسرقة.

٢-عقوبة بديلة: سبق تعريفها بأنها عقوبة تحل محل أصلية إذا ما أُمتنع تطبيق العقوبة لسبب شرعي ومثلها الدية إذا دُرأ القصاص عن القاتل عمداً أو عفا وليّ المجني عليه عن القصاص ورضي بالدية [٢] وكالتعزير إذا دُرأ الحد أو القصاص.

٣-عقوبة تبعية: وهي العقوبة التي لا تتقرر إلا مع العقوبة الأصلية، فلا يمكن تطبيقها إذا لم توجد عقوبة أصلية، فتصيب الجاني بناءً على الحكم بالعقوبة الأصلية ودون حاجة للحكم العقوبة التبعية. ومثلها حرمان القاتل من الميراث، فالحرمان يترتب على الحكم على القاتل بعقوبة القتل ولا يُشترط فيه صدور الحكم بالحرمان [٣] وكعدم أهلية القاذف للشهادة، فعدم الأهلية لا يُشترط أن يصدر به الحكم وإنما يكفي لانعدامها صدور الحكم بعقوبة القذف [٤]. ومثالها أيضاً الحرمان من بعض الحقوق والمزايا كتولي بعض الوظائف والخدمات العامة التي لها علاقة بالجريمة المرتكبة، وحرمان المحكوم من حمل السلاح وحيازته.

٤-عقوبة تكميلية: وهي عقوبة تتبع العقوبة الأصلية، فتصيب الجاني بناءً على الحكم بالعقوبة الأصلية، ولكن بشرط أن يحكم بالعقوبة التكميلية. والعقوبات التكميلية تتفق مع التبعية في أن كليهما مترتبة على حكم أصلي، ولكنهما يختلفان في أن العقوبة التبعية تقع دون إصدار حكم خاص بها، أما التكميلية فتستوجب صدور حكم بها، ومثل العقوبة التكميلية تعليق يد السارق في رقبته [٥] بعد قطعها حتى يطلق سراحه، فإن تعليق يد السارق مترتب على القطع ولكنه لا يجوز إلا إذا حكم به. ومنها تغريب الزاني غير المحصن.

وتنقسم العقوبات من حيث سلطة القاضي في تقديرها إلى:

١-عقوبات ذات حد واحد: وهي التي لا يستطيع القاضي أن ينقص منها أو يزيد فيها ولو كانت تقبل بطبيعتها الزيادة والنقصان كالتوبيخ والنصح وكالجلد المقرر شرعاً.

٢-عقوبات ذات حدين: وهي التي لها حد أدنى وحد أعلى ويترك للقاضي أن يختار من بينها القدر الذي يراه ملائماً كالحبس والجلد في التعازير.

وتنقسم من حيث وجوب الحكم بها [٦] إلى:

١-عقوبات مقدرة: وهي التي عين الشارع نوعها وحدد مقدارها وأوجب على القاضي أن يوقعها دون

١- التشريع الجنائي في الإسلام: جـــ ١ صـــ٦٣٢؛ شرح قانون العقوبات: صـــ٦٩٠ – ٧٨٠؛ النظرية العامة للقانون الجنائي: صـــ٧٨١ – ٧٨٢.
٢-بدائع الصنائع: جـــ٣ صـــ ٤٧٩.
٣-المبسوط: جـــ ٧ صـــ٥٩٠.
٤- التشريع الجنائي: جـــ١ صـــ٥٤٤.

٥- (حلية الأولياء جـــ ١٤٨/٥ عون المعبود: جـــ٥٨/١٢؛ زاد المعاد: جـــ ٥ صـــ ٤٩؛ حقوق الجاني بعد صدور الحكم: صـــ٦١؛ حقوق الإنسان بعد المحاكمة في الفقه والنظام: صـــ٢٦).
٦-(الجرائم الجنائية وعقوباتها المقدرة في التشريع الجنائي الإسلامي: صـــ ٤٧؛ بدائل العقوبات السالبة للحرية بين الواقع والمأمول: صـــ١٩).

أن ينقص منها أو يزيد فيها أو يستبدل بها مثل القصاص والحدود الخمسة ويسمى هذا النوع بالعقوبات اللازمة؛ لأن ولي الأمر ليس له إسقاطها ولا العفو عنها.

٢-عقوبات غير مقدرة: وهي التعزيرات التي لم يحدد له الشرع نوعاً ولا مقداراً معيناً وإنما فوضها إلى تقدير الحكام لتطبيق ما يرونه محققاً للمصلحة بحسب ظروف الجريمة وحال المجرم ودوافعه وبواعثه. وتسمى بالعقوبات المخيرة؛ لأن للقاضي أن يختار من بينها. ويشمل هذا النوع العقوبات المشروعة على كل معصية أو منكر أو إيذاء لأحد فيه سواء بالقول أو بالفعل أو بالإشارة وسواء أكانت الجريمة انتهاكاً للحرمات الدينية أم الاجتماعية كالأكل في نهار رمضان بغير عذر، وترك الصلاة والاستهزاء بالدين والإخلال بالآداب العامة أو كانت اعتداء على حق شخصي.

وتنقسم من حيث محلها [١] أو متعلقاتها إلى:

١-عقوبات بدنية: وهي العقوبات التي تقع على جسم الإنسان كالقتل والجلد والحبس والرجم. والجرائم الموجبة للعقوبات البدنية ثلاث عشرة جريمة: القتل والجرح والزنا والقذف والخمر والسرقة والبغي والحرابة والردة والزندقة وسب الله وأنبيائه والملائكة وعمل السحر وترك الصلاة والصيام.

٢-عقوبات مالية: وهي التي تصيب مال الشخص كالدية والغرامة والمصادرة والإتلاف.

٣-عقوبات مركبة منهما: كجلد السارق من غير حرز مع إضعاف الغرم عليه.

٤-عقوبات سالبة للحرية أو مقيدة لها: مثل السجن والتغريب.

٥-عقوبات نفسية: وهي التي تقع على نفس الإنسان دون جسمه كالنصح والتوبيخ والتهديد واللوم.

المطلب الثاني: معوقات تفعيل البدائل

هناك معوقات تسهم بشكل مباشر في تعثر الأحكام للعقوبات البديلة ومنها [٢]:

- عدم وجود أنظمة وضوابط وآلية واضحة ومتكاملة للعقوبات البديلة تضبط مجالات تطبيقها وتحدد أسبابها ووسائلها وعقوباتها وتضمن طرق تنفيذها؛ ليسترشد القضاة بذلك وبالتالي يتعذر تنفيذ بعض العقوبات البديلة لانعدام هذه اللوائح التنفيذية المرشدة والبنية الأساسية لإنجاح المسارات البديلة بما يُحقق المقصود منها؛ إذ ليس الهدف هو مجرد الحكم بها وإنما الهدف تحقيق الغاية من تطبيقها؛ ولعل من أسباب غياب آلية التنفيذ هو طبيعة هذه البدائل وكونها تحتاج لكوادر متخصصة في التطبيق ذات تأهيل خاص في الجوانب النفسية والاجتماعية لا تتوفر عند من يباشر التنفيذ حالياً.

- العقوبات البديلة لا يمكن أن تكون صالحة لكل الحالات، كما أنها لن تكون بديلاً عن العقوبات التي يُوقعها القاضي على المدانين في الجرائم الكبيرة.

١-الجرائم الجنائية وعقوباتها المقدرة في التشريع الجنائي الإسلامي: صـ٤٨.

٢-بدائل العقوبات السالبة للحرية بين الوقع والمأمول: صـ٩٦-١٥١-١٥٦؛تجارب الدول الأخرى لعقوبة السجن: صـ١٤٥.

– عدم تقبل المجتمع لهذا النوع من العقوبات؛ لاعتقاد البعض بأنها تنطوي على نوع من التساهل مع منتهكي الأنظمة والآداب العامة مع العلم أن المطالبة بالتوسع في استخدام بدائل لعقوبة السجن لا يعني إلغاء عقوبة السجن والتساهل مع المجرمين وإنما البحث عن العقوبة الأقرب لتحقيق مقصود الشارع من تشريع العقوبات.

–العقوبات البديلة –إذا كانت عبارة عن عقوبات مالية–قد تشجع الشخص على تكرار فعلته، لاسيما إذا لم تكن لديه مشكلة في دفع المال وخير مثال على ذلك المخالفات المرورية؛ فالذي يُسرع يعرف عقوبة سرعته المالية مع ذلك قد يكرر الدفع عشرات المرات.

–قد يخضع هذا النظام في حال تطبيقه للواسطة – طالما أنها لا تخضع لمسمى شرعي– أو للعوامل الشخصية (الميل، المال، الغضب...).

– العقوبات البديلة ما زالت محدودة التطبيق والموجود منها يمثل حالات اجتهاد، على الرغم من أهميتها الشرعية القضائية الواضحة والحاجة القائمة للعمل بها؛ لذلك لابد من تفعيل هذه العقوبات لتخرج من مرحلة الاجتهاد الفردي إلى الاجتهاد الجماعي والمدعوم بالخبراء في علم الاجتماع والنفس؛ ولتدل دلالة واضحة على سمة الإسلام الحقيقي الذي طابعه التسامح واللطف في المعاملة ولتبين بأن البديلة ليس فيها تمييع للأحكام والعقوبات، وإنما هدفها التهذيب والإصلاح الجماعي.

– الخلاف حول من يتولى تنفيذ العقوبات البديلة التي لا تتضمن سجناً كخدمة المجتمع؛ حيث نجد أن المتبع في كثير من الدول أن وزارة الشؤون الاجتماعية وهي جهة مدنية هي التي تتولى التنفيذ، وهناك اختلاف في طريقة التنفيذ من جهة إلى أخرى مما يجعل القضاة في شك من ذلك ومن ثم يتوجهون إلى عقوبة سهلة وفيها مساواة في التطبيق وفيها انتقام.

– البدائل تستلزم إشراك جهات غير قضائية ولا أمنية كوزارة الشؤون الاجتماعية في التنفيذ.

– غياب الإشراف القضائي على تنفيذ العقوبات، وعدم وجود قاض مختص بالإشراف على تنفيذ العقوبات أدى إلى عدم الثقة بجدوى الحكم بهذه البدائل.

– إن الأنظمة الموجودة كأنظمة مكافحة الغش التجاري والرشوة والتزوير ونظام المرور ونظام مكافحة المخدرات وغيرها لم تدرج هذا النوع من البدائل بالشكل الكافي.

– بعض الجهات الحكومية تساهم بشكل غير مباشر في تعطيل الأحكام عبر تقاعسها عن مطالبة منسوبيها بالمثول أمام الجهات التنفيذية التي تطلب استدعائهم وحضورهم، فضلاً عن التراخي في تفعيل البرنامج الإلكتروني لمتابعة تنفيذ الأحكام.

– عدم توافر دراسات وإحصاءات حول مزايا تطبيق هذا المفهوم، وهذا راجع لضعف الإمكانات البشرية والمادية المتاحة.

– إن استراتيجية البدائل طُبقت بطريقة كانت تعطي استخدام السجن أولوية في ذهن القضاة؛ حيث إن العقوبات الأخرى (البديلة لعقوبة السجن) كان يُنظر إليها على أنها لينة لا تفي بالغرض المطلوب من معاقبة المجرم وهنا تكمن الإشكالية، فلابد إذاً من العمل على تغيير موقف القضاة من قضية الحكم بالسجن للتخفيف من مأساة السجون.

– الاختلاف في البنية التنظيمية لكل من السجون والعقوبات البديلة لها؛ فالسجون تعتبر جزءً من النظام الجنائي الرسمي وتعمل وفقاً لضوابط وقوانين رسمية مما يجعل ثقة القضاة فيها كعقوبة كبيرة على عكس بعض العقوبات البديلة التي لا تتضمن عقوبة السجن، حيث إن بعض القضاة في بعض الدول لا يثقون بها ولا يريدون التعامل معها.

– الغموض وعدم الوضوح الذي قُدمت به العقوبات البديلة وكيفية تطبيقها، مما أثار الكثير من الجدل والنقاش وسوء الفهم حيال استخدامها، وجعل إصدار حكم بثلاثة أشهر إلى ستة أشهر أسهل وأكثر قبولاً لدى العديد من القضاة إضافة إلى هذا فإن الحكم التعزيري في القضاء وخاصة في البدائل عادة ما يكون فيه تباين اجتهادي بين القضاة.

المطلب الثالث: العلاج لمعوقات تفعيل البدائل.

الأصل في العقوبات البديلة عدم حصرها؛ نظراً لتبعيتها لاجتهاد بعض القضاة وارتباطها بتحقيق المصلحة الشرعية المقصودة، ولذلك فهي تختلف باختلاف الأشخاص والجرائم والمجتمع.

١–المراقبة القضائية: وهي إجراء قضائي تتخذه المحكمة بحق المجرم بعد إدانته نهائياً عن جريمة ما. حيث تأمر المحكمة بإطلاق سراحه تحت شروط تحددها هي وبإشراف ومراقبة شخصية من قبل هيئة أو إدارة المراقبة القضائية المختصة، وهي نوع من المعاملة الإصلاحية تهدف إلى إعادة بناء شخصية المجرم البالغ أو الحدث الجانح؛ لاجتياز ما بقي من مدة حكمه بسلوك حسن خارج المؤسسة العقابية ومساعدته على تعديل مسيرة حياته. أما الحكم المعلق فهو تعليق إصدار الحكم النهائي في القضية بهدف الرأفة بالمجرم وتخفيف العقاب عنه [١].

٢–الإلزام بالعمل لمصلحة المجتمع [٢]: وهو إلزام المحكوم عليه بالعمل مقابل قليل من المال يسد حاجته وأسرته؛ خدمة للصالح العام في إحدى المؤسسات العامة أو المشروعات سواء كانت زراعية أم صناعية أو خدمية أو الجمعيات أو غيرها عدداً من الساعات خلال مدة معينة تحدد ف بالحكم، وقد يخصص جزء من أجر العمل الإلزامي لتعويض المجني عليه. فهذه العقوبات الخدمية والتطوعية يقدرها القاضي محاولاً في الوقت نفسه رفع معنويات السجين بنوعية هذه البدائل. وهناك عقوبات إصلاحية مثل إلزامه بدخول دورات ومحاضرات تأهيلية وتثقيفية تهدف إلى تعديل السلوك وزرع الخير في المذنب بهدف إصلاحه. ومنها عقوبات علاجية كإلزامه بدخول المستشفى للعلاج مثل

١-علم النفس العقابي: صـــ٢٥٤.

٢- التأهيل الاجتماعي في المؤسسات العقابية: صـــ٤٥.

مدمني المخدرات أو المرضى النفسيين الذين بسبب المرض ارتكبوا جرائم، ومجموع هذه العقوبات هو ما يسمى بنظام تحويل الدعوة الجنائية إلى الطريق الغير جنائي وهو أسلوب حديث يسمح بتفادي الحبس في أحوال معينة بالنسبة للمحكوم عليهم. ويطبق هذا النظام بصورة كبيرة في أمريكا لمتابعة المدمنين على المخدرات والكحول خاصة إذا رأى القاضي أن الطريق الجنائي لن يجدي نفعاً. وهناك نوع أخر من البدائل وهو تخفيف العقوبة في مدة السجن لحين التزامه بالسلوك والأخلاق والصلاة داخل السجن أو المشاركة في تدريب السجناء في المهن التي يتقنونها أو المساهمة في تنظيم أعمال المرور أثناء الأعياد والمباريات [١]. ومن المجالات المقترحة في مجال العمل لمصلحة المجتمع: المشاركة في أعمال يدوية أو مهنية مثل نظافة المساجد والاهتمام بها ولاسيما في رمضان وخدمة الصائمين في مشروع تفطير الصائم أو المساهمة في تنظيم ومراقبة الأسواق التجارية والمسالخ في الأيام المزدحمة كشهر رمضان أو إجازتي العيدين وأيام العطل الأسبوعية أو مساعدة المرضى والمعوقين ومن فيحكمهم لمدة معينة [٢].

٣-الحرمان من الحقوق: كالمنع من السفر [٣] – وهو إجراء تحفظي يقصد به منع الشخص بأمر من السلطة المختصة من مغادرة البلاد لحين البت في المنازعة أو انتهائها إما صلحاً وإما قضاءً أو بمضي المدة المحددة في أمر المنع دون صدور أمر بتجديدها أو بصدور أمر لإلغاء المنع من السلطة المختصة. ويترك القاضي تقدير العقوبة لما يحقق المصلحة الشرعية [٤] – أو سحب رخصة القيادة، وذكر أهل العلم أمثلة للحرمان تندرج تحت قاعدة من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه وذكروا منها حرمان القاتل من الإرث، ومسألتنا مندرجة ضمن هذه القاعدة، لاسيما إذا أوقعنا هذه العقوبة على صاحب الصنعة الجاني بصنعته ومنع من يغش في البيع من البيع. قال شيخ الإسلام: ومن عُلم منه أنه يغبنهم فإنه يستحق العقوبة، بل يُمنع من الجلوس في سوق المسلمين حتى يلتزم طاعة الله ورسوله [٥].

٤-العزل: ومعناه حرمان الشخص من وظيفته وعمله، ودليل مشروعيته أن الرسول ﷺ في غزوة الفتح عزل سعد بن عبادة ونزع منه اللواء [٦] لما قال: اليوم يوم الملحة اليوم تستحل الكعبة، والحديث ظاهر في العزل من قبل ولي الأمر لما يراه من مصلحة في حق من أخطأ.

٥-العقوبة المالية: وقد قال بالتعزير بالمال الجمهور [٧] من المالكية والحنابلة وأحد القولين في ذهب

١-تجارب الدول الأخرى لبدائل عقوبة السجن: صـــ٣٠-٣٦.
٢ -بدائل العقوبات السالبة للحرية بين الواقع والمأمول: صـــ٦٩-٧٠.
٣-بدائل العقوبات السالبة للحرية بين الواقع والمأمول: صـــ٦٦؛ مرشد إجراءات الحقوق الخاصة: وزارة الداخلية صـــ٦٧.

٤- مرشد إجراءات الحقوق الخاصة: وزارة الداخلية جـــ١ الرياض ١٤٠٩هـــ.
٥-مجموع الفتاوى لأبن تيمية: جـــ٢٩/ صـــ٢٩٩.
٦-صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح: جـــ٤/صـــ١٥٥٩رقم ٤٠٣٠-طـ٣ ١٤٠٧هـــ.
٧-تبصرة الحكام: جـــ٢/صـــ٢٩٣؛ نهاية المحتاج: جـــ٨/صـــ٢٠؛كشّاف القناع: جـــ٦/صـــ١٢٥؛ خلافاً لبعض المالكية والشافعية والحنابلة فالتعزير بالمال لا يجوز عندهم. حاشية الصاوي على الشرح الصغير جـــ٤/صـــ٤٠٤؛حاشية الجمل جـــ٥/صـــ١٦٤؛ المغني جـــ٩/صـــ١٤٣.

الشافعية وقول أبي يوسف من الحنفية وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية [١] وابن القيم [٢] خلافاً لأبي حنيفة [٣]. وقد استدلوا بما ورد في السنة عن الرسول ﷺ وعن أصحابه في مواضع كسلب الذي يصطاد في حرم المدينة، وكسر دنان الخمر وشق ظروفها [٤] وأمره عبد الله بن عمر بتعريف الثوبين المعصفرين وهدم مسجد الضرار [٥] ومضاعفة الغرامة على كاتم الضالة، وقطع نخيل اليهود [٦]. فالحاصل أن العقوبات المالية اثنتان: الغرامة والمصادرة، فالغرامة عقوبة مالية تُفرض على المحكوم عليه ويُلزم بموجبها دفع مال يُقدره القاضي في قرار الحكم إلى حزينة الدولة، والغرامة إما أن تكون عقوبة أصلية كما في الجنح والمخالفات أو عقوبة إضافية كما في الجنايات. أما عقوبة المصادرة فهي عقوبة مالية تنزع بموجبها ملكية الشيء المحكوم عليه –الناتج عن الجريمة أو المستعمل فيها نقداً أو عيناً من مالكه – جبراً من غير مقابل ليصبح ملكاً للدولة [٧].ومثالها ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صادر اللبن المغشوش[٨]. وقد سُئل الإمام مالك عن اللبن المغشوش: أيهرق؟ فقال: لا واستحسن أن يُتصدق به على من غشه [٩].

والمصادرة تتفق مع الغرامة في أنها عقوبة مالية ولكنها تختلف عنها في أن موضوعها الأشياء أو النقود أو كليهما معاً، أما موضوع الغرامة فهو النقود دائماً.

٦- التشهير: وهو الإعلان عن جريمة المحكوم عليه، قال ابن فرحون: ويجوز تجريد المعزر من ثيابه إلا ما يستر عورته واشهاره في الناس والنداء عليه بذنبه عند تكرره منه، وعدم إقلاعه عنه، ويجوز حلق شعره لا لحيته وتسويد وجهه عند الأكثرين. وقال شيخ الإسلام ابن تيميه: وقد يعزر بالرجل بوعظه وتوبيخه والإغلاظ عليه بتسويد وجهه وإركابه على دابة مقلوباً [١٠]. ودليله ما ورد عن عمر رضي الله عنه أنه أتى بشاهد زور فوقفه للناس يوماً إلى الليل فيقول هذا فلان يشهد زور فاعرفوه ثم حبسه [١١]. وما ورد عن علي رضي الله عنه أنه بعث بشاهد الزور عشيرته، فيقال أنه شاهد زور فاعرفوه [١٢]. ويُستدل له أيضاً

١-مجموع الفتاوى: جـ٢٨/صـ١١٨-١١٣.
٢-الطرق الحكمية: صـ٢٢٤-٢٢٨.
٣-البحر الرائق: جـ٥/صـ٤٤؛ حاشية رد المحتار: جـ٤/صـ٦١.
٤-الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد: جـ١٧/صـ١٤٠؛ والحديث رواه الترمذي في البيوع (١٢٩٣) عن أبي طلحة والطبراني في الكبير جـ٥/صـ٩٩ والدار قطني في السنن كتاب الأشربة جـ٤/صـ٢٦٥ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ١٠٣٩.
٥-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: جـ٨/صـ٢٥٣.
٦-الأموال لأبي عبيد: صـ١٤٨؛ الطرق الحكمية:٣٨٦-٣٨٧.
٧-مجموع الفتاوى لابن تيمية: جـ٢٨/صـ٣٤٣-٣٤٤؛ الأحكام السلطانية للماوردي صـ٢٣٩؛ مفهوم العقوبة وأنواعها: صـ١٠٢؛ التعزيرات البدنية وموجباتها: صـ٤٣.

٨- ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه –رحمه الله-في فتاويه جـ٢٨ صـ١١٤حيث قال ما فعله عمر رضي الله عنه حيث رأى رجلاً قد شاب اللبن بالماء المبيع فأراقه عليه، وهذا ثابت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
٩-رواه الإمام أحمد في المسند؛جـ٥/صـ٢؛ والنسائي في سننه جـ٥/صـ١٦ رقم (٢٤٤٤) ؛ وانظر أيضا التاج والإكليل لمختصر خليل: جـ٦/صـ١٩٢.
١٠-مجموع الفتاوى لابن تيمية: جـ٢٨/صـ٣٤٤.
١١-أخرجه البيهقي من طريق شُريك عن عاصم في كتاب آداب القاضي باب ما يُفعل بشاهد الزور: جـ١٠ /صـ١٤١؛ و عبدالرزاق في المصنف جـ٨/صـ٣٢٦ والحديث قال عنه الألباني –رحمه الله-: (ضعيف) انظر حديث رقم (٢٤٠٠) في إرواء الغليل.
١٢-تبصرة الحكام: جـ٢/صـ١٤٠.

بما للإمام من ولاية في التعزير وفق ما يُحقق المصلحة، والتشهير من هذا الباب فيه أثر لردعه أولاً، وتحذير الناس من التعامل معه ثانياً.

٧-الجمع بين عقوبتين: وذلك كالجمع بين الغرامة والتشهير مثلاً، فلولي الأمر أن يحكم بما يرى فيه من المصلحة، فمتى ما كان الجمع بين العقوبتين أو أكثر رادعاً فعله، كما فعل عمر مع معن بن زائدة فقد ضربه ونفاه [١] [٢].

٨-الإتلاف: ويقتضي أن يتلف ولي الأمر مكان الجناية أو إزالتها ونحوه، فهو أخذ الشيء من مالكه وإتلافه عقوبة له [٣] ويُسنده ما تقرر سابقاً من جواز التعزير بالمال. ولا يدخل بيت المال؛ لعدم جواز استعماله شرعاً ولهذا قيل: إن الإتلاف كعقوبة مالية هو للأشياء التي لا يجيز الإسلام الانتفاع بها كالخمر وما في حكمها، وأما ما يمكن الانتفاع به فيصادر للاستفادة منه [٤].

٩-الإقامة الجبرية [٥]: ويراد بها تعيين الحاكم للمحكوم عليه موضعاً ليقيم فيه، سواءً كان منزله أو غيره ويُلزم المذنب بعدم الخروج منه إلا لحاجة ضرورية تستوجب خروجه كالعلاج مثلاً؛ وذلك بوضع حلقة في أي جزء من جسمه تعطي مركز الشرطة إشعاراً بخروجه. وهذه الإقامة لا تتم إلا عن طريق الرقابة الإلكترونية المكلمة لها من خلال أجهزة استشعار عبر الأقمار الصناعية وذلك بجعل سوار بيد المحكوم عليه أو كاحله (نظام التعقب) تقوم بإرسال إشارة مداها ٥٠ متراً كل ٣٠ ثانية [٦] وهذه التقنيات بالإمكان تطبيقها إما عن طريق شبكة الأقمار السابق ذكرها أو عن طريق شبكة الجوال، ولشركة (جوجل) تطبيقات متطورة شبيهة بما سبق مثل (Google latitude) وهذه التقنية توفر الوصول للأهداف بتكلفة مقبولة ومفيدة جداً مع الأحداث لمعاقبتهم. قال الكاساني في تعرف الحبس: هو منع الشخص من الخروج إلى أشغاله ومهماته الدينية والدنيوية مثل الجمع والأعياد وتشييع الجنائز وعيادة المرضى[٧].ومما يُذكر أصلاً لمشروعية الإقامة قوله تعالى: (فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ)[٨] وكذا يُستدل بعموم ما ورد من أدلة السجن؛ إذ الإقامة الجبرية فيها تعويق للجاني، وعليه هي نوع من أنواع السجن قال ابن تيمية: إذا لم يمكن النفي والحبس عن جميع الناس كان النفي والحبس حسب القدرة مثل أن

١-تبصرة الحكام: جـ٢/صـ٢٩٧-٢٩٨، قال ابن حجر رحمه الله في الإصابة جـ٦/ صـ٣٦٩: (الشأن في ثبوت ذلك، فإن ثبت فيحتمل أن يكون فعل ذلك بطريق الاجتهاد فلم ينكروا؛ لأن مجتهداً لا يكون حجة على مجتهد، فلا يلزم أن يكونوا قائلين بجواز ذلك، فأين الإجماع هذا من حيث الحكم؟ وأما إدراك معن العصر النبوي فواضح فلو ثبت لذكرته في القسم الثالث لكن معن بن زائده لم يُدرك ذلك الزمان وإنما كان في آخر دولة بني أمية و أول دولة بني العباس وولي إمرة اليمن) فحين إذن يكون الحديث منقطعاً.

٢-فتح القدير: جـ١٢/صـ١٦٥؛ الذخيرة: جـ١٢/صـ١٢٠؛ المغني: جـ٢٠ /صـ٣٦٧.

٣-حقوق الإنسان بعد المحاكمة في الفقه والنظام: صـ٢٩.

٤-حقوق الجاني في عقوبات جرائم الحدود: صـ٦٢.

٥-حاشية رد المحتار: جـ٦/صـ٣٦٤؛ إعانة الطالبين: جـ٤/صـ١٣٢؛ الفروع جـ٦/صـ١١٢، وانظر أيضاً المؤيدات التشريعية: صـ١٣١؛ التدابير المجتمعية كبدائل للعقوبات السالبة للحرية: صـ١٤٣.

٦-المراقبة الإلكترونية طريقة حديثة لتنفيذ العقوبة السالبة للحرية خارج السجن: صـ٩؛ الوضع تحت المراقبة الإلكترونية – السوار الإلكتروني في السياسة العقابية الفرنسية-: صـ١٣١؛ مراقبة المتهم إلكترونياً كوسيلة للحد من مساوئ الحبس الاحتياطي –دراسة تحليلية-: صـ٦٦١؛ المراقبة الجنائية الإلكترونية – دراسة مقارنة - : صـ٧٤ وما بعدها.

٧-بدائع الصنائع: جـ٧/صـ١٧٤.

٨-سورة النساء آية ١٥.

يُحبس بدار لا يباشر إلا أهلها لا يخرج منها أو لا يباشر إلا أشخاصاً أو شخصين فهذا هو الممكن فيكون هو المأمور به [١]

١٠-الإلزام بإزالة الأضرار وتعويض المجني عليه: بحيث يجوز للمحكمة بناءً على طلب من المجني عليه أن تحكم على الفاعل بإزالة الأضرار التي أحدثتها جريمته وتعويض المجني عليه، وفي حالة رفض المحكوم عليه ذلك تُطبق عليه العقوبة الأصلية [٢].

١١-التعهد والكفالة بحسن السلوك: وهو أن تحكم المحكمة على المدان بأن يقدم تعهداً بحسن السلوك لمدة معينة إذا كانت الجريمة جنحة على أن يُودع المحكوم عليه في صندوق المحكمة مبلغاً من المال تراعي المحكمة في تقديره حالته المالية ولا يرد له في حال إخلاله بتعهده.

١٢-السجن شبه المفتوح: وهذا يمثل نموذجاً آخر للبدائل لنظام السجن التقليدي. ووفقاً له يُترك المذنب نهاراً لعمله ثم يعود ليلاً إلى السجن. ويُعتبر السجن شبه المفتوح أحد عناصر السياسة العقابية الحديثة؛ وذلك نظراً لفشل السجن التقليدي المنغلق على الإنسان؛ لكونه وسطاً محكم الغلق من جهة، ونظراً لاستحالة ترك السجن مفتوحاً تماماً من جهة أخرى.

قال ابن تيميه: الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء في بيت أو مسجد [٣].

١٣-نظام السجن المتقطع أو تقسيط العقوبة: حيث يقرر القاضي تنفيذ العقوبة بناء على طلب المحكوم عليه الأيام التي سينفذ فيه المحكوم عليه بالعقوبة السالبة للحرية قصيرة المدة عقوبته بصورة متقطعة مع مراعاة أن تتوافق هذه الإيام مع أيام العمل بالسجن، بمعنى أن يتجنب المسؤولون حبس المحكوم عليه أيام العطلات أو الإجازات؛ وذلك حتى يستفيد المسجون من الاختبارات العامية والمعملية. وأوجه المعاملة الحديثة داخل السجون التي تساهم في إصلاح المسجون واكتشاف شخصيته وعلاج ما فيها من انحراف وإعادته إلى صفوف المجتمع.

١٤-الوعظ: وهو النصح والتذكير بالعواقب، حيث يُوعظ الجاني ويُذكر إن كان ناسياً فيُنبه إلى ما أقدم عليه من قول أو فعل [٤]. ويكو عادة في الجرائم البسيطة ويُعد من أنفع العقوبات النفسية في صلاح الأفراد [٥].

١٥-الجلد: وقد أقرت هذه العقوبة مجموعة دول منها إنجلترا وأمريكا وهو اعتراف بأن عقوبة الجلد التي إحدى العقوبات الإسلامية كافية في ردع المجرمين عوضاً عن عقوبة السجن التي أثبتت فشلها باعتراف

١-مجموع الفتاوى: جـــ١٥/صـــــــ٣١٢.
٢-مفهوم العقوبة وأنواعها في الأنظمة المقارنة: فؤاد عبد المنعم بحث مقدم في (ملتقى الاتجاهات الحديثة في العقوبات البديلة) الذي أقامته وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية في ١٧-١٤٣٢/١١/١٩هـــ؛ بدائل العقوبات السالبة للحرية بين الواقع والمأمول: صـــ٦٥.
٣-مجموع الفتاوى: جـــ٣٥/صـــ٣٩٨.
٤- العقوبات التفويضية وأهدافها: صـــ٩٢.
٥- شروط تفعيل خدمة المجتمع كبديل للعقوبة السالبة للحرية: صـــ٣٣.

باحثين كُثر مثل الدنماركي (فلامنجغ بالفينغ) والنرويجي (توماس ماتييسن) وغيرهم [١].

١٦-الإفراج الشرطي [٢]: وهو إطلاق سراح السجين من المؤسسة قبل استكمال مدة حكمه؛ وذلك بوضعه تحت مراقبة أو إشراف معين. وشروط الإخراج إما أن تكون مقررة بقانون أو موضوعة من قبل سلطة الإفراج الشرطي، ولذلك فإن المراقبة القضائية والإفراج الشرطي يتشابهان من حيث إنهما يتوقفان على حسن السيرة والسلوك الذي يلتزم به الشخص طيلة مدة تعليق تنفيذ الحكم، كما أن النظامين يستلزمان وجود باحث اجتماعي، أو مراقب معين يتولى مهمة المراقبة أو الإشراف. أما الاختلاف الجوهري بين النظامين فهو أن المراقبة القضائية تعليق تنفيذ الحكم برمته، وقبل إرسال المجرم إلى السجن بينما الإفراج الشرطي تعليق جزء من الحكم فحسب، كما أن المراقبة القضائية حق للمحكمة الجنائية وحدها بينما يُوكل أمر الإفراج الشرطي إلى جهة أخرى كالسجن أو المؤسسة. والإفراج الشرطي طريق لإطلاق سراح بعض المجرمين بالاختبار وقبل انتهاء مدة محكوميتهم وتحت شروط معينة تحددها سلطة مختصة. فهي تقنية إصلاحية لإطلاق سراح المجرم من سجنه تحت مراقبة منظمة تهدف إلى حماية المجتمع من المجرم أو تقويمه.

وبالإضافة إلى هذه العقوبات التعزيرية الأكثر تطبيقاً لدى القضاة، هناك الكثير من العقوبات التعزيرية البديلة المستجدة التي يطبقها القضاة في العصر الحاضر للحد من بعض المخالفات والمعاصي والجرائم المستجدة كلما دعت المصلحة إلى ذلك. ومن هذه التعزيرات المستجدة التي لا يمنع الإسلام من تطبيقها ما دامت تعمل على الحد من الجرائم [٣]:

١-العزل من الوظيفة؛ لمخالفته قانون الوظيفة العام، أو الجندي الذي يُعزر بترك استخدامه في جيش المسلمين كالجندي المقاتل إذا فر من الزحف؛ فإنه من كبائر الذنوب، وكذلك إنزال رتبته وقطع أجرته. قال ابن تيميه: فلو غرب الشارب مع الأربعين يقطع خبره أو عزله عن ولايته كان حسناً وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه عن بعض نوابه يتمثل بأبيات من الخمر فعزله [٤].

٢-مصادرة الفائض من الطعام وخاصة من المحتكرين.

٣-هدم البيوت التي تدار للفسق والفجور.

٤-عقوبة التهديد وهي عقوبة تعزيرية شرعية تحذر المجرم من العودة إلى ارتكاب جريمته [٥]. بشرط ألا يكون تهديداً كاذباً وأن يرى الحاكم أنه منتج وأنه يكفي لإصلاح الجاني وتأديبه، وذلك مثل أن ينذره القاضي بأنه إذا عاد سيعاقبه بالجلد أو الحبس أو غيرهما.

١- الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية: ٢٣٠-٢٣١، وانظر معايير تقدير الجلد: بدائع الصنائع جـ٧ صـ٦٤؛ روضة الطالبين جـ٧ صـ٣٨٢.

٢- علم النفس العقابي: صـ٢٥٤؛ التدابير المجتمعية كبدائل للعقوبات السالبة للحرية صـ١٢٣.

٣- دور التعازير في الحد من الجرائم في المجتمع الإسلامي صـ٢٨؛ العمل للمنفعة العامة في السياسة العقابية المعاصرة: صـ٤٣١.

٤-السياسة الشرعية: صـ٩٠.

٥-مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ٢٨/صـ١١٣.

٥-سحب رخصة الترخيص لصاحب المحل لمخالفته قوانين ومواصفات المهنة أو صاحب السيارة المخالفة أو لمخالفته إشارات المرور.

٦-مساعدة موظفي البلدية في قطع زوائد الأشجار وصيانة الحدائق العامة وأعمال التشجير وتنظيف الشواطئ.

٧-رفع الأذان لمدة شهر كامل.

٨-تغسيل الجنائز والمشاركة في دفنها وتنظيم وترتيب محتويات مغاسل الأموات.

٩-القيام بتقديم المساعدة في قسم الإسعاف في المشافي العامة، والمناوبة في مراكز الدفاع المدني.

١٠-تقديم خدمات اجتماعية وإنسانية في مؤسسات الأحداث والأيتام والمسنين.

١١-المشاركة في مجال خدمة حجاج بيت الله الحرام من خلال إلحاقه بالكشافة.

وغيرها من العقوبات التعزيرية البديلة التي تضعها الدولة، شريطة أن يترك المجال للقاضي في التطبيق بحسب الجناة وحيثياتهم ومكانتهم وجرائمهم على ألا يغيب عن أذهاننا بأن المقصد الرئيس من إيقاع العقوبة هو السعي لتقويم سلوك الجاني، فإن لم يحصل منها هذا المقصد لم يكن لإيقاعها الهدف المراد من العقوبات. ولعل خير مثال يذكر على ذلك مركز الأمير محمد بن نايف للمناصحة والرعاية وهو مشروع رائد نجح في معالجة قضايا الإرهاب ورد الكثير إلى جادة الصواب وكان ذلك أفضل من حبسه.

أما عن تطبيق البدائل في المملكة. فهذه البدائل لم يُقر تطبيقها بنص قانوني حتى الآن، ولم تُحدد نوعية البدائل ومتى تُطبق، ولكن هناك أحكام أصدرها بعض القضاة تناولوا فيها بعض ما ذكرنا مما يعنى أنهم فعلوا بدائل السجون لما يرون فيها من نفع للسجين والمجتمع.

المطلب الرابع: الآثار الإيجابية للعقوبات البديلة

لا شك بأن هناك جرائم لا تقتضي إيقاع العقوبة المعروفة شرعاً -كالحدود- وعرفاً كالسجن والجلد والغرامة المالية. وأقصد هنا بعض القضايا اليسيرة والتي يكون السجن عقوبتها عادةً كالديون المستحقة والمماطلة فيها وبعض الجنح الطفيفة وما إلى ذلك، فإيجاد البديلة هنا لا يكون فيه إخفاق بالحقوق العامة والخاصة ولا معارض للأنظمة المعمول بها.

وخرجت – باليسيرة -القضايا الكبيرة التي من شأنها أن تهدد أمن الأمة وكيانها (كالإرهاب وترويج المخدرات) فهذه لا تدخل تحت نطاق الأحكام البديلة؛ لأن عقوبتها منصوص عليها بحد الحرابة وقطع الطريق، كما يشمل الاستثناء كذلك أرباب السوابق -كما أسلفنا-. وهناك بعض الفوائد للعقوبات البديلة التي تُطبق في هذا المجال وهي التي دعت المختصين للمطالبة بها وتفعيلها لانعكاسها ايجاباً على الفرد والمجتمع ونجملها بالآتي [١]:

١-البدائل الشرعية للعقوبات السالبة للحرية: ياسر البلوي.

١-معالجة مشكلة تكدس واكتظاظ السجون بالسجناء، وما يصحب ذلك من آثار ومشكلات نفسية وصحية.

٢-ضمان عدم مخالطة المقترفين لبعض الجرائم البسيطة أو المذنبين مع عتاة المجرمين وأصحاب السوابق الجنائية الكبيرة والخطيرة ومرتكبي جرائم الحدود؛ حتى لا تصبح السجون مدارس لتعليم الإجرام فيخرج الشخص محترف بسبب تأثير الآخرين الموجودين معه في السجن مما يجعل منه وسيلة غير مناسبة للإصلاح والتهذيب.

٣-حماية الشخص نفسياً وجسدياً واجتماعياً.

٤-التقليل من نفقات السجون وتحويل ميزانيتها إلى مشاريع إنتاجية تدر الخير على الفرد والمجتمع؛ فاللجوء إلى البديلة يخفض النفقات الباهظة المترتبة على الدولة من جراء إعالة وحماية ومتابعة أولئك المسجونين، والتركيز على زيادة فرص تطبيق برامج الإصلاح والتأهيل في السجون للمجرمين الحقيقين والخطرين.

٥-جلب الفائدة على المجتمع من خلال خدمات النفع الاجتماعي -التي يقوم بها الأشخاص المطبق عليه العقوبات البديلة- بأنواعها من إعمار وبناء وغيرها.

٦-تدريب الجاني على العمل التطوعي بحصوصه وإكسابه المهارة اللازمة لذلك، والتقبل النفسي لمثل هذه الأعمال مما يدفعه إلى الاستمرار في خدمة مجتمعه بعد انتهاء محكوميته سواء في العمل الذي ألزم فيه أو في غيره، ومن المعلوم أيضاً أن كافة دول العالم تشجع على الانخراط في العمل التطوعي وتحث عليه.

٧-المحافظة على الروابط الاجتماعية والأسرية، وتوفير سبل المعيشة لأسر المسجونين، والتخلص من الآثار السلبية التي تتعرض لها أسرة السجين نتيجة سجن عائلها وتتنوع من طلاق وانحراف للأبناء وفقر مما يؤدي لحدوث تفكك في تلك الأسر وتغير في وظائفها بالإضافة إلى نظرة المجتمع لمن يسجن.

٨-الزجر والردع لسائر أفراد المجتمع عن ارتكاب الجريمة، وذلك حينما يشاهدون العقوبة تُطبق أمامه في المرافق العامة بجدية وانضباط وهذا من أهم مقاصد عقوبة التعزير.

١٠- دمج الجاني بالمجتمع حال خدمته له بالأعمال التطوعية بدل عزله بالسجن أو النفي أو نحو ذلك مما سيجعل عودته إلى المجتمع وانسجامه معه بعد انتهاء محكوميته أمراً سهلاً ودون أثر نفسي يُذكر، وهنا تبرز أهمية الاتصال والدمج بالمجتمع؛ إذ يمكنه تخفيف صدمة الإفراج التي تصيب المحكوم عليه بعد فترة العقوبة والوصمة المجتمعية التي تلاحق من يُسجن وتؤدي إلى نفور أفراد المجتمع وزملائه وعائلته منه، لاسيما وأننا في مجتمع لا يتوانى البعض في الشماته بالسجين بطريقة غير مباشرة مما يؤثر عليه معنوياً [١] هذا بالنسبة للكبار أما بالنسبة

١-أصول علم الإجرام وعلم العقاب صـــــــــ ١٧٩.

للأحداث فاشترط مشروع النظام عدم إبعاد الصغار عن الجو العائلي واستمرارهم في الدراسة ضمن ضوابط معينة مقدرة سلوكياً ومجتمعياً ونفسياً مع التشديد على استعانة القضاء بالخبرة الاجتماعية والنفسية في الوقائع المتعددة التي لا يحكمها ضابط معين مع حفظ حق المجتمع بالنسبة لجنوح الطفل والتحفظ من تأثير سلوكياته السلبية على غيره.

١١-تغيير نظرة المنحرفين لأنفسهم ولانتمائهم الوطني وتعزيز الشعور بهذا الانتماء؛ فالبديلة أنفع للوطن وأهون على المتهم.

١٢-العقوبات البديلة تتمخض عن أساليب متعددة للعقاب الأمر الذي يمنح المحكوم عليه فرص للتوبة وإصلاح ومحاسبة النفس، والعدول عن طريق الإجرام.

ولهذه الفوائد الجمة تحركت المؤسسات القضائية والعقابية والجهات التنفيذية لتفعيل أنواع من العقاب تخرج عن دائرة العقوبة السجن فأعدت الأنظمة واللوائح المبدئية والإسترشادية والدراسات لتقرير بدائل عقابية متنوعة تطرح أفقاً واسعاً لمفهوم العقاب.

المبحث الثالث: العلاقة بين الأحكام البديلة والتعزير

ذكرنا بأن أحكام التعزير تصدر في نوعين من الجرائم. أحدهما: ما لم تُؤكد البراهين القاطعة أنه مما يستوجب تطبيق أحكام الحدود كالخلوة التي لا يقوم فيها دليل قاطع على ارتكاب الفاحشة. والثاني: الذي تصدر فيه أحكام التعزير هو تلك الجرائم المستحدثة التي لم تكن معروفة من قبل، ولا تندرج تحت ما تم تحديده من أحكام الحدود. والعقوبات البديلة لها حكم التعزير؛ إذ هي أفراد داخله تحت اسمه، وبالمقابل فإن كل فرد من أفراد التعزير يصلح أن يكون بديلاً عن السجن إذا توافرت فيه شروط البدلية وانتفت عنه الموانع الشرعية. والأصل في التعزير ثبوت شرعيته إجمالاً من الكتاب والسنة والإجماع، ويزيد طائفة من الأصوليين في مشروعية السجن أنه من باب المصلحة المرسلة ويسندون اتخاذ الصحابة مكاناً معيناً للسجن إلى تلك المصلحة؛ إذ لم يكن عندهم في ذلك نص خاص قولي أو فعلي [١].

إذاً منطلق الأحكام البديلة يأتي من أحكام التعزير في الفقه الإسلامي، والعقوبات البديلة هي عقوبات أصلية قبل أن تكون بديلة، وإنما تعتبر بديلة لما هو أشد منها إذا امتنع تطبيق العقوبة الأشد -كما بيّنا- فالتعزير عقوبة أصلية في جرائم التعازير، ولكن يُحكم به بدلاً من القصاص أو الحد إذا امتنعا لسبب شرعي. وعرفنا أن شرط استخدام البدائل عن التعازير أن يحقق البديل مصلحة للمجتمع وللمتهم، وما يزيد في مرونة العقوبات التعزيرية وقابليتها لتطبيق بدائل عنها أنه لا حصر للعقوبات التعزيرية وبالتالي فلا حصر للبدائل التي يمكن تطبيقها إزائها، مما يأتي تحت مسمى المصلحة العامة التي جاءت الشريعة بدعمها ولا يوجد شرعاً ما يمنع تطبيقها [٢].

١-نشر البنود على مراقي السعود: جـــ٢/صـــ١٨٥.

٢-مشروعية العقوبات البديلة: عبد المحسن آل سعد، جدة، ورقة عمل مقدمة في ملتقى الاتجاهات الحديثة في العقوبات البديلة (٢٠١١).

الخاتمة

قد تبين بجلاء من خلال مناقشة وتحليل مفهوم البدائل في ثنايا هذا البحث أنها ليست أحكاماً تمييعية ولا ترفاً عقابياً، بل ضرورة تمليها المرحلة المعاصرة وما وصل إليه العلم من حقائق حول الفوائد التي تحققها على صعيد الأمن واستقرار المجتمع وتماسك الأسرة والتنمية وحقوق الإنسان وعلى سلوك الجاني وسلامته من التنكيل والإيلام البدني والنفسي. كما أن تطبيق العقوبات البديلة في الجرائم التعزيرية سيؤدي إلى إبراز محاسن الشريعة، والذب عن الدين وحفظ حقوق الإنسان وكرامته وتحقيق العدالة من الناحية السياسية وتهذيب وإصلاح الجاني وحماية أسرته من الآثار السلبية للعقوبة التقليدية، وكذلك تأهيل الجاني وزيادة الناتج الوطني وتخفيف الأعباء على الدولة.

والعقوبات البديلة تعتبر من الأحكام القضائية الجديدة لدى بعض القضاة التي يتوجب تفعيلها والأخذ بها؛ نظراً للحاجة الماسة للاستفادة من طاقات الشباب في خدمة المجتمع بدلاً من تعطيلها وكبتها في السجن، وحماية لذوي الجنح الصغيرة من الاختلاط بأرباب السوابق والإجرام. ثم أن إقرار مبدأ العقوبات البديلة سيكون عوناً لدمج فئة معينة أخطأت في المجتمع وتقديم كافة أشكال الرعاية المختلفة للمخطئ اجتماعياً ونفسياً وطبياً، بدلاً عن تأثرهم بالإجرام وحرمانهم من الوظيفة أو انقطاعهم عن الدراسة. والمساهمة في التخفيف من أعباء السجون وتقليل النفقات المصروفة عليهم مما له مردوده الاقتصادي بتوفير المبالغ الكبيرة، لاسيما وأن هذه البديلة هي بدائل عقابية متنوعة وموسعة لمفهوم العقاب تهدف إلى دفع الجريمة وحصر آثارها السلبية.

– إن إقرار العقوبات البديلة يمثل إضافة علمية لها طابع تفصيلي لفتح باب الاجتهاد أمام الفقهاء والقضاة للبحث والدراسة للوصول إلى قواعد محكمة ومؤصلة؛ لذلك فهي تسهم في بناء فقهي سديد واستجلاء النصوص والحالات والوقائع المساندة لهذه العقوبات والتقعيد لها لاسيما المستجد منها.

– تتميز العقوبات البديلة بالخصائص التالية:

١–ردع للجاني وعضة للغير وبذلك هي تشتمل على أهم مقومات العقوبة الحديثة.

٢–ترك للقاضي مجالاً واسعاً في تقدير العقوبة ونوعها دون إهمال النظر للجاني.

٣–أنها ليست بلازمة بل يمكن اختيار المناسب منها أو العدول إلى غيرها مما ليس فيه خروج على أحكام الشريعة وروحها ومقاصدها العامة.

٤–العقوبات البديلة وإن كانت متروكة للاجتهاد إلا أنها لا تخرج عن القواعد العامة للشريعة الإسلامية والمقاصد الكلية للإسلام بما يوازن بين حق المجتمع في الحماية من الإجرام وحق الفرد في تحصين حرياته ورعاية حرماته.

٥–من خصائص العقوبة في الإسلام ترضية المجني عليه أو أهله لدرجة أنه لا توجد شريعة عقابية تسعى إلى استرضاء المجني عليه بشكل مباشر أو أهله

كقدر عناية الشريعة بها، وهذه الخاصية موجودة في البديلة بل هي أساسها.

٦-العقوبات البديلة لا تعني إقصاء عقوبة السجن ولكن بجعلها ملاذاً أخيراً يلجأ إليه القاضي بحسب خطورة الجريمة وشدتها، على ألا يكو السجن حكماً عاماً لجميع المخالفين والمذنبين على حد سواء وعلى اختلاف جرائمهم؛ مما يسهم في تدهور حال المذنب بدل إصلاحه.

٧-ليس في هذه البدائل مخالفة للشرع أو تنازل عن العقوبة الشرعية، بل فيه مسايرة لظروف العصر.

٨-جوهر هذه العقوبات يقوم على توفير معاملة عقابية خاصة تنطوي على التهذيب من خلال العمل وتقود بذلك إلى التأهيل دون أن تؤدي إلى سلب الحرية، فهناك حالات من الإجرام البسيط لبعض الفئات يكون من الأفضل فيها أن يُترك المحكوم عليه -بالنظر لشخصيته وظروفه- حراً في المجتمع مع خضوعه للتأهيل والتوجيه وذلك من خلال إلزامه بأعمال ونشاطات اجتماعية وإنسانية تسهم في تنمية شعوره بالمسؤولية وتقيد حريته على نحو يجعله يفكر جدياً بما أقدم عليه، فهي تعمل على إصلاح وتهذيب المحكوم عليه من خلال إبعاده عن الوسط الإجرامي داخل السجن؛ وكذلك ما تحمله من دعم وغرس لقيم العمل التطوعي بين أفراد المجتمع.

-العقوبات البديلة لا تنسحب إلا على أبواب التعازير وهي ما لا نص شرعي في تقدير عقوبتها.

- العقوبة البديلة في الواقع عقوبة شرعية وتستند إلى تكييف شرعي، وإن لم يكن نص شرعياً بعينه؛ لأننا إذا قلنا نص شرعي في عقوبة فهي عقوبة مقدّرة، والعقوبات المقدرة لا مجال للحديث فيها.

أما أهم التوصيات فهي كالآتي:

١-حث القضاة على تفعيل العقوبات البديلة، لآثارها الإيجابية على الفرد والمجتمع، ثم إن ثمرة الحكم هي التنفيذ الفعال فإنه لا خير في حكم لا نفاذ له.

٢-الإفادة من التجارب الإقليمية والدولية في برامج تطبيق العقوبات البديلة.

٣-استغلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لتهيئة الرأي العام لتقبل فكرة تطبيق خدمة المجتمع كعقوبة بديلة للعقوبة السالبة للحرية (السجن)، وذلك من خلال المقارنة بين إيجابياتها وسلبياتها.

٤-الاهتمام بنشر الوعي الاجتماعي بأهمية العقوبات البديلة في المجتمع عن طريق الدورات والبرامج المختلفة.

٥-الحرص على توجيه العلماء والباحثين على استنباط العقوبات المناسبة للجرائم التعزيرية تكون نواة لنظام العقوبات.

٦-التعاون مع الجهات الأمنية وبأساليب حديثة في المتابعة والتنفيذ.

٧-وضع دليل معتمد يتضمن الجرائم التي يوضع لها بدائل بناء على نوعية الجرم مع مراعاة ظروف الجاني النفسية والعائلية والمادية -وهي أمور معتبرة

في الفقه الإسلامي–لاسيما وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وهذا يقتضي تأهيل القضاة للاجتهاد في تحديد العقوبات المشروعة والملائمة لتحقيق التهذيب والإصلاح والتأهيل للجاني وتضمن في الوقت نفسه توفر الردع والنفع العام.

٨–عقد المؤتمرات العالمية للتوصل إلى نظام عقابي بديل مجمع عليه وحتى لا يحصل تفاوت كبير بين القضاة خاصة في ظل المستجدات التي تطرأ على الساحة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها.

٩–العمل على توسيع دائرة عمل العقوبات البديلة لتشمل جميع الأعمال التي فيها منفعة للمحكوم عليه وغيره من زراعية وبلدية واجتماعية وأمنية.

١٠–المطالبة بتعميم وتنويع التعازير ببدائل السجون؛ حفاظاً على المجتمع وإظهاراً لمقاصد الشريعة في العقوبة.

قائمة المصادر والمراجع

١- أصول علم الإجرام وعلم العقاب –دراسة تحليلية وصفية موجزة–: محمد صبحي نجم، دار الثقافة، عمان، الأردن ٢٠٠٨م.

٢- الأحكام السلطانية: علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي أبو الحسن الماوردي، دار الحديث، القاهرة.

٣- الأحكام السلطانية: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفرّاء القاضي أبو يعلى، تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طـ٢ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤- الأشباه والنظائر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، طـ١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥- الأشباه والنظائر: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي تاج الدين، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٦- الاعتصام: إبراهيم بن موسى الشاطبي، مطابع السعادة، مصر.

٧- الإلزام بالأعمال التطوعية في العقوبات التعزيرية: عبد العزيز محمد الحجيلان، ورقة عمل مقدمة لحلقة النقاش التي يعقدها مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ربيع الأول ١٤٣٠هـ.

٨- الأموال: لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق.

٩- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، مطبعة السنة المحمدية، طـ١، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

١٠–البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١١–التاج والإكليل لمختصر خليل: محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، طـ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤م.

١٢-التأهيل الاجتماعي في المؤسسات العقابية: مصطفى العوجي، بيروت، منشورات بحسون، ١٩٩٣م.

١٣-التدابير المجتمعية كبدائل للعقوبات السالبة للحرية: عبد الله عبد العزيز اليوسف، الرياض، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ١٤٢٤هـ.

١٤-التشريع الجنائي الإسلامي: عبد القادر عودة، مكتبة دار التراث، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة.

١٥-التعزيرات البدنية وموجباتها في الفقه الإسلامي: عبد الله صالح الحديثي، مكتبة الحرمين، الرياض، ط١، ١٩٨٨م.

١٦-الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

١٧-الجرائم الجنائية وعقوباتها المقدرة في التشريع الجنائي الإسلامي: حسن عزة، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٨-الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية: حسن طالب، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٩-الخلاصة في أحكام السجن في الفقه الإسلامي: علي بن نايف الشحود، ط٢ معدلة ومزيدة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٢٠-الذخيرة: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، بيروت، ١٩٩٤م.

٢١-السنن الكبرى: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر، بيروت.

٢٢-السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، بيروت، دار المعرفة.

٢٣-الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد جميل غازي، مطبعة المدني، العباسية، القاهرة.

٢٤-الظروف المخففة والمشددة في عقوبة التعزير في الفقه الإسلامي: ناصر علي ناصر الخليفي، القاهرة، مطبعة المدني.

٢٥-العفو المشروط بحفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه داخل السجن: عيسى عبد العزيز الشامخ، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٩هـ.

٢٦-العقوبات التفويضية وأهدافها في ضوء الكتاب والسنة: مطيع الله دخيل سليمان الصلهيد، جدة، دار تهامة للنشر.

٢٧-العمل للمنفعة العامة في السياسة العقابية المعاصرة –دراسة مقارنة–: د. صفاء أوتاني، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية مجلد (٢) ٢٠٠٩م.

٢٨-الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني: أحمد البنا الساعاتي، القاهرة، دار الشهاب.

٢٩-الفروق: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي، عالم الكتب، بيروت.
٣٠-الفكر الشرطي: أحمد الحويتي، أبو ظبي، الإمارات العربية، ١٩٩٣م.
٣١-القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها: د. صالح بن غانم السدلان، طـ٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار بلنسية السعودية.
٣٢-الكفارات في الشريع الإسلامية: عبد الله محمد القويزاني، طـ١، ١٣٩٩هـ.
٣٣-المؤيدات التشريعية: عبد العزيز الخياط، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١٤٠٦،٢هـ/١٩٨٦م.
٣٤-المبدع في شرح ألفاظ المقنع: أبو إسحاق ابراهيم بن مفلح، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.
٣٥-المبسوط: محمد بن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٣٦-المراقبة الإلكترونية طريقة حديثة لتنفيذ العقوبة السالبة للحرية خارج السجن: عمر سالم، دار النهضة العربية، القاهرة، طـ٢.
٣٧-المراقبة الجنائية الإلكترونية –دراسة مقارنة–: أسامة حسنين عبيد، دار النهضة العربية، القاهرة، طـ١، ٢٠٠٩م.
٣٨-المغني: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، مكتبة الرياض الحديثة.
٣٩-المهذب في فقه الإمام الشافعي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحيق: محمد الزحيلي، دار القلم دمشق – الدار الشامية بيروت، طـ١، ١٤١٧هـ.
٤٠-النظرية العامة للقانون الجنائي: رمسيس بهنام، منشأة المعارف، الإسكندرية، طـ٣، ١٩٩٧م.
٤١-الوضع تحت المراقبة الإلكترونية؛ السوار الإلكتروني في السياسة العقابية الفرنسية؛ مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (٢٥) العدد الأول ٢٠٠٩ صفاء أوتاني.
٤٢-بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي علاء الدين، تحقيق: علي محمد معوّض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣هـ.
٤٣- بدائل السجن دراسة مقارنة: حجاب بن عائض الذيابي –رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – (المعهد العالي للقضاء– قسم السياسة الشرعية) إشراف: د. منصور نصر قموح، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٤٤-بدائل السجن – دراسة فقهية–: د. الطيب السنوسي أحمد.
٤٥-بدائل السجون (الأحكام البديلة): د. ياسر البلوي، المصدر الجوريس بيديا.
٤٦-بدائل العقوبات السالبة للحرية بين الواقع والمأمول: عبد الله علي الخثعمي، جامعة نايف

العربية للعلوم الأمنية قسم العلوم الاجتماعية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٤٧- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام: برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري المالكي، بيروت، طـ١، ١٤١٦هـ.

٤٨-تجارب الدول الأخرى لبدائل عقوبة السجن: عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، ضمن ندوة بدائل عقوبة السجن، الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، الرياض، طـ١، ١٤٢٨هـ.

٤٩-تحرير التنبيه: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، طـ١، ١٤٠٨هـ.

٥٠-تداخل العقوبات في الشريعة الإسلامية: عادل سلامة محيسن، رسالة ماجستير ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الجامعة الإسلامية، غزة.

٥١-حاشية الجمل على شرح المنهج: الشيخ سليمان الجمل، دار الفكر.

٥٢-حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: محمد عرفه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٥٣-حاشية رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي، دار الفكر.

٥٤-حقوق الإنسان بعد المحاكمة في الفقه والنظام وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية: محمد الفديع الروقي، رسالة ماجستير،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، أكاديمية نايف للعلوم العربية.

٥٥-حقوق الجاني بعد صدور الحكم في الشريعة الإسلامية: معجب بن معدي العتيبي، مطبعة السفير، الرياض، طـ١، ١٤١٣هـ.

٥٦-حقوق الجاني في عقوبات جرائم الحدود: فواز ذعار العتيبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥٧-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، طـ٤، ١٤٠٥هـ.

٥٨-دور التعازير في الحد من الجرائم في المجتمع الإسلامي: د. فلاح سعد الدلو.

٥٩-روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٦٠-زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت-الكويت، طـ١٤،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عبد القادر الأرنؤوط.

٦١-سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق عزة عبيد دعّاس، مكتبة محمد علي السيد، حمص، طـ١، ١٣٨٩هـ.

٦٢-سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٦٣-سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري – سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٦٤-شرح صحيح مسلم (المنهاج): للنووي، تحقيق: عادل عبد الموجود – علي معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، طـ٢، ١٤٢٢هـ.
٦٥-شروط تفعيل خدمة المجتمع كبديل للعقوبة السالبة للحرية من وجهة نظر الضباط والنزلاء في إصلاحية الحائر: ثامر ضيدان العتيبي، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٦٦-علم النفس العقابي –أصوله وتطبيقاته–: كمال دسوقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م.
٦٧-فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام، مكتبة مصطفى الحلبي بالقاهرة.
٦٨-فقه العقوبات في الشريعة الإسلامية – دراسة مقارنة–: د. عيسى العمري–د. محمد شلال العاني، دار المسيرة للنشر، الأردن، عمان، طـ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٦٩-فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون: فكري عكاز، مكتبة عكاز، طـ١،١٤٠٢هـ.
٧٠-قانون العقوبات: عبود السراج، الكويت، مديرية الكتب، ١٤١٠هـ.
٧١-قواعد الأحكام في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، دار الكتب العلمية.
٧٢-كشّاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس البهوتي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٣-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه: أحمد بن عبد الحليم، الرياض، مكتبة ابن تيميه، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٧٤-مراقبة المتهم إلكترونياً كوسيلة للحد من مساوئ الحبس الاحتياطي –دراسة تحليلية–: د. ساهر ابراهيم الوليد، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ٢٠١٣م.
٧٥-مرشد إجراءات الحقوق الخاصة: وزارة الداخلية، الجزء الأول، الرياض، ١٤٠٩هـ.
٧٦-مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٧٧-مشروعية العقوبات البديلة: د. المنصور، منتدى دار العلوم القانونية والإسلامية والإنسانية، قسم القانون الجنائي الإسلامي.
٧٨-معين الحكام: علاء الدين الطرابلسي، دار الفكر، بيروت.
٧٩-مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر بيروت.

٨٠-مفهوم العقوبات السالبة للحرية –مفهومها وفلسفتها–: د.مضواح بن محمد آل مضواح، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

٨١-مفهوم العقوبة وأنواعها في الأنظمة المقارنة: فؤاد عبد المنعم بحث مقدم في (ملتقى الاتجاهات الحديثة في العقوبات البديلة) الذي أقامته وزارة العدل ١٧-١٤٣٢/١١/١٩هـ.

٨٢-مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات: عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، طـ١، ٢٠١٠م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

٨٣-نشر البنود على مراقي السعود: عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، المكتبة العصرية.

٨٤-نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية: جمال الدين عبد الله بن محمد بن يوسف الزيلعي، المكتبة الإسلامية، بيروت، طـ٢، ١٣٩٣هـ.

٨٥-نظام التجريم والعقاب: علي علي منصور، طـ١،١٣٩٦هـ.

Modern Concepts Of Alternative Penalties To Discretionary Judgments

Dr. Anood Mohammad Alkhudairi
Assistant Professor, Department of Islamic Studies
College of Arts - Imam Abdulrahman Bin Faisal University

Abstract. this study focused on alternative penalties for the Tazir rulings not authorized by the lawgiver and proving that it is sharia rulings, not a part of an opposite-sharia Secular law.The study also explained its concept, importance, limitations, and benefits, with identifying the corollaries maxims and the challenges preventing its implementation. Moreover, the study provided examples with identifying the relation between it and Tazir.

Results:

1- Based on the world current situation and that facts that have been proved by science concerning its great importance in archiving social stability, spreading peace, human rights, family cohesion, and national development, and its positive effect on the perpetrator and his purity from abuse and physical and psychological pains.

2- Alternative penalties are limited to Tazir, for which there is no sharia text determining the proper penalties.

3- Alternative penalties are characterized by: punching an perpetrator, giving a wide space for a judge to find the proper penalty for a crime or exchanging it with another.

Recommendations:

1- Raising the social awareness of alternative penalties importance, through organizing different courses and programs.

2- Asking for generalizing Taazir and Alternatives to imprisonment, in order to protect society and achieving the sharia objectives.

Key words: Penalties-Alternative-Taziria

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ٦٣- ٩١ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-3.3

الالتفات في ضوء اختلاف القراءات القرآنية ودلالاته التفسيرية (دراسة وصفية)

د. فهد بن عبد المنعم صقير السلمي
أستاذ مساعد بقسم علوم القرآن
كلية القرآن والدراسات الإسلامية – جامعة جدة
المملكة العربية السعودية

مستخلص. الحمد لله الذي خلق فسوى وأنعم فهدى وشرح للإسلام صدورنا وحبّب إلينا العلم وزيّنه في قلوبنا، ثم الصلاة بعد والسلام على خير من علم الورى، محمد وآله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى.

وبعد رحلة متيعة في مطاف القرآن الكريم وجميل صوره البلاغية واللغوية عموماً، ودلالاته التفسيرية خصوصاً، وبين ثنايا أسلوب الالتفات في القرآن الكريم في ضوء اختلاف القراءات القرآنية، وقبل أن تجف الصفحات وترفع الأقلام دونت مستخلصا لهذا البحث الذي سمّيته: (الالتفات في ضوء اختلاف القراءات القرآنية ودلالاته التفسيرية).

فقد تناولت في المبحث الأول، تعريف القرآن الكريم والقراءات، حيث إنها مجال البحث وموضِع دراسته، ثم شرعت في المبحث الثاني في تعريف الالتفات وانصراف الكلام فيه من الخطاب إلى الغيبة إلى التكلم والعكس من ذلك، ثم عرجت على أقسامه ومسمياته وبعض صيغه بصورة وجيزة مختصرة، وكل ذلك تمهيداً ومدخلاً للولوج إلى صلب البحث.

حيث قمت في المبحث الثالث بدراسة أسلوب الالتفات وأثره في اختلاف القراءات وتأثره بها ودلالاته التفسيرية وصوره في توسيع المعنى وإطلاق المقيد وتقييد المطلق من المعاني، عموماً.

ثم في المبحث الرابع ضربت الأمثال على صور الالتفات وأثره في القراءات ومنهج القرآن في تعميم الخاص وتخصيص العام وأثر ذلك في التفسير.

وفي المبحث الخامس والأخير، تناولت أثر الالتفات ودلالاته في تكامل معاني القراءات القرآنية، وأثر الالتفات في توجيه بعض القراءات ورفع الإشكال الذي وقع فيه بعض المفسرين والبلاغيين، وأثر ذلك في إعجاز القرآن وبلاغته.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأوّلين والآخرين محمدٍ وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

إنه لمن المسلمات التي خضعت لها الجن والإنس وحبط سعيهم أنهم قد عجزوا عجزهم التام عن الإتيان بمثل هذا القرآن ولو بسورة منه، بل وأبعد من ذلك لم

يستطيعوا جميعاً الإتيان ولو بآية منه، ومن صور الإعجاز البلاغي والمعنوي في القرآن الكريم: تنوع أساليبه البلاغية فمنها ما جاء على موافقة لسان العرب مع ما بينهما من تفاوت الفصاحة والبيان، ومنها ما جاء على صور أضفت صور بلاغية لم تألفها العرب، فمنها على سبيل التمثيل لا الحصر تنوع أساليب القرآن في صرف الكلام والالتفات من الغيبة إلى الخطاب إلى التكلم والعكس على وجوه عديدة وبصيغ متنوعة بديعة يعجز المتتبع لها أن يحصر دلالاتها البلاغية –السماعية منها والمعنوية– مع ما يصاحب تلك الصور من اتساع المعاني وتكامل القراءات وتنوع الأحكام، وقد حاولت من خلال بحثي هذا الذي سمّيته: **(الالتفات في ضوء اختلاف القراءات القرآنية ودلالاته التفسيرية)** أن أدرس بعض صور الالتفات في القرآن الكريم في ضوء اختلاف القراءات القرآنية وأثر ذلك التنوع والاختلاف في التفسير وبيان المعاني ودلالاتها اللفظية والمعنوية.

أهداف البحث

١– الرد على بعض الطاعنين في القرآن الكريم الجاهلين بأساليبه البلاغية، والذين يحاولون بين الفينة والأخرى التشكيك فيه عموماً وفي اختلاف نزوله على سبعة أحرف خصوصاً.

٢– بيان العلاقة التكاملية بين القراءات المتواترة والشاذة وأثرها في معاني القراءات، وإيضاح العلاقة بين الصور البلاغية للالتفات واختلاف القراءات القرآنية.

٣– بيان مدى تأثر معاني الآيات التي اختلف القراء فيها بأسلوب الالتفات وأثر ذلك في أراء المفسرين ومناهجهم البحثية.

٤– بيان الوحدة الموضوعية التي اشتملت عليها المعاني المتحصلة من اختلاف القراءات، ودلالاتها وتأثيرها في اتساع المعاني وتخصيص العام والعكس.

٥– دراسة بعض صيغ الالتفات التي جاء بها القرآن على وجوه لم تألفها العرب، وإن جاءت على لسان البعض منهم فإنها إنما اقتصرت على الدلالات اللفظية والسماعية.

منهج البحث

١– اتبعت المنهج الوصفي والاستقرائي التحليلي.

٢– عرض القراءات القرآنية وتخريجها والاكتفاء بذكر رواتها من غير ترجمة لهم ولغيرهم من العلماء المشهورين، ثم مناقشة الصور البلاغية للالتفات في الكلمات التي ورد فيها الاختلاف.

٣– حصرت الدراسة على أسلوب الالتفات في الوجوه التي انتقل الكلام فيها بين صور الخطاب من الغيبة إلى الخطاب

أو التكلم وما ينتج عنها من الصور التي اشتهرت عند المفسرين والبلاغيين.

٤- لم أتناول في البحث الأسلوب العام للالتفات، وأقصد بذلك الوجوه التي أجمع القراء على القراءة فيها بوجه واحد، أو التي تناولها المفسرون والبلاغيون على رواية واحدة لقارئ واحد، وإنما خصصت الدراسة فيما اختلفوا فيه من الأحرف.

الدراسات السابقة

وقع بين يديّ الباحث العديد من البحوث ورسائل الماجستير في التفسير واللغة العربية ولكنها جميعا تركزت على الجوانب اللغوية البلاغية السماعية، وبعضها تركز على استعرض بعض صور الالتفات في القرآن على رواية دون أخرى، ولم يقع بين يدي رسالة أو بحث محكم مختص في دراسة أسلوب الالتفات في ضوء اختلاف القراءات، ومن هذا الدراسات:

١- الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، إعداد: د/ طاهر عبد الرحمن قحطان، الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية، بكلية التربية – جامعة صنعاء – اليمن، الناشر: مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد التاسع عشر، يناير، يونيو ٢٠٠٥م.

وتركزت الدراسة على دراسة صيغ الالتفات وانصراف الكلام في الضمائر والأفعال والأعداد، وكذلك صيغ التعظيم والمبالغة والتوبيخ والمدح، وما شابهها.

٢- تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم، ومقاصده البلاغية والإعجازية، رسالة ماجستير، إعداد: الطالب/ إسماعيل الحاج عبد القادر سيبوكر، إشراف أ.د/ محمد الحسن علي الأمين، كلية التربية قسم اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم – السودان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

تركزت هذه الدراسة على تعريف الالتفات ومسمياته عند البلاغيين ونشأة الالتفات وأشهر المتكلمين فيه، وصيغه وبعض صوره، التي جاءت في القرآن الكريم، وهي كسابقاتها تركزت على الصور البلاغية وعلى رواية واحدة فقط.

٣- أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، وجهود أشهر اللغويين والنحاة في دراسته، إعداد: د/ عدنان عبد الكريم خليفات، جامعة الملك عبد العزيز، كلية المعلمين، جدة – المملكة العربية السعودية.

وتركزت الدراسة على دراسة أسلوب الالتفات وجهود العلماء في تدوينه وشرح صوره، ونحو ذلك.

ومع ما اشتملت عليه الدراسات من فوائد علمية يشكر للباحثين فيها جهدهم، إلا إنها كانت في جانب واحد هو نشأت أسلوب الالتفات وفوائده البلاغية وجهود العلماء فيه.

هيكل البحث:

المبحث الأوّل: تعريف القرآن والقراءات، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: تعريف القرآن الكريم:

المطلب الثاني: تعريف القراءات:

المبحث الثاني: معنى الالتفات، وأقسامه:

المبحث الثالث: الالتفات وأثره في توسيع المعنى في ضوء اختلاف القراءات:

المبحث الرابع: الالتفات في القرآن الكريم وعلاقته بالخاص والعام:

المبحث الخامس: الالتفات وأثره في تكامل معاني القراءات:

الخاتمة: وتشمل:

أولاً: النتائج.

ثانياً: التوصيات.

المبحث الأوّل: تعريف القرآن والقراءات، وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: تعريف القرآن الكريم:

القرآن في اللغة: مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، ويسمّى كلام الله الذي أنزله على نبيه كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن الجمع، وسمي قرءاناً، لأنه يجمع السّور ويضمّها، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[(١)]، أي: جمعه وقراءته، وقرأت الشيء قرءاناً، جمعته وضممّت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلىً قط وما قرأت جنيناً قط، أي: لم يَضْطَم رحمها على جنين[(٢)].

يقول ابن فارس[(٣)]: "القاف والراء والحرف المعتل، أصلٌ صحيح، يدلُّ على جمع واجتماع"[(٤)].

القرآن في الاصطلاح[(٥)]:

القرآن هو كلام الله تعالى الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسوله الأمين محمد بألفاظه العربية، ومعانيه الحقّة، ليكون حجة وبرهاناً للرسول على أنه رسول من عند الله، ودستوراً للناس يهتدون بهداه،

---

(١) القيامة : ١٧.

(٢) لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور: (ت٧١١هـ - ١٣١١م)، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة، دار المعارف، القاهرة - مصر: (٣٥٦٣/٥).

(٣) هو: أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني، الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، أصلة من قزوين وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ وتوفي فيها، من تصانيفه، (مقاييس اللغة)، و(جامع التأويل في تفسير القرآن)، و(الحماسة المحدثة)، و(الفصيح)، وغيرها، ينظر: سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م: (١٧/ ١٠٣)، والأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي(ت: ١٣٩٦ه)، الناشر: دار العلم للملايين، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م:(١٩٣/١).

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: (٧٨/٥).

(٥) يعد تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح من أكثر المصطلحات التي اختلف العلماء في جواز تعريفه بها تعريفا جامعا مانعا، لأنه كلام الله تبارك وتعالى، وما ذكرته هنا إنما هو محاولة لجمع بعض أوصافه التي نظن أنها تجمع بعض نواحي تعريفه، وأول من ذكر هذه الأوصاف بهذا التسلسل وبهذه المنهجية فيما أعلم هو ابن خلدون في مقدمته، ينظر: مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: عبد الله محمد الدّرويش، الناشر: مكتبة الهداية، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: (١٧٣/٢).

وقُرْبةً يتعبدون بتلاوته، وقد دُوّن هذا الكلام العظيم بين دفَّتي المصحف، مبدوءً بسورة الفاتحة، ومختوماً بسورة الناس، ونقل إلينا بالتواتر كتابةً ومشافهة، جيلاً عن جيل، محفوظاً من أي تغيير أو تبديل مصداقاً لقول الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١][٢].

المطلب الثاني: تعريف القراءات:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر: قرأ يقرأ قراءة فهو قارئ، ويقال: قرأ فلان قراءةً، واستقرأه: بمعنى طلب منه أن يقرأ، وقرأ الكتاب قراءةً: أي تتبع كلماته نظراً ونطق بها [٣].

القراءات في الاصطلاح: عرفها ابن الجزري[٤] فقال: " هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها بعزو النَّاقلة" [٥].

(١) الحجر : ٩.

(٢) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د /عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، ط٢، ١٣٩٩هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود للنشر، الرياض ـ السعودية: (١/ ٦٢)،والنبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، لمحمد عبد الله دراز، اعتنى به وخرَّج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني، ط١، دار طيبة، الرياض ـ السعودية، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م: (١٠)، والقراءات وأثرها في التّفسير والأحكام، محمد بن عمر سالم بازمول، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض ـ السعودية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م: (٢٦/١).

(٣) لسان العرب، لابن منظور: (٣٥٦٣/٥).

(٤) هو: محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري، الدمشقي، ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري، شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث، ولد ونشأ بدمشق، وابتنى فيها مدرسة سمّاها(دار القرآن) رحل إلى شيراز فوليَّ قضاءها، ومات فيها، من كتبه، النشر في القراءات العشر، وغاية النهاية في طبقات القراء، ونهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات، والتمهيد في علم التجويد، ومنجد المقرئين، والتتمة في القراءات، وتحبير التيسير في القراءات، والدرة المضيئة، في القراءات، والمقدمة الجزرية، وغيرها كثير، غاية النهاية: (٧/١).

(٥) مُنجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، اعتنى به علي بن محمد العمران:(٤٩).

وعرفها بدر الدين الزركشي[٦]أيضاً فقال: "هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كَتَبَة الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتثقيلٍ وغيرهما" [٧].

وقد عرفها شهاب الدين القسطلاني [٨] تعريفاً جامعاً مانعاً فقال هي:" علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع"[٩].

المبحث الثاني: معنى الالتفات، وأقسامه:

الالتفات لغة[١٠]: اللفت: الصرف والتحويل، قال ابن فارس: (اللام والفاء والتاء) كلمة واحدة تدل على

(٦) هو: محمد بن عبد الله بن بهادر، بدر الدين، الزركشي، فقيه أصولي، محدث، أحد العلماء الأثبات، الذين نجموا بمصر في القرن الثامن، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ، وتوفي بمصر في رجب سنة ٧٩٤هـ، ودفن بالقرافة الصغرى، وله مؤلفات كثيرة، منها: (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة عن الصحابة)، و(إعلام الساجد بأحكام المساجد)، و(البحر المحيط في أصول الفقه)، و(البرهان في علوم القرآن)، و(تفسير القرآن) وغيرها، ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م: (٤٣٧/١)، ومعجم المؤلفين تراجم مؤلفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، الناشر: مؤسسة الرسالة: (٤٣٣/٣).

(٧)البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث ، القاهر ـ مصر: (٣١٨/١).

(٨) هو: أحمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني، شهاب الدين، أبو العباس، المصري، الشّافعي، الإمام العلامة، الحجة، الفقيه، المقرئ، يرجع نسبه إلى قسطلة، وهي إقليم بأفريقية، ولد في القاهرة سنة ٨٥١هـ، ونشأ بها، حفظ القرآن، والشاطبيّة، والطّيبة ،وأحكام التلاوة، وحفظ الوردية في النحو، ومتوناً أخرى في فنون الثقافة الإسلامية، له مؤلفات كثير مثل: (الحديث وروايته)، و(القراءات والاحتجاج لها)، و(التصوف) و(الأخلاق) ويعتبر شرحه للبخاري من أبرز مؤلفاته، توفي سنة ٩٢٣هـ،الأعلام، للزركلي: (٢٣٢/١).

(٩) لطائف الإشارات لفنون القراءات، لأحمد بن أبي بكر القسطلاني، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عامر السيد عثمان، د/ عبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ـ مصر: (١٧٠/١).

(١٠)ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٢٥٨/٥).

الليّ وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، ومنه: لَفَتُّ الشيء، أي لويته، ولَفتُّ فلاناً عن رأيه: أي صرفته عنه، ولَفَتَ وجهه عن القوم إذا صرفه، والْتَفَتَ التِفاتاً، والتَّلَفُّتُ أَكثرُ مِنْهُ، وتَلَفَّتَ إِلى الشَّيْءِ والْتَفَتَ إِليه: صَرَفَ وجْهَه إِليه؛ قَالَ الشاعر:

أَرَى المَوْتَ، بَيْنَ السَّيْفِ والنِّطْع كامِناً يُلاحِظُنِي
مِنْ حيثُ مَا أَتَلَفَّتُ[١]

وقد جاء منه في الذكر بمعنييه في قوله تعالى:﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾[٢]، فأُمِرَ لوط عليه السلام بتَرْكِ الالْتِفاتِ، لِئَلَّا يَرَى عظيمَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، فحمل الالتفات على حقيقته وذهب بعض المفسرين إلى أن لوطاً عليه السلام أمر بترك امرأته، وهم بهذا المعنى يوافقون من ذهب إلى أن من مقاصد الالتفات الترك والتحول وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن مسميات الالتفات؛ وَفِي الْحَدِيثِ فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" فإِذا الْتَفَتَ، الْتَفَتَ جَمِيعًا"[٣].

(١) البيت لتميم بن جميل الأوسي، وهو في العقد الفريد، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ: (٣٣/٢)، والمجموع اللفيف، لأمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني، أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي (ت: بعد ٥١٥هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ: (٢٢٧/١).ولسان العرب، لابن منظور: (٨٤/٢).

(٢)هود: ٨١.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م: (١/ ٢٦٤)، ولسان العرب، لابن منظور: (٨٤/٢).

وقال الْفَرَّاءُ في قوله تعالى:"﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٤]، اللَّفْتُ: الصَّرْفُ؛ يُقَالُ: مَا لَفَتَك عَنْ فلانٍ أَي مَا صَرَفَك عَنْهُ؟ واللَّفْتُ: لَيُّ الشيءِ عَنْ جهتِه، كَمَا تَقْبِضُ عَلَى عُنُق إِنسانٍ فتَلْفِتُه"[٥].

الالتفات في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف الالتفات اختلافاً واسعاً، فمنهم من سعى في تعريفه له إلى موافقة المعنى اللغوي للكلمة، ومنهم من حمل التعريف على الاختلاف في معنى اللفظ وشموله وإلى دخول كثير من وجوه التحول والانصراف في اللغة عموماً وفي القرآن خصوصاً، وهذه التعاريف مع كثرتها وتنوعها لا تكاد تخرج عن المعاني اللفظية لأصل الاشتقاق، ولعل من أبرز هذه التعاريف:

ما ذهب إليه عبد الله بن المعتز[٦] حيث عرفه فقال: "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار

(٤) يونس: ٧٨.

(٥) معاني القرآن، ليحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا، الديلمي الفراء(ت: ٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي/محمد علي النجار/عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١: (١/ ٤٧٥).

(٦) هو: عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة ولد في بغداد سنة (٢٤٧ه)، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، وصنف كتباً، منها:(الزهر والرياض) و(البديع – ط) و(الآداب) و(الجامع في الغناء) و(الجوارح والصيد) و(فصول التماثيل – ط) و(حلى الأخبار) و(أشعار الملوك) و(طبقات الشعراء – ط)، (ت: ٢٩٦ه): ينظر: فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين(ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت– لبنان، ط١، الجزء: ١ - ١٩٧٣والأجزاء: ٢، ٣، ٤- ١٩٧٤م: (٢/ ٢٣٩-٢٤٦)، وتاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، شمس الدين، أبو عبد الله، الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د/ بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م: (٦/ ٩٧٠).

وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات: الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر "[١].

وعرفه الزركشي بأنه: " نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر؛ تطرية واستدراراً للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطرة من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه"[٢].

وهو نوع من أنواع التفنين، وقد نبّه عليه ابن عاشور وأشار إليه في تفسيره وقد ذكر الزمخشري الالتفات في كشافه، مقروناً بالتفنين فقال: " الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم[٣].

وعرف الثعالبي الالتفات بقوله: "هو أن تذكر الشيء وتتم معنى الكلام به، ثم تعود لذكره كأنك تلتفت إليه"[٤].

وقد أورد البلاغيون تعريفات كثيرة للالتفات أكثرها غير واف بالمراد، بدأ من تعريف ابن المعتز للالتفات، إلى تعريف ابن الأثير له[٥].

ولم يوضع له تعريف دقيق إلا على يد الخطيب القزويني [٦]، والذي تابعه عليه شراح تلخيصه وجمهور البلاغيين[٧]، والتعريف الذي كتبه الخطيب وتابعه عليه الجمهور هو: " الالتفات: التعبير عن معنى الطرق الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عنه بواحد منها"، ومعنى هذا التعريف يؤول إلى الصور التي تقدمت[٨].

مسميات الالتفات:

اختلفت مسميات الالتفات عند المتقدمين من أهل اللغة، فأول من ذكره بلفظ (الالتفات) الأصمعي[٩]،

(١) البديع في البديع، لعبد الله بن محمد المعتز بالله، ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي(ت: ٢٩٦هـ)، الناشر: دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: (٣٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٣١٤/٣).

(٣)التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت:١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس،١٩٨٤هـ: (١١٦/١).

(٤) ينظر: فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: (٢٧٦).

(٥) هو: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب: وزير، من العلماء الكتاب المترسلين (مؤرخ عراقي)، ولد في جزيرة ابن عمر سنة(٥٥٨ه)، ولي الوزارة للملك الأفضل ابن صلاح الدين في دمشق، كتب الإنشاء لصاحبها محمود بن عز الدين مسعود، فبعثه رسولا في أواخر أيامه إلى الخليفة، فمات ببغداد، كان قوي الحافظة، من محفوظاته شعر أبي تمام والمتنبي والبحتري، ومن تآليفه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" و"كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب" في ٩٨ ورقة و"المفتاح المنشأ لحديقة الأنشأ" و"المعاني المخترعة" في صناعة الإنشاء، و"الوشي المرقوم في حل المنظوم" و"الجامع الكبير" في صناعة المنظوم والمنثور، و"البرهان في علم البيان" و"ديوان رسائل" طبع في بيروت باسم "رسائل ابن الأثير". توفي سنة (٦٣٧ه)، ينظر: البديع في البديع، لابن المعتز: (٣٣)، وتاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي: (٢٥٨/١٤)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لنصر الله بن محمد، لابن الأثير(ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة– مصر: (١٣٥/٢)، والموسوعة القرآنية المتخصصة، المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: (٥٠٨).

(٦) هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين، القزويني، الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، ولد بالموصل لكنه أصله من مدينة قزوين، كاتب، مؤلف عربي من مؤلفاته الإيضاح في علوم البلاغة، وهو يتحدث في هذا الكتاب عن نشأة علم البلاغة العربية، ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر سنة (٧٢٧ه) ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ه، ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفي سنة (٧٣٩ه)، من كتبه: تلخيص المفتاح (في المعاني والبيان)، والإيضاح (في شرح التلخيص)، و(السور المرجاني من شعر الأرجاني): ينظر: الأعلام، للزركلي: (١٩٢/٦).

(٧) الموسوعة القرآنية المتخصصة: (٥٠٨).

(٨) الموسوعة القرآنية المتخصصة: (٥٠٨).

(٩) هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، حُجَّةُ الأَدَبِ، لِسَانُ العَرَبِ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع، ومولده سنة (١٢٢ه)، ووفاته في البصرة سنة (٢١٦ه) كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ

وسماه أبو عبيدة معمر بن المثنى[١] في كتابه مجاز القرآن: بـ (الترك والتحويل)[٢]، وأما الفراء[٣] فقد سماه:

(الانتقال)[٤]، وقد ذكره ابن المعتز في كتابه (البديع)، وسماه: (محاسن الكلام)؛ وذلك لأثره في تطرية الكلام وتنشيط أذهان السامعين[٥]، وذكره القرطبي في تفسيره بلفظ: (التلوين)[٦] وأطلق عليه بعض المتأخرين لفظ: (العدول)[٧].

أقسام الالتفات:

للالتفات أقسام كثير، وأساليب مختلفة يصعب حصرها في اللغة عموماً وفي القرآن خصوصاً؛ إذ إنه يعد من أكثر الأساليب البلاغية استعمالاً وتنوعاً، وبناءً على ذلك تعسر على كثير من العلماء حصر هذه الأقسام، ولعل أبرز ما جاء من أقسامه ما يلي:

١- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

ومن أمثلة ذلك: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(النحل: ٩٦)، قرأ ابن كثير وعاصم وابن ذكوان: (ولنجزين) بنون العظمة، وقرأ الباقون: (وليجزين) بياء الغيبة، رجوعاً إلى الله لتقدُّم ذكره العزيز في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[٨].

٢- الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

ومن شواهده، قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(يس: ٢٢)، فمقتضى السياق أن يقول: (وإليه ارجع)[٩].

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ (الكوثر: ١ – ٢)، ومقتضاه أن يقول: (فصل لنا)[١٠].

عليها بالعطايا الوافرة، أخباره كثيرة جدا، وكان الرشيد يسميه " شيطان الشعر"، قال الأخفش: ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعي، وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظا، وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة، وتصانيفه كثيرة، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٠/١٧٥-١٨١).

(١) هو: معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيد النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده بالبصرة سنة (١١٠ه)، ووفاته فيها سنة(٢٠٩ه)، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، وكان إباضيا، شعوبيا، من حفاظ الحديث، قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب وصنف في مثالبهم كتبا، ولما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه، له نحو ٢٠٠ مؤلف: ينظر: تاريخ بغداد، لأحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، أبو بكر، الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د/بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: (١٥/ ٣٣٨).

(٢) البلاغة تطور وتاريخ، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، مصر - القاهرة، ط٩، ١٩٦٥م:(٣٠).

(٣) هو: يحيى بن زياد الفراء ،الدَيلمي، أبو زكريا، إمام الكوفيين ،وأعلمهم بالنحو، واللغة، وفنون الأدب، ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً، متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها، وعارفاً بالنجوم = = والطب، ويميل إلى الاعتزال، من كتبه: المقصور والمدود، والمعاني، ويسمى معاني القرآن، والمذكر والمؤنث، وكتاب اللغات، وما تلحن به العامة، وغيرها، توفي سنة ٢٠٧هـ، سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٠/١١٨-١٢١).

(٤) ينظر: معاني القرآن، للفراء: (١١٩٥).

(٥) ينظر: البديع في البديع، لابن المعتز: (٢٢).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي شمس الدين، أبو عبد الله، القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة– مصر، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م: (١/١٤٥).

(٧)البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٣/٣٢٩).

(٨) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي(ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق– سوريا: (٧/٢٨٤).

(٩) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط٣: (٢/ ٨٧).

(١٠) ينظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ١٤٢٠ هـ: (٣٢/ ٣١٩).

٣- الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

ومثاله، قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾﴾[١]، وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحدا فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به ويمكن أن يمثل بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٢]، على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب[٣].

٤- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

ومثاله، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[٤].

سياق الآية أمر منه تبارك وتعالى على صيغة الخطاب للنحل بأن تأكل من كل الثمرات، ثم عاد من الخطاب إلى الغيبة، فقال: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا﴾[٥].

٥- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

ومثاله، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾[٦]، فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم فقال: (فَسُقْنَاهُ، فَأَحْيَيْنَا)؛ لأنه أَدخلُ في الاختصاص وأدلُّ عليه[٧].

٦- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾[٨]، ولم يقل: (لقد جاءوا) للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي الإنكار عليه وتوبيخه وزجره، وفيه تعميم الخاص، إذ إن الخطاب للغائبين هنا فيه تخصيص لهم وتقييد للخطاب عليهم، وفي انتقال الكلام إلى المخاطبين فيه تعميم الخطاب لمن بلغه ذلك مع احتمال عود الضمير على السابقين فيدخلون جميعاً في الزجر والتوبيخ[٩]، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في سياق هذا البحث عند الحديث عن العام والخاص.

أسباب الالتفات:

للالتفات أسباب كثيرة منها اللفظي ومنها المعنوي، وهذه الأسباب تختلف بحسب المتكلم وحاله ومقامه، ومقاصده، ويمكن إيضاح بعض ذلك من خلال التقسيم الآتي:

(أ) أسباب عامة، ومنها: التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر، لما في ذلك من تنشيط السامع، واتساع مجاري الكلام، وتسهيلا للوزن والقافية، وغير ذلك.

(ب) أسباب خاصة، وهذه تختلف باختلاف محالّه، ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم، ومنها، ما

(١) طه: ٧٢.
(٢) يونس: ٢١.
(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٣/ ٣١٧).
(٤) النحل: ٦٩.
(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه: (٨٠٢/٢).
(٦) فاطر: ٩.
(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٣٢٩/٣).
(٨) مريم: ٨٨ – ٨٩.
(٩)ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٣/ ٣٢٢-٣٢٣).

غايته قصد تنظيم شأن المخاطب، أو التنبيه على ما حق الكلام أن يكون وارداً عليه، ومنها قصد المبالغة، وقصد الدلالة على الاختصاص، وقصد التوبيخ، وغيرها[١].

خصائص الالتفات في القرآن:

تميز القرآن الكريم بفصاحته وبلاغة الّتين أعجزتا الفصحاء وألجمتا البلغاء، فتارة يحاكي القرآن بعض الصيغ البلاغية خصوصاً واللغوية عموماً، فما جاء منه على وجه المحاكاة فقد جاء على أكمل الوجوه عند العرب وأكملها، وما تفرد به منها فقد جاء به على نحو لم يألفوه فقبلوه لحسنه وبديع معانيه.

ومن هذا الأساليب التي جاء على وجوه موافقة للسان العرب وزادت عليها: أسلوب الالتفات، فقد جاء في القرآن على صور شتى ولدلالات مختلفة منها اللغوية البلاغية، ومنها المعنوية التفسيرية، ومنها الحكمية والتشريعية، من جهة.

ومن جهة أخرى فإن اختلاف القراءات والأحرف السبعة التي نزل بها القرآن قد أضافت سمات أخرى لأسلوب الالتفات، فحيناً تراه في الكلمة الواحدة أو الآية الواحدة يأتي بالتفات في الكلمة الواحدة، فهي لبعض القراء تحمل معنى وللآخرين تحمل معنى آخر يكمل الآخر ولا يناقضه من غير اضطرار ولا اختلال في الكلام ولا في المعاني[٢]، على خلاف الشعر والنثر العربي الذي التزم أسلوباً واحد من الكلام مفاده الدلالات البلاغية والتحسينية، فمقصد المتكلم منه شاعراً كان أو ناثراً الإتيان بمعنى يريد الانصراف به إلى معنى آخر، لتحسين الكلام وتطرية السامع، وإما اضطراراً لعجز في الكلام أو مراعة للوزن، والقافية، أو خشية ورهبة، أو امتداحاً وتبذلاً، وغير ذلك.

المبحث الثالث: الالتفات وأثره في توسيع المعنى في ضوء اختلاف القراءات:

الالتفات من الأساليب البلاغية التي استعملتها العرب بقصد التفنن في الكلام وطرد السآمة والملل، مع ما أضفاه الالتفات إلى الكلام من الفوائد العامة والخاصة كالخروج من الاضطرار في الشعر أو الانصراف من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب والتكلم وغيره مدحا لمخاطب أو خشية منه.

ومع أن القرآن قد استعمل الالتفات على نحو ما استعملته العرب إلا أنه استعمله لمقاصد أخرى منها توسيع المعاني وتخصيص العام وتعميم الخاص وتفصيل المعاني وتكامل معاني القراءات وغيرها، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ ﴾[٣].

(١) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م: (١/ ٢٧٣-٢٧٦)، وأساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة – المعاني، لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، الناشر: وكالة المطبوعات – الكويت، ط١، ١٩٨٠م: (١/٢٧٦-٢٧٧).

(٢) ينظر: المبحث الثالث من هذا البحث: الالتفات وأثره في توسيع المعنى في ضوء اختلاف القراءات: ص ١٧ – ١٦.

(٣) الكهف: ٢٦.

قرأ الجمهور[١]: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[٢]بـ(الياء) و(لا) نافية، ورفع آخر الفعل، وهو على الخبر عن الله تبارك وتعالى وفيه التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة، وعلى هذا الوجه من القراءة في الإخبار عنه تبارك وتعالى أنه لم ولا يشرك في حكمة أحدا لا ملك مقرب ولا نبياً مرسلا.

وقرأ ابن عامر وابن عباس وقتادة وعاصم وأبو حيوة وقالون وروح وزيد ثلاثتهم عن يعقوب: (ولا تُشركْ) بـ (التاء)[٣] و(لا) ناهية والفعل على الجزم، أي ولا تشرك أيها المخاطب، وذهب القرطبي إلى أنه خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام فيدخل فيه جميع أمته برهم وفاجرهم، وإليه ذهب البيضاوي وغيره اعتبارا بعموم اللفظ.

وقرأ مجاهد: (ولا يُشركُ) بـ (الياء) و(لا) الناهية وجزم الفعل، وعلى هذا يحتمل المعنى دخول جميع من عمّهم الخطاب في النهي[٤].

والملاحظ هنا أن انصراف الكلام والالتفات جاء على وجوه عدة، بحسب اختلاف القراءات في الآية ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم، ومن التكلم على إلى الغيبة.

فعلى الوجه الأول(لا يُشركُ): التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة، وفيه إعلام من الله تبارك وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ولجميع الخلق أنه تبارك وتعالى المتفرد بالحكم والخلق وأنه لا يشاركه في ذلك أحد، وأنه ليس لأحد أن يحكم إلا بما حكم الله، وبما دل عليه حكم الله، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكًا في حكمه يأمر بحكمٍ كما أمر الله[٥].

وعلى الوجه الثاني(ولا تُشركْ): التفاتٌ من الخطاب إلى التكلم والانتقال من الإخبار إلى التكليم، ودلالته النهي عن الشرك، والمعنى، ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحدًا، على النهي عن الإشراك في حكمه، أي: لا تكن كمن قيل فيه: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٦]، واللفظ عام في قوله: (ولا تشرك) في النهي والزجر عن الشرك لكل أحد، وفيه خصوص، خُص الخطاب بالنبي عليه الصلاة والسلام وهو أبعد الناس عن الشرك والتعريض به خطاب لأمته ونهيٌ لها.

وعلى الوجه الثالث(ولا يُشركْ): التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة أيضاً، وفيه نهي خاص يراد به من أراد لقاء الله وارتجى عفوه ورحمته فإنه يجب عليه على

(١) ينظر: كتاب السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ: (٣٧٠/١)، والبحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أبو حيان، أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت– لبنان، ١٤٢٠ هـ: (٧/ ١٦٥).

(٢) الكهف: ٢٦.

(٣) النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن يوسف، شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري(ت:٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠هـ)،الناشر: المطبعة التجارية الكبرى(تصوير دار الكتاب العلمية): (٣١٠/٢).

(٤) ينظر: كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد: (٣٧٠/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان: (٧/ ١٦٥)، ومعجم القراءات، لعبد اللطيف الخطيب، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢ه -٢٠٠٢م: (١٩٠/٥-١٩١).

(٥)التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أبو الحسن، النيسابوري، الشافعي(ت: ٤٦٨هـ) تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ:(١٣/ ٥٩٧).

(٦)الأعراف: ١٩١.

سبيل الشرط والجزم أن لا يشرك بعبادة الله شيئاً؛ لأن الله تبارك وتعالى هو أغنى الشركاء، فمن أشرك معه غيره فهو تبارك وتعالى غني عن فيتركه وشركه كما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، حيث قال: "قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"(١).

وهذه المعاني الآنفة الذكر ما كان لأحد أن يأت بها على هذا النحو وعلى هذا التفصيل الدقيق مع تكامل المعاني فيها وانتقال الخطاب من العام إلى الخاص ومن الخاص إلى العام ومن خطاب الجمع إلى خطاب المفرد ومن المفرد إلى الجمع، وكل هذه المعاني والأحكام والنهي والإخبار في لفظ واحد –لا يشرك– على أحرف سبعة اشتملها هذا الكتاب العزيز، غيره سبحانه وتعالى.

ومن الدلالات العامة التي أضفاه الالتفات إلى تفسير القرآن ماء جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾(٢).

فقد احتملت الآية معان مختلفة على صور متنوعة متأثرة تأثراً كبيراً بانتقال الكلام والالتفات من حال إلى حال في قراءة: (ترجعون)، فمن هذه الوجوه:

الوجه الأول (يُرجعون): قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حماد ويحيى عن أبي بكر وجبلة عن المفضل عن عاصم وروح واليزيدي: (يُرجعون) بياء الغيبة(٣) وضمها، وبناء الفعل للمجهول– للمفعول–، وقد أفاد الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في هذا الموضع الإخبار منه تبارك وتعالى أن أولئك المنكرين الجاحدين للبعث الكافرين بيوم القيامة والحساب فيه والخلود إما في الجنة أو في الجحيم، أنهم لا محالة راجعون إليه فمجازيهم على كفرهم وجحودهم، وفيه تبكيت لهم واستهزاء بشأنهم وتحقيرٌ لهم، وهذا المعنى حاصل إن حمل اللفظ على الخصوص وعود الضمير في (واو الجماعة) من قوله: (يرجعون) إلى الكافرين، وأما إن حُمل المعنى على العموم فإن المعنى يزداد اتساعاً وشمولاً، فيدخل فيه كل الخلائق من ملائكة وإنس وجن وحيوان، وكل مخلوق خلقه الله تعالى فهو إليه راجع.

الوجه الثاني (تُرجعون): وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وعياش عن أبي عمرو وغيرهم، (تُرجعون) بتاء الخطاب وضمها، وبناء الفعل للمجهول(٤).

وعلى وجه هذه القراءة فإن الالتفات وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب، فيه تخصيص للعقلاء من الخلق المكلفين من الجن والناس

(١) صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان: (٤/ ٢٢٨٩).

(٢)الروم: ١١.

(٣) ينظر: الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق/ بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: (٤٤٤/٥-٤٤٥)، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري: (٣٤٤/٢)، ومعجم القراءات، للخطيب: (١٤٧/٧).

(٤) ينظر: الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسيّ: (٤٤٤/٥-٤٤٥)، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري: (٣٤٤/٢)، معجم القراءات، للخطيب: (١٤٧/٧).

أجمعين، من بر وفاجر، وفيه موعظة للمؤمنين وترهيب لهم، وزجرٌ للكافرين وتبكيت، وعلى هذا المعنى والذي قبله من بناء الفعل للمجهول مبالغة في الترهيب وإشارة إلى أنهم سيُرجعون إلى الله تبارك وتعالى وقد رغمت أنوفهم وذلت نفوسهم، شاءوا ذلك أم أبوا، وإن الله يبعثهم ويعيدهم وليس لهم من ذلك الأمر شيء.

الوجه الثالث (تَرجعون):وقرأ يعقوب وابن محيصن والمطوعي: (تَرجِعون) بالتاء على الخطاب، وبناء الفعل للمعلوم –للفاعل–[١].

وفي هذا الوجه وما فيه من الالتفات وانتقال الكلام من الخطاب إلى التكليم من النكت التفسيرية الموعظة البليغة ما يعجز اللسان عن وصفة وتتحير القلوب والأبصار فيه معرفة كنهه، فإن المؤمن إن قامت قيامته ورأى ما أعده الله له من النعيم المقيم اشتاقت نفسه إلى الجنات وارتجى من الله البعث وقيام الساعة لما يعلم ما له عند الله كما جاء في الحديث: "اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، وَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ فِي الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي أَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، فَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، وَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا

(١) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، لأحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري، أبو بكر (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية، دمشق– سوريا، ١٩٨١م: (٣٤٨-٣٤٩)، ومعجم القراءات، للخطيب: (١٤٧/٧).

عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّي أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ثَلَاثًا، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي..."[١].

وذلك ليس بغريب ولكن الأعجب من ذلك والأدلّ على ما في الآية من التبكيت للكافرين أن الكافر إذا رأى ما أعده الله له من العذاب المهين فزعت نفسه ونادى عليها بالويل والثبور، ونادى ربه رب لا تقم الساعة، وقد صور لنا ذلك المشهد العصيب النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال: "...وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الآخرة، وَإِقْبَالٍ مِنَ الدنيا نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، فَتَفَرَّقُ فِي أَعْضَائِهِ كُلِّهَا، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَتَتَقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا مِنْ يَدِهِ، فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ"، قَالَ: "وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهَا فَلَا يُفْتَحُ لَهَا"، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٢]، قَالَ: "ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَيُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا"، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾[٣]، قَالَ: فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ"، قَالَ: "وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ، فَيَقُولُ: رَبِّي لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ"[٤].

وقد ذكرت الحديث بطوله ليُعلم هول الموقف وشدته، وحال الكافر ومآله، فأَنَّى له حين ذاك الرجوع من تلقاء نفسه، ولكنما جاء السياق على هذا النحو وأسند الرجوع إليه مبالغة في انقضاء الأمر،

(١) ينظر: الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ») لعبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن، الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: (٤٣٠).

(٢) الأعراف: ٤٠.

(٣) الحج: ٣١.

(٤) ينظر: الزهد والرقائق، لابن المبارك:(٤٣٠).

وأن ما قضاه الله كائن، وأنهم إليه راجعون وأنهم يساقون إليه تسوقهم الملائكة وتسوقهم أنفسهم يخرجون من القبور لا يجدون مهربا من الله إلى إليه فيوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون.

فإن القراءات في هذه الآية وما جاء فيها من الالتفات قد احتملت هذه المعاني وفصلتها أتم تفصيل، مع ما فيها من الدلالات اللغوية والبلاغية والتفسيرية، والله أعلم.

المبحث الرابع: الالتفات في القرآن الكريم وعلاقته بالخاص والعام:

تنوعت الصور البلاغية التي جاءت في القرآن الكريم عموماً والالتفات خصوصاً، ومن هذه الصور تنوع الخطاب من الغيبة إلى الخطاب والعكس من ذلك، فتارة تأتي الآية الكريمة برواية معينة لقارئ واحد أو لراويه معاً أو لراويين أو أكثر[١] بانصراف الكلام من معنى إلى معنىً آخر ثم تأتي القراءة الآخر وتعيد سياق الكلام إلى سياقه الأول من غير اختلال في المعنى، ولا زيادة تورث الكآبة والسآمة، بل على العكس من ذلك، لا يكاد المعنى يخلو من دلالات تفسيرية ونكت معنوية بديعة، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[٢].

قرأ ابن عامر وحمزة والأعمش: (لا تؤمنون) بتاء الخطاب، وقرأ ابن كثير ونافع أبو عمرو والكسائي وعاصم من رواية حفص، وكذا رواية حسين الجعفي عن أبي بكر عنه وأبو جعفر ويعقوب (لا يؤمنون) بالياء على الغيبة[٣].

فقد اختلفوا في قوله تعالى:(لَا يُؤْمِنُونَ)فقرأ البعض بـ (التاء)، وقرأ بعضهم بـ (الياء)، وهو الوجه العام للقراءة؛ لأن قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٤]، إنما يراد به قوم مخصوصون يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾[٥] وليس كل الناس بهذا الوصف، والمعنى: وما يشعركم أيها المؤمنون لعلهم إذا جاءتهم الآية التي اقترحوا لم يؤمنوا، فالوجه بـ (الياء)؛لأن الذين نفى عنهم الإيمان هم الغُيّب المقسمون، أي: لا يؤمنون هؤلاء الغيب المقسمون، ومن قرأ بـ (التاء): فهو على الانصراف من الغيبة إلى الخطاب، والمراد بالمخاطبين في (تؤمنون) هم الغُيّب المقسمون الذين أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون فعلى الغيبة يدخل فيه كل من لا يؤمن من السابقين والآخرين وهي سنة الله التي حقت على الذين ظلموا وجُبلت قلوبهم على الكفر وجحود الآيات، وعلى وجه التكليم يدخل فيه المعاصرون

(١) يراد بذلك أن الراويين لقارئ واحد قد يختلفوا في الكلمة الواحدة وقد يتفقان، وقد يتفق أحدهما مع غيره من الرواة الآخرين مع أحدهم أو اثنين منهم أو أكثر، وهو كثير الوقوع في القرآن الكريم.

(٢) الأنعام: ١٠٩.

(٣) كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد: (٢٦٥)، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لعثمان بن جني، أبو الفتح، الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م: (١/ ١٨١).

(٤)الأنعام: ١٠٩.

(٥)الأنعام: ١١١.

للنبي عليه الصلاة والسلام على تخصيص الكلام عليهم.

وذهب مجاهد وابن زيد إلى أن الخطاب في قوله (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) للكفار الذين أقسموا، قال مجاهد: " وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت"، وهذا يقوي قراءة من قرأ (تؤمنون) بـ (التاء)، على ما ذكرنا أولاً، والخطاب في قوله:(وَمَا يُشْعِرُكُمْ) للمؤمنين؛ وذلك أنهم تمنوا نزول الآية ليؤمن المشركون، وهو الوجه؛ لأنه قيل للمؤمنين: تتمنون ذلك؟! وما يدريكم أنهم يؤمنون؟!، على ما شرحنا وبينا[١]، فوجه القراءة بـ (الياء)، على الغيبة فيه تخصيص للذين أقسموا من الكفار وقُصرَ الكلام عليهم، وعلى قراءة من قرأ بـ (التاء)، فيه تخصيص الخطاب وقصره على المعنيين بالخطاب ولا شك أن الخطاب يشمل من آمن ومن لم يؤمن على السواء، وإن كان حمل وجهه على المؤمنين أقرب[٢].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾[٣].

قرأ أبو عمرو ومجاهد وقتادة وعيسى بن عمر وأبو رجاء واليزيدي وابن عباس: (ألا يتخذوا) بـ (الياء) على الغيبة.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب: (ألا تتخذوا) بتاءين على الخطاب[٤].

وانصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قراءة العامة؛ كما انصرف منها إلى الخطاب والأمر في قوله: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾[٥]، فكذلك انصرف مِن الغَيبة إلى النهي في قوله: ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾[٦][٧].

والضمير في الواو من (تتخذوا) يحتمل ثلاثة وجوه، **الأول**: أن الخطاب لبني إسرائيل ممن عايش النبي عليه الصلاة والسلام وفيه التفات من الخطاب إلى التكليم، وهذا الوجه على قراءة من قرأ بـ (التاء).

والثاني: أن المراد بالكلام بني إسرائيل ممن عايش موسى عليه الصلاة والسلام، وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، وهذا على وجه من قرأ بـ (الياء).

والثالث: على حمل المعنى على الجمع بين القراءتين وأن الآية عامة في جميع من شملهم الخطاب من بني إسرائيل ممن أرسل إليهم موسى عليه الصلاة والسلام، ويدخل فيه من عايش النبي عليه الصلاة

(١) التفسير البسيط، للواحدي: (٨/ ٣٥٧).
(٢) ينظر: حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة، ابن زنجلة (ت: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة: (٢٦٥-٢٦٧).
(٣) الإسراء: ٢.

(٤) ينظر: معاني القراءات، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م: (٨٧/٢)،والتيسير في القراءات السبع، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: اوتوتريزل، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م: (١٣٩/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان: (١١/٧-١٢)، ومعجم القراءات، للخطيب: (٥٢٢/٦).
(٥)ص: ٦.
(٦) الإسراء: ٢.
(٧) الإسراء: ٢.

والسلام من بني إسرائيل خصوصاً، ومن غيرهم عموماً على وجه التعريض، فإن شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في باب التوحيد والعقائد واحدة، لقوله عليه الصلاة والسلام: "...وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا، وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ"(١)(٢).

وأما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾(٣).

فقد اختلف القراء في قوله تعالى: (ولا يشرك) فقرأ الجمهور (لا يشرك) بالياء(٤) على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وهو صنف من الالتفات الكثير في القرآن القليل في لسان العرب ولم يمر بين يدي من مثله شيء مما جاء على لسانهم، ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة وحملٌ للنهي على العموم.

وروي عن أبي عمرو: (لا تشرك)(٥) بـ (التاء)، خطاب للسامع عموماً وللنبي عليه الصلاة والسلام خصوصاً، وما خص به هنا هو ضرب من التعريض، فالنهي له – وحاشاه أن يشرك بالله شيئاً– نهيٌ لأمته، وجملة المعنى أن الآية في ضوء اختلاف القراءات هنا احتملت معان منها: **الأول:** التفات من الخطاب إلى الغيبة، **والثاني:** التفات من الخطاب إلى التكلم، **والثالث:** إمكانية حمل كل قراءة على المعنيين السابقين جميعاً، مع ما في ذلك من تنوع المعاني بين العام والخاص وتوسيع المعاني وتكاملها(٦).

ومن الدلالات التفسيرية المستقاة من الالتفات الذي اشتمل على تخصيص العام وتوسيع المعنى ما أورده ابن السمين الحلبي في تفسيره الدر المصون وصرح بتعميم الخاص كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٧).

حيث قال: " قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قراءة الجمهور: (تعلمون) خطاباً، وهو واضح، فإنه من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب الباعث على فعل الإنفاق الخالص لوجه الله والزاجر عن الرياء والسمعة.

وقرأ الزهري بـ (الياء)على الغيبة، ويحتمل وجهين، أحدهما: أن يعود على المنفقين، والثاني: أن يكون

(١) ينظر: الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م: (٤٤٠/٣٢).

(٢)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(تفسير ابن عطية)، لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، أبو محمد، الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ: (٣/ ٤٣٧).

(٣)الكهف: ١١٠.

(٤) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: (٢٣٤/٧)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (٥٥٨/٧ ـ٥٥٩).

(٥) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: (٢٣٤/٧)، والدر المصون، للسمين الحلبي: (٥٥٨/٧ ـ٥٥٩).

(٦) التفسير البسيط، للواحدي: (١٣/ ٥٩٧).

(٧)البقرة: ٢٦٥.

عامّا فلا يخص المنفقين، بل يعود على الناس أجمعين، ليندرج فيهم المنفقون اندراجاً أولياً"[١].

المبحث الخامس: الالتفات وأثره في تكامل معاني القراءات:

التكامل في اللغة:

الكمال: هو التمام، فهما مترادفان، وتكامل الشيء وتكمَّل ككمُل، وأكمله واستكمله وكمَّله: أتمه وجمله، وتكاملَ يتكامل، تَكامُلاً، فهو متكامل، وتكاملتِ الأشياءُ: كمَّل بعضُها بعضًا بحيث لم تحتج إلى ما يُكمِّلها من خارجها[٢].

المقصود بتكامل المعنى بين القراءات:

دلالة كل قراءة على جزء من المراد بحيث يكون المعنى تاماً بمجموع القراءات عند الجمع بينها، فتتعاضد القراءات جميعاً في بيان المراد من الجملة.

أو هو اشتمال كل قراءة على جملة من المعاني تتضافر فيما بينها لتسهم في بناء المعنى المنشود، ومن هذه المعاني ما هو خاص بكل قراءة، ومنها ما هو مشترك فيما بينها.

قال البناء(ت: ١١١٧هـ): " ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر، والقراءة حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجتهم في الاهتداء مع ما فيه من التسهيل على الأمة"[٣].

وللعلماء استنباطات بديعة ونكت لطيفة انتثرت في أمهات الكتب، منها ما تكاملت فيه وجوه القراءات في التفسير ومنها ما تكامل في اللغة من نحو وصرف وبلاغة ومن هذا التكامل ما تكاملت فيه القراءات في أسلوب الالتفات فنجد تارة إحدى القراءات تُفصِّل معنى بعينه وتأتي الأخرى بمعنى يشابهه أو يزيده إيضاحاً أو يرفع عنه إبهاماً أو يضفي إليه صورة بلاغية جديدة، أو يشير إلى حكم فقهي جديد، ومثل هذا كثير في القرآن، وقد اكتفيت بسر بعض الأمثلة، فمنها:

ما جاء في تفسير وتوجيه القراءات في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ ﴾[٤].

قرأ جمهور الناس(ذرية) بضم الذال، وقرأ مجاهد بفتحها، وقرأ زيد بن ثابت وأبان بن عثمان ومجاهد أيضا بكسرها، وكل هذا بشد الراء والياء، ورويت عن زيد بن ثابت بفتح الذال وتسهيل الراء وشد الياء[٥] على وزن فعيلة، وذُرِّيَّةَ وزنها فعولة، أصلها ذرورة، أبدلت الراء الثانية ياء كما قالوا قصيت شعري أي

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: (٢/ ٥٩٥).
(٢) ينظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر، الرازي، طبعة مُدقّقة كاملة التشكيل، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، ١٩٨٩م: (٢٧٣)، ولسان العرب: (٥٩٨/١١)، وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية: (٣٥٣/٣٠).

(٣)ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ: (٦).
(٤)الإسراء: ٢ – ٣.
(٥) ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، للحسين بن أحمد بن خالويه(٣٧٠هـ)، الناشر: مكتبة المتنبي، القاهرة، مصر: (٧٨)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: (٣/ ٤٣٧).

قصصته، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت ثم كسرت الراء لتناسب الياء، وكل هؤلاء قرؤوا ذُرِّيَّةَ بالنصب، وذلك متجه إما على المفعول بـ (يتخذوا) ويكون المعنى أن لا يتخذ بشر إلها من دون الله، وإما على النداء أي يا ذرية، فهذه مخاطبة للعالم، قال قوم: وهذا لا يتجه إلا على قراءة من قرأ (تتخذوا) بالتاء من فوق[١]، ولا يجوز على قراءة من قرأ (يتخذوا) بالياء لأن الفعل الغائب والنداء لمخاطب والخروج من الغيبة إلى الخطاب إنما يستسهل مع دلالة الكلام على المراد، وفي النداء لا دلالة إلا على التكلف، وإما على النصب بإضمار أعني وذلك متجه على القراءتين على ضعف النزعة في إضمار أعني، وإما على البدل من قوله وَكِيلًا وهذا أيضا فيه تكلف، وقرأت فرقة (ذرية) بالرفع على البدل من الضمير المرفوع في (يتخذوا) وهذا إنما يتوجه على القراءة بالياء، ولا يجوز على القراءة بالتاء لأن كلا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت: ضربتك زيدا على البدل لم يجز، وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إنما عبر بهذه العبارة عن الناس الذين عناهم في الآية بحسب الخلاف المذكور لأن في هذه العبارة تعديد النعمة على الناس في الإنجاء المؤدي إلى وجودهم، ويقبح الكفر والعصيان مع هذه النعمة[٢].

فاختلافهم في (ذرية) احتمل في إعرابه وجوهاً منها ما وافق قراءة (ألا يتخذوا) على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ومنها ما وافق وجه القراءة على (ألا تتخذوا) على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وفيه تكامل بديع على وجه موافقة الإعراب من جهة وعلى وجه تكامل المعنى من جهة أخرى، حيث إن الخطاب بقوله: (تتخذوا ويتخذوا) يشمل جميع البشر من بعد نوح وجميعهم من ذريته، وإن أطلق اللفظ تارة أو خصه تارة فالكل معنى بالخطاب والنهي عام للجميع.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠﴾[٣].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والأخفش وابن ذكوان: (يدعون)، بـ (الياء) على الغيبة لتناسب الضمائر الغائبة قبل[٤].

وقرأ أبو جعفر وشيبة وهشام ونافع وابن عامر والمطوعي عن الصوري عن ابن ذكوان: (تدعون) بـ (التاء) التفات من الغيبة إلى الخطاب، أو على تقدير: (قل والذين تدعون)[٥].

وقُرأ: (يُدْعَون) بضم الياء وفتح العين على البناء للمجهول[٦].

فهذه ثلاث قراءات في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍ﴾[١] (يَدعون، تَدعون، يُدعَون)، فعلى

(١) ينظر: معاني القراءات، للأزهري، الهروي: (٨٧/٢)،والتيسير في القراءات السبع، للداني: (١٣٩/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان: (١١/٧-١٢)، ومعجم القراءات، للخطيب: (٥٢٢/٦).
(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ٤٣٧).
(٣) غافر: ٢٠.
(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر: لابن الجزري: (٢/ ٣٦٤-٣٦٤)، ومعجم القراءات، للخطيب: (٢١٠/٨).
(٥) ينظر: معجم القراءات، للخطيب: (٢١٠/٨).
(٦) المصدر السابق: (٢١٠/٨).

القراءة الأولى يكون الالتفات من الخطاب إلى الغيبة مع بناء الفعل للمعلوم، والثانية على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وكذلك بناء الفعل للمعلوم، وبينهما خصوص وعموم، **فالأولى:** خاصة في كل من دعوا من دون الله أنداداً وزعموا أن لهم شرك فيما قضى الله وحكم، فخاطبهم بالغيبة استهزاء بهم وتفنيداً لمزاعمهم، **والثانية:** عامة لبني آدم عموماً وفيه تحذير لهم وتهديد شديد من أن يتخذوا من دونه ما لا يملك لهم نفعا ولا ضرا، وعلى **القراءة الثالثة:** فيها تخصيص للمَدعُّوين أنفسهم ممن يعبد ويدعى من دون الله من الأصنام والأوثان والشياطين وحتى من عُبد من الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام ومن الصالحين، فهؤلاء جميعهم لا يقضون بشيء وليس لهم شرك في السموات ولا في الأرض، وإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة والصالحين مع عظم شأنهم عند الله لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعاً، فناهيك أن يكون لهم شيء من أمر الله وقضاءه، فمعاني القراءات وما ورد فيها من الالتفات والتكامل المتحصل من خلاله هنا جاء لتوضح هذه المعاني العظيمة والدلالة البليغة بألفاظ قليلة.

ومن المواضع التي أجاز فيه بعض المفسرين جواز الالتفات مع ما يتناسب مع وجوه القراءات المختلفة في الآية أو الآيات المتعدد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾[٢].

فقد اشتملت هذه الآية على ألفاظ خمسة: وهي قوله: (أن نخسف، أو نرسل، أو نعيدكم، فنرسل، فنغرقكم)[٣].

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب: (أن يخسف، أو يرسل) بياء الغيبة فيهما، والفاعل هو الله سبحانه وتعالى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن واليزيدي: (أن نخسف، أو نرسل) بنون العظمة فيهما.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي (أن يعيدكم، فيرسل) بياء الغيبة فيهما موافقة لما سبق من السياق، والفاعل هو الله سبحانه وتعالى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن واليزيدي: (أن نعيدكم، فنرسل) بنون العظمة فيهما.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: (فيغرقكم) بضم الياء على الغيبة وكسر الراء.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن وحميد: (فنغرقكم)بنون العظمة على الالتفات من الغيبة.

وقرأ مجاهد وأبو جعفر وورش ورويس ويعقوب وشيبة: (فتغرقكم) بـ(التاء) على الخطاب وإسناد الضمير إلى الريح.

قال الفخر الرازي(ت: ٦٠٦هـ): " فنغرقكم قرأ ابن كثير وأبو عمرو جميع هذه الخمسة بالنون، والباقون بالياء، فمن قرأ بالياء، فلأن ما قبله على الواحد

(١) غافر: ٢٠.

(٢) الإسراء: ٦٨ - ٦٩.

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر: لابن الجزري: (٣٠٨/٢)، ومعجم القراءات، للخطيب: (٥/ ٩٢-٩٥).

الغائب وهو قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[١]، ومن قرأ بالنون فلأن هذا البحر من الكلام، قد ينقطع بعضه من بعض وهو سهل؛ لأن المعنى واحد، ألا ترى أنه قد جاء: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾[٢] فانتقل من الجمع إلى الأفراد وكذلك ها هنا يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب، والمعنى واحد والكل جائز، والله أعلم"[٣].

فهو يشير هنا إلى تكامل الالتفات في السياق العام للآية المتتالية حيث جاز فيها جميعاً البقاء على السياق السابق للآيات أو على الالتفات فيها جميعاً من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب، وجواز الالتفات في موضع دون موضع، ولا شك أن وراء ذلك من الدلالات ما لا يتيسر فهمه إلا لمن منّ الله عليه بذلك، فهي تحتاج لمزيد بحث وغاية تدقيق.

وقد وقع عند بعض العلماء لبس في بعض مواضع اختلاف القراء على نحو اضطر آخرين للذب عن القراءات ومحاولة رفع ما وقع فيها من لبس مستدلين لذلك بصرف الكلام وتحويله على وجه الالتفات، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[٤].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن محيصن واليزيدي والأعمش: (يَرونهم) بـ (الياء) التفاتا من الخطاب إلى الغيبة، وبناء الفعل للمعلوم[٥]، والمعنى: يرى الجمع من المؤمنين الجمع من الكفار مثلي جمع المؤمنين.

وقرأ أبو جعفر ونافع وأبان عن عاصم وحفص ويعقوب وغيرهم: (تَرونهم) بـ(التاء) التفاتا من الغيبة إلى خطاب المؤمنين، والهاء والميم لجميع المشركين، ورجح الطبري القراءة بـ (الياء) على معنى: وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم.

وقرأ ابن عباس وطلحة بن مُصرّف: (يُرونهم) بـ(الياء) على الغيبة وبناء الفعل للمجهول.

قال الطبري: " والمعنى: يُريكموهم الله مثليكم"[٦].

وقرأ أبو حيوة والسلمي وابن مُصرّف: (يُرونهم) بـ (الياء) على الغيبة والبناء للمفعول[٧].

فذهب الزمخشري إلى أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾[٨]، لمشركي قريش، واستدل عليه بقراءة نافع: (ترونهم) بـ (التاء) الفوقانية[٩].

(١) الإسراء: ٦٧.
(٢) الإسراء: ٢.
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي: (٢١/ ٣٧٢).
(٤) آل عمران: ١٣.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت: ٣١٠هـ)،تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د/ عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: (٢٥١/٥)، والكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، ليوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده، أبو القاسم، الهُذَلي اليشكري المغربي (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، الناشر: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م: (٥١٤)، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري: (٢/ ٢٣٨)، ومعجم القراءات، للخطيب: (٤٥٢/١).
(٦)جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: (٦/ ٢٣٩).
(٧) ينظر: معجم القراءات، للخطيب: (٤٥٢/١-٤٥٣).
(٨)آل عمران: ١٣.
(٩) ينظر: الكشاف، للزمخشري: (٣٤١/١).

وقد أشكل ذلك وأُلبس على الطيبي حيث اعترض على هذا في (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب – حاشية الطيبي على الكشاف–) وزعم أن في قول الزمخشري نظر، فقال: "لأنه على هذا التقدير لا يستقيم أن يكون الضمير في (مِثْلَيْهِمْ) للمشركين اللهم إلا أن يقال: التفت فيه كما قدر مثلي فئتكم، لكن ليس موضعاً للالتفات، نعم، هذه القراءة تدل على الوجه الثاني، أي: ترونهم مثلي عدد المسلمين"(١).

وقد أيّد الواحدي ما ذهب إليه الزمخشري فقال: "﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ﴾(٢)، يخاطب الذين ذكرهم في قوله:﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٣)"، ونقل عن ابن عباس: أن المخاطبين بقوله: "سيغلبون" يهود المدينة، وعن مقاتل: مشركو مكة، وقيل: الخطاب بقوله: ﴿ قَدْ كَانَ چچ إذا كان لمشركي مكة ينبغي أن يكونوا غير من خوطبوا بقوله: (سَتُغْلَبُونَ)، يعني يوم بدر، لما يؤدي إلى أن يقال: أيها المشركون، إنكم ستغلبون يوم بدر، واعتبروا بما جرى عليكم يوم بدر على ما يقتضيه النظم، وإذا كان لليهود لا يستقيم عليه قراءة (تَرَوْنَهُمْ) بالتاء، والأقرب أن يراد بقوله: (سَتُغْلَبُونَ) غير الذين أريدوا بقوله: (قَدْ كَانَ لَكُمْ) وأن لا يراد بقوله: (سَتُغْلَبُونَ) يوم بدر، سواء كان المخاطبون مشركي قريش أو اليهود، إلا أن يكون الثاني خطاباً للمسلمين مستأنفاً منقطعاً عما قبله امتناناً عليهم، ويساعده قراءة نافع.

وقيل: يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين، هذا معطوف على قوله: يرى المشركون المسلمين، وعلى هذا لا يرد السؤال، لكن قراءة نافع لا تساعد عليه، إذ لا يستقيم أن يكون المعنى: ترون أيها المسلمون المشركين مثليهم، لأن المقدر: مثلي المسلمين، إلا أن يكون التفاتاً(٤).

ومنتهى ما ذهب إليه المفسرون في هذه الآية أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ﴾(٥)، عائد على الكافرين عموماً أو مخصوص به مشركي قريش أو يهود المدينة، ويحتمل أن الضمير فيه عائد على المؤمنين، والأقرب للصواب ما ذهب إليه الزمخشري من أن اختلاف القراءات هنا فيه التفات، وأن الخطاب فيه تعريض بالمشركين عموماً؛ إذ إنهم قد كان من إخوانهم من قتل يوم بدر وأن الله جعلهم حين إذ يرون المؤمنين ضعفيهم رأي العين، فيكون سياق الآية على الوجه الأول: (قد كان لكم أيها الكافرون آية في فئتين التقتا فئة مؤمنة وفئة كافرة ترى الكافرة المؤمنة مثليهم رأي العين) وفي هذا السياق التفات من الخطاب إلى الغيبة.

وعلى الوجه الثاني يكون معنى الآية: (قد كان لكم أيها الكافرون آية في فئتين التقتا فئة مؤمنة وفئة كافرة ترونهم أيها الكفار مثليكم رأي العين) فإن هذا

(١) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، للحسين بن عبد الله، شرف الدين، الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د/ جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م: (٤/ ٣٨ -٤٠).

(٢)آل عمران: ١٣.

(٣)آل عمران: ١٢.

(٤) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للطيبي: (٤/ ٣٨ -٤٠).

(٥)آل عمران: ١٣.

المعنى على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو تعريض بالكافرين ومخصوص بمن نجا من بدر ولم يتعظ بما رأي من المعاينة الحقة فإنهم قد رأوُا المؤمنين مثليهم رأي العين، والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي الانتهاء من هذا البحث المتواضع وقد اجتهدت فيه بحسب ما بلغه علمي واطلاعي فما كان فيه من توفيق فهو بفصل الله تعالى وما كان فيه من تقصير فهو من نفسي والشيطان، وقد توصلت من خلاله إلى العديد من النتائج والتوصيات، وفيما يلي أبرزها:

أولاً: أهم النتائج:

١- تنوعت صور الالتفات في القرآن الكريم باختلاف القراءات القرآنية على نحو لم يكن مألوفاً في لسان العرب، إذ إن الاختلاف في كلمة واحد حُمل على صور ومعان مختلف.

٢- اشتملت بعض القراءات المختلف فيها على أكثر من صيغة من صيغ الالتفات، وبعضها احتملت خمسة أوجه ما بين التفات من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكليم ومن التكليم إلى الغيبة، ومن الخطاب إلى التكليم، ونحو ذلك.

٣- تأثرت معاني القراءات تأثراً كبيراً بسبب تنوع صور الالتفات فيها، مما زاد من اتساع الدلالات التفسيرية والأحكام الفقهية.

٤- احتج بعض المفسرين للقراءات القرآنية ورجح بعض المعاني التفسيرية معتضداً بصور الالتفات وتناسب بعض صيغه مع السياق العام للآيات.

٥- كان للالتفات أثر كبير في تخصيص العام من المعاني وكذلك تعميم الخاص من خلال تنوع صيغه وتناسبها مع معاني القراءات.

ثانياً: أهم التوصيات:

١- يوصي الباحث بجمع القراءات التي وقع فيها الالتفات في القرآن الكريم كاملة، ودراستها دراسة موضوعية مفصلة.

٢- يوصي الباحث بدراسة الالتفات في ضوء اختلاف القراءات القرآنية وأثره في الأحكام الفقهية.

٣- يوصي الباحث بدراسة الدلالات البلاغية والنحوية للالتفات في ضوء اختلاف القراءات القرآنية.

٤- يوصي الباحث بدراسة أثر الالتفات في توجيه القراءات الشاذة والاحتجاج بها في التفسير.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ شهاب الدين الشهير بالبناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، لبنان: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

- أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، ط١، الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٠م.

- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٥، لبنان: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

- محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين القزويني الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، بيروت: دار الجيل.

- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أبو حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

- عبد الله بن محمد المعتز بالله، ابن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، البديع في البديع،ط١، دار الجيل، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة دار التراث.

- أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط٩، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م.

- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، شمس الدين، أبو عبد الله، الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: د/ بشار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م.

- أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

- عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، أبي البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

- علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي أبو الحسن النيسابوري الشافعي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط١، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

- عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، تحقيق:

اوتوتريزل، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د/ عبد السند حسن يمامة، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، حجة القراءات، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

- حسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل أبو علي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، ط٢، دمشق/ بيروت: دار المأمون للتراث، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- أحمد بن يوسف بن عبد الدائم أبو العباس شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط، دمشق – سوريا: دار القلم.

- عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، أبي محمد، روضة الناظر وجنة المناظر، تحقيق: د/عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، ط٢، الرياض . السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود للنشر،١٣٩٩هـ.

- ابن المبارك، الزهد والرقائق، (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ») لعبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الرحمن الحنظلي التركي ثم المرْوزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ.

- حسين بن عبد الله شرف الدين الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب(حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د/ جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، ط١، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠٢م.

- محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ط١، بيروت: دار صادر، الجزء: ١ – ١٩٧٣م، والأجزاء: ٢، ٣، ٤– ١٩٧٤م.

- محمد بن عمر سالم بازمول، القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام، ط١، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.

- يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، ط١، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

- أحمد بن موسى بن العباس التميمي أبو بكر بن مجاهد البغدادي، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، مصر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ.

- محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف.

- أحمد بن أبي بكر القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عامر السيد عثمان، د/ عبد الصبور شاهين، مصر: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري أبو بكر، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع

حمزة حاكيمي، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م.

- نصر الله بن محمد، ضياء الدين، ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الفجالة – القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

- أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطرابلسي، المجموع اللفيف، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٥هـ.

- عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية أبو محمد الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(تفسير ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٩م.

- حسين بن أحمد بن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، القاهرة: مكتبة المتنبي.

- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، معاني القراءات، ط١، السعودية: مركز البحوث، كلية الآداب – جامعة الملك سعود،١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

- يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

- عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مؤلفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة.

- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

- محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، مُنجد المقرئين ومرشد الطالبين، اعتنى به علي بن محمد العمران.

- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، أبو ظبي – الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية،١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم(نظرات جديدة في القرآن)، اعتنى به وخرَّج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني،ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

- محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية).

Pay attention in light of the different Quranic readings and its explanatory connotations

Fahad Abdelmonaim Assilmi

Abstract. Praise be to Allaah, Who created and proportioned, Who blessed and guided, Who expanded our chests to contain Islam, and Who has endeared knowledge to us and made it pleasing in our hearts. Then the prayer and peace be upon the best teacher, the Prophet Muhammad, His family, companions, and whoever followed His path.

After an enjoying journey throughout the Holy Quran, its beautiful rhetorical and linguistic images in general, and its exegetical denotations in particular, and between the folds of Al-Iltifat[Shifting from one style to another style, while the two different styles refer to the same reference] in the Holy Quran in the light of the difference of the methods of Quranic recitation, and before the ink dried and the pens were lifted, I have written the abstract of this research entitled, "Al-Iltifat*[Style Shifting]* in the Light of the Difference of the Methods of Quranic Recitation and its Exegetical Denotations).

In the first section, I addressed the definition of the Holy Quran and its methods of recitation as that is the field of the research and the topic of its study. Then, I started the second section by the definition of Al-Iltifat and the shifting from the second person pronouns to the third person pronouns and to the first person pronouns and vice versa. After that, I briefly touched upon the divisions of Al-Iltifat, its names, and its formulas. All of that was a preface and an entry to the core of the research

In the third section, I generally studied Al-Iltifat, how it influences the methods of recitation and how it is influenced by them. I also investigated its exegetical denotations, its forms, and its role in expanding the meaning, releasing the restricted meaning, and restraining the unrestricted meaning.

Then in the fourth section, I mentioned some examples of the forms of Al-Iltifat, its impact on the methods of Quranic recitation, the way of the Holy Quran in generalizing and particularizing, and the impact of that on Quran exegesis.

In the fifth and last section, I tackled the impact of Al-Iltifat and its denotations on the integration of the meanings of the methods of Quranic recitations. I also addressed the impact of Al-Iltifat on directing some methods of Quranic recitation and on solving the issues faced by some of the exegetists and rhetoric scientists, and I discussed the impact of such on the inimitability of the Holy Quran and its rhetoric.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ٩٣- ١١٢ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-3.4

موقف الإمام ابن حزم الأندلسي من شبهة تحريف القرآن الكريم عند الشيعة

فهد بن محمد بن عبدالرحمن القرشي
أستاذ العقيدة المشارك بقسم العقيدة
كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى

مستخلص. موقف الإمام ابن حزم الأندلسي من شبهة تحريف القرآن الكريم عند الشيعة دارت هذه الدراسة حول بيان أول من قال بهذه البدعة المغلظة أعني بها بدعة تحريف القرآن الكريم، وجاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين :
التمهيد: تم التعريف فيه بابن حزم والشيعة ومفهوم الشيعة عنده.
والمبحث الأول: نشأة التشيع وأسبابه عند ابن حزم.
والمبحث الثاني: موقف ابن حزم من شبهة تحريف القرآن الكريم.
ثم جاءت الخاتمة: فيها أهم النتائج.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ... أما بعد: فإن دعوى تحريف القرآن الكريم من الدعاوى الباطلة التي حاول الترويج لها بعض المنحرفين بين المسلمين، ومن قال بتحريف القرآن الذي تكفل الله تعالى بحفظه من فوق سبع سموات فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه، وإن ادعى أنه مسلم، قال الإمام أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري(١):" لم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون شرف القرآن وعلو منزلته ما يوجبه الحق والإنصات والديانة وينفون عنه قول المبطلين وتمويه الملحدين وتحريف الزائغين، حتى نبغ في زماننا هذا زائع عن

(١) قال عنه الخطيب البغدادي:" كان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن.. والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة.. وكان من أحفظ الناس للغة وتفسير القرآن". انظر: تاريخ بغداد، ترجمة رقم (١٤٩١)(٢٩٩/٤).

الملة[١] وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التي لا يزال الله يؤيدها ويثبت أسسها وينمي فرعها ويحرسها من معايب أولي الجنف والجور، ومكايد أهل العداوة والكفر، فزعم أن المصحف الذي جمعه عثمان ﷺ باتفاق أصحاب رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعل لا يشتمل على جميع القرآن، إذ كان قد سقط منه خمسمائة حرف... فادعى هذا الإنسان أنه سقط على أهل الإسلام من القرآن (وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها) وذكر مما يدعى حروفًا كثيرة وادعى أن عثمان والصحابة ﷺ زادوا في القرآن ما ليس فيه ... وادعى أن المصحف الذي في أيدينا اشتمل على تصحيف حروف مفسدة مغيرة..." [٢].

فهذا النص يدل على أن الأمة الإسلامية لا عهد لها بمثل هذه الافتراءات والضلالات، حتى ظهر هذا الشيعي الزائغ عن الملة هشام بن الحكم.

وبعد هذا الزائغ الضال انتشرت هذه المقالة الشنيعة في أهل التشيع، وأشار إلى ذلك غير واحد من العلماء منهم أبو الحسن الأشعري[٣]، والبغدادي[٤]، والقاضي أبو يعلى[٥]، وأبو الثناء الألوسي[٦]، وموسى جار الله[٧]، ومحب الدين الخطيب[٨]، وإحسان إلهي ظهير[٩]، وغيرهم[١٠].

وقد انبرى للرد عليهم أعلام الأمة وتصدوا لهذه الضلالة وكشفوا زيفها، ومن هؤلاء الإمام أبو محمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، الذي وقع اختياري عليه، وسيكون هذا البحث كاشفًا لموقفه رحمه الله من هذه المقالة الشنيعة، والدعوى الكاذبة، أما عن سبب اختياره فلأنه ردّ على أهل التشيع في كثير من شبههم وفنّدها وكشف باطلها، وأنه من العلماء المتقدمين، حتى لا يُقال بأنه لم يرد عى أهل التشيع ويكشف عوراهم إلا الحنابلة أو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وأما بالنسبة للنطاق البحث فسيكون في سفره الكبير "الفصْل في الملل والنحل" حيث إن غالب ردوده على الشيعة في هذا السفر العظيم.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، كاللآتي:

المقدمة: بينت فيها بداية هذه البدعة وأول من قال بها.

التمهيد: عرفت فيه بابن حزم والشيعة ومفهوم الشيعة عنده.

---

(١) أشار "الملطي" في كتابه "التنبيه والرد" ص ٢٤ إلى أن هذا الزائغ عن الملة صاحب هذه الفرية العظيمة هو "هشام بن الحكم" أصله كوفي، سكن بغداد، وتربى في أحضان بعض الزنادقة، وكان في الأصل على مذهب الجهمية، ثم قال بالتجسيم، نقلت عنه مقالات ضالة وتنسب له كتب الفرق فرقة "الهشامية" من الشيعة، توفي سنة (١٧٩هـ) كما في رجال الكشي، وقيل: (١٩٠هـ). انظر: رجال الكشي (ص ٢٥٥-٢٨٠) نقلًا عن: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية- عرض ونقد (٢٠٤/١). وانظر: لسان الميزان لابن حجر(٣٣٤/٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨٠/١).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤٧).

(٤) انظر: الفرق بين الفرق (ص٣١٥).

(٥) انظر: المعتمد في أصول الدين (ص٢٥٨).

(٦) انظر: روح المعاني للألوسي (٢٣/١).

(٧) انظر: الوشيعة (ص٣٨،٣٧)، وأصول مذهب الشيعة الإثني عشرية (٢١١/١).

(٨) انظر: الخطوط العريضة (ص١٣،١٢).

(٩) انظر: الشيعة والسنة (ص٩١).

(١٠) انظر: أصول مذهب الشيعة الإثني عشرية- عرض ونقد (٢٠٤/١-٢١٥).

المبحث الأول: نشأة التشيع وأسبابه عند ابن حزم.
المبحث الثاني: موقف ابن حزم من شبهة تحريف القرآن الكريم.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

التمهيد

التعريف بابن حزم والشيعة ومفهوم الشيعة عند ابن حزم

والحديث في هذا التمهيد عن ثلاثة أمور على النحو الآتي:

١. التعريف بابن حزم.

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الظاهري، عالم الأندلس في عصره، وينتهي نسبه إلى يزيد جده الأعلى، فارسيٌ أسلم بعد أن كان نصرانيًا، نسبته للأمويين نسبة موالاة؛ إذ كان جده يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية اخو معاوية[١].

وُلد ابن حزم– كما ذكر هو عن نفسه– بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، نشأ في نعمة ورياسة ورفاهية، ورُزق ذكاءً مفرطًا وذهنًا سيّالًا، اشتغل في صباه بالأدب، والمنطق، والعربية، وقال الشعر، وترسل[٢]، ثم أقبل على العلم، فقرأ الموطأ للإمام مالك وغيره، وانصرف إلى العلم والتأليف يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة[٣].

كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفننًا في علوم جمة عاملاً بعلمه، زاهدًا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعًا ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئًا كثيرًا، وسمع سماعًا جمًا، كان أبوه وزيرًا في الدولة العامرية بالأندلس، وولي هو وزارة بعض حكام بني أمية بالأندلس، ثم ترك ذلك.

مؤلفاته:

كان ابن حزم مؤرخ متشعب العلوم، واسع المعرفة، ملم بأخبار الأندلس بشكل دقيق، وقد ترك العديد من المؤلفات، ذكر الإمام الذهبي أنه كان" لأبي محمد كتب عظيمة لا سيما كتب الحديث والفقه، وقد صنف كتابًا كبيرًا في فقه الحديث سماه "الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام والحلال والحرام والسنة والاجماع"، أورد فيه أقوال الصحابة فمَنْ بعدهم والحجة لكل قول وهو كبير جدًا، وله كتاب الإحكام في أصول الأحكام مجلدان، وكتاب المجلى في الفقه على مذهبه واجتهاده مجلد، وشرحه وهو المحلى في ثمان مجلدات، وكتاب الفصل في الملل والنحل ثلاث

(١) انظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي تلميذه (ص ٧١-٣٠٨)، وشذرات الذهب (٢٩٩/٣)، ووفيات الأعيان (٣٦٩/١)، ومعجم الأدباء (٥٤٦/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨-١٨٦)، ولسان الميزان (١٩٩/٤).

(٢) لعل المقصود بالترسل هنا أمرين: الأول: أنه الإتيان بالكلام دون تقييده بسجع أو قافية. والثاني: إنشاء الرسائل. وكلاهما مما برع فيه الإمام ابن حزم. انظر: ابن حزم (ص ٨٦).

(٢) انظر: لسان الميزان (٨٥٢/٤).

مجلدات، وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل، وكتاب التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بألفاظ أهل العلم لا بألفاظ أهل الفلسفة ومثله بالأمثلة الفقهية"[١].

أما بالنسبة لمؤلفاته في العقيدة، فمنها:

١. " الدرة فيما يجب اعتقاده ولا يجوز جهله"[٢]، وهو مطبوع، حققه د. أحمد الناصر الحمد وآخرون، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مطبعة المدني- القاهرة.

٢. "كتاب في أسماء الله"[٣].

٣. " نكت الإسلام"[٤].

٤. " مسألة الإيمان"[٥].

٥. " الرسالة الصمادحيّة في الوعد والوعيد"[٦].

وهناك كتب ورسائل أخرى له منها المفقود مثل:"مراتب الديانة"، ومنها المطبوع عدة طبعات، مثل:" الفصْل في الملل والنحل"[٧].

كما ذكر ابن النديم جملة من كتبه، التي أبرزها "طوق الحمامة في الألفة والإيلاف"، و"رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق"، و"جمهرة أنساب العرب"، وكتاب "نقط العروس"، وكتاب "حجة الوداع الذي أشار إليه في كتابه طوق الحمامة[٨].

والإمام ابن حزم يعتمد في مؤلفاته وردوده على شبهات المخالفين له على الأدلة المتفق عليها- إن وُجدت- وإلَّا فإنه يرد عليهم بردود عقلية لا يملكون أمامها إلَّا التسليم، حيث يقول:" لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونا، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به سواء صدَّقه المحتج أو لم يصدقه؛ لأن من صدَّق بشيء يلزمه القول به، أو بما يوجبه العلم الضروري، فيصير الخصم يومئذ مكابرًا منقطعًا إن ثبت على ما كان عليه"[٩].

وفاته:

توفي ابن حزم في سنة ٤٥٦هـ في قرية "منت ليشم"[١٠] من أعمال "لبلة"[١١] في الأندلس، وكان عمره آنذاك إحدى وسبعين وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يومًا[١٢].

٢. التعريف بالشيعة لغة واصطلاحًا

(١) تذكرة الحفاظ (١١٤٧/٣).
(٢) سماه الذهبي " الدرة فيما يلزم المسلم". السير (١٩٦/١٨).
(٣) ذكره الذهبي في السير (١٨٧/١٨)، وابن حجر في لسان الميزان (٢٠١/٤).
(٤) ذكره ابن عربي في العواصم من القواصم (ص٦٧). وردّ عليه بكتاب " النواهي". انظر: منهج ابن حزم في دراسة الفرق " من خلال كتاب الفصْل في الملل والنحل"(ص٦٥) رسالة دكتوراه، صالح بن ضيف الله الحميدي، عام ١٤٢٩هـ لم تطبع إلى الآن.
(٥) ذكرها الذهبي في السير (١٩٦/١٨).
(٦) ذكرها الذهبي في السير (١٩٦/١٨).
(٧) انظر: منهج ابن حزم في دراسة الفرق " من خلال كتاب الفصل في الملل والنحل"(ص٦٥).
(٨) انظر: الفهرست (ص٤٣١).
(٩) الفصل في الملل والنحل (٣٨٢/٣).
(١٠) منت ليشم: بفتح الميم وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الشين المعجمة وفي آخرها ميم وهي قرية من أعمال لبلة. انظر: وفيات الأعيان (٣٢٩/٣).
(١١) لبلة: بفتح أوله ثم السكون، ولام أخرى: قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة، بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية خمسة أيام أربعة وأربعون فرسخا، وبين إشبيلية اثنان وأربعون ميلا، وهي برية بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر ولأدمها فضل على غيره، ولها مدن، وتعرف لبلة بالحمراء. انظر: معجم البلدان (٥/ ١٠).
(١٢) انظر: الصّلة (٣٩٦/٢).

الشيعة في كتب اللغة تعني الأتباع والأنصار، والتشيع معناه: المتابعة والمناصرة، لكن كتب اللغة قد تتعرض أحيانًا إلى ذكر التعريف الاصطلاحي للتشيع بما لا يتفق مع الواقع، فنجد مثلاً صاحب كتاب" تهذيب اللغة" يعرّف الشيعة بحسب ما شاع واشتهر عنهم في زمنه، فيقول:" الشيعة: قوم يهوون هوى عترة النبي محمد ﷺ ويوالونهم"(١). وهذا الوصف الذي ذكره الإمام الأزهري إن صدق على من كانوا في زمنه! إلا أنه أبعد ما يكون عن الطائفة الاثني عشرية التي يطلق عليها لقب الشيعة في عصرنا الحاضر، فهم يعادون آل البيت، ويكفرون جملة منهم.

ويقول ابن منظور:" قد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًا وأهل بيته"(٢).

وقال الزبيدي:" قد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليًا وأهل بيته ﷺ حتى صار اسمًا لهم خاصًا، فإذا قيل: فلان من الشيعة، عُرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا، أي عندهم. أصل ذلك من المشايعة، وهي المطاوعة والمتابعة، قال الحافظ(٣): وهم أمةٌ لا يُحصَون، مبتدعة، وغلاتهم الإمامية المنتظرية(٤)، يسبون الشيخين- أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما-، وغلاة غلاتهم ضلَّالٌ يكفرون الشيخين، ومنهم من يرتقي إلى الزندقة"(٥).

وإذا تأملنا في القرآن الكريم والسنة المطهرة، نجد أن مادة (شيع) وردت في القرآن الكريم في اثني عشر موضعًا(٦)، وذكر ابن الجوزي معانيها حيث قال:

" ذكر أهل التفسير أن الشيع في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: الْفرق، ومنه قوله تعالى في الأنعام:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾، وفي الحجر:﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وفي القصص: ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾.

الثاني: الأهل والنسب، ومنه قوله تعالى في القصص:﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾، أراد (من أهله) في النسب إلى بني إسرائيل.

الثالث: أهل الملة، ومنه قوله تعالى في مريم:﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ﴾، وفي القمر:﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾، وفي سبأ: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ﴾، وفي الصافات:﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾.

الرابع: الأهواء المختلفة، ومنه قوله تعالى في الأنعام: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾"(٧).

---

(١) تهذيب اللغة، مادة (شاع) (٦١/٣).
(٢) لسان العرب، مادة (شيع)(١٧٦/٨).
(٣) الحافظ ابن حجر، قال ذلك في كتاب: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (٧٢٤/٢).
(٤) المراد بالمنتظرية: الذين ينتظرون منذ أكثر من ألف ومئة وسبعين سنة عودة من يدّعون أنه ابن للحسن العسكري، المتوفى سنة ٢٦٠هـ، وأنه اختفى بعد ولادته في سرداب سامراء، فهم ينتظرون خروجه من سردابه، والحقيقة أنه معدوم لا وجود له إلا في خيالاتهم وأساطيرهم، وأصحاب هذه العقيدة هم الاثني عشرية الذين إذا أطلق لقب الشيعة اليوم لا ينصرف إلا إليهم. انظر: تأملات في تعريف التشيع، بحث نُشر في مجلة البيان، في عددها (٣٦٥) للأستاذ =

= الدكتور: ناصر بن عبدالله القفاري.
(٥) تاج العروس، (شيع)(٤٠٥/٥).
(٦) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ص١٨).
(٧) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص٣٧٦).

وقد أشار العلامة ابن القيم إلى أن لفظ الشيعة والأشياع غالبًا ما يستعمل في الذم، كما في مثل قوله تعالى،﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾[مريم: ٦٩]، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقوله تعالى:﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾[سبأ: ٥٤]، معللًا ذلك بقوله:" وذلك لما في لفظ الشيعة من الشياع والإشاعة التي هي ضد الائتلاف والاجتماع، ولهذا لا يطلق لفظ الشيع إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم"(١).

تعريف الشيعة اصطلاحًا:

تعرّض كثير من علماء المقالات لتعريف الشيعة اصطلاحًا، ومن هؤلاء أبو الحسن الأشعري، حيث عرّف الشيعة بأنهم:" الذين شايعوا عليًا– رضوان الله عليه– ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ"(٢).

وقال ابن حزم معرّفًا بهم:" من وافق الشيعة في أن عليًا ﷺ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيًا"(٣).

فابن حزم يرى أن التشيع يقوم على ثلاثة أسس:

الأول: القول بأفضلية علي ﷺ.

الثاني: القول بأحقيته بالإمامة.

الثالث: القول باختصاص الإمامة به وولده من بعده.

وعلى ذلك يدور وصف التشيع وجودًا وعدمًا(٤).

وعرّفهم الشهرستاني بقوله:" الشيعة هم الذين شايعوا عليًا ﷺ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا، وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك"(٥).

والتعريف المختار للشيعة اليوم (٦) هو أنهم: أتباع الكليني والمجلسي وأمثالهما، ولا يصح أن يقال: إنهم أتباع أهل البيت أصلًا (٧).

المبحث الأول

(١) بدائع الفوائد (١٥٥/١).
(٢) مقالات الإسلاميين (٦٥/١).
(٣) الفصل في الملل والنحل (١٠٧/٢).

(٤) انظر: تأملات في تعريف التشيع، بحث نُشر في مجلة البيان، في عددها (٣٦٥).
(٥) الملل والنحل (١٤٥/١).
(٦) المقصود به شيعة اليوم الذين يدعون زورًا وبهتانًا موالاة علي وآله رضي الله عنهم، ولا يعني هذا عدم صحة تعاريف الأئمة السابقين للتشيع.
(٧) انظر: تأملات في تعريف التشيع، بحث نُشر في مجلة البيان، في عددها (٣٦٥).

نشأة التشيع وأسبابه عند ابن حزم

اعتنى ابن حزم بأسباب نشوء الفرق الإسلامية وظهورها، والبحث في أصولها، وذكر أسبابًا لنشأتها، ونظرًا لكون الدراسة عن موقفه من الشيعة، فسيكون الكلام هنا عن أسباب نشأة الشيعة، وهي تتمثل في الكيد للإسلام بعد سقوط دولة الفرس، ويمكن أن نحدد الأسباب الآتية:

أولًا: الأسباب السياسية: بيّن الإمام ابن حزم دور الفرس ورميهم للإسلام عن قوس واحدة، حقدًا من عند أنفسهم، حيث يقول:" والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتُحِنُوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، ورامو كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه تعالى الحق، وكان من قائميهم: "منقاذ"[١]، و"المقنّع"[٢]، و"استايبين"[٣]، و"بابك"[٤]، وغيرهم، وقبل هؤلاء: رام ذلك "عمار" الملقب "خذاشا"[٥]، و"أبو مسلم السراج"[٦]، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت أعني بيت رسول الله ﷺ، واستشناع ظلم علي ﷺ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام. فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلًا يُنْتَظر يُدعى المهدي عنده حقيقة الدين، إذ لا يجوز أن يُؤخذ الدين من هؤلاء الكفار، إذ نسبوا أصحاب رسول الله ﷺ إلى الكفر.

وقوم خرجوا إلى ما ذكرنا من نبوة من ادعوا إله النبوة، وقوم سلكوا بهم المسلك الذي ذكرنا من القول بالحلول وسقوط الشرائع، وآخرون تلاعبوا فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة، وآخرون قالوا: بل هي سبع عشر صلاة في كل صلاة خمسة عشر ركعة، وهذا قول "عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندي"[٧]، قبل أن يصير خارجيًا صفريًا. وقد سلك هذا المسلك أيضًا "عبد الله بن سبأ الحميري"

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) عطاء، وقيل اسمه: حكيم، والأول أشهر، المعروف بالمقنّع الخرساني، ساحر، من أهل مرو، اتخذ وجهًا من ذهب فجعله على وجهه لئلا يُري، فسمي المقنع، ادعى الربوبية والألوهية، اشتهر أمره سنة (١٦١هـ)، ثار الناسُ عليه وأرادوا قتله، فاعتصم بقلعة بطرف خراسان، فحصروه فيها فلما أيقن الملعون بالهلاك جمع نساءه وسقاهنّ سمًا فمتن، ثم تناول بقية السم فهلك سنة (١٦٣هـ). انظر: الكامل في التاريخ (٢١١/٥)، ووفيات الأعيان (٢٦٤/٣)، وسير أعلام النبلاء (٣٠٦/٧).

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) بابك الخرمي: رجل فارسي مجوسي الأصل، تنسب له فرقة =

= الخرمية، كان ظهوره سنة (٢٠١هـ) بناحية أذربيجان، يقول بإسقاط التكاليف، وإباحة الملذات، والشهوات والمحرمات، ظل (٢٠ عامًا) يقاتل الدولة العباسية حتى قتله المعتصم هو وأتباعه، قتلة شنيعة بعد أن قطع يديه ورجليه وجز لسانه، كان ذلك سنة (٢٢٣هـ). انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر (٥٥/٤).

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) أبو مسلم السراج صاحب خراسان القائم بدعوة بني العباس، كان لقيطًا بلا شك، وكل ما قيل فيه غير ذلك فهو كذب. انظر: رسائل ابن حزم (٩٥/٢)، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٩٣٤/٢).

(٧) عبدالله بن الحارث الكوفي الكندي: إليه تنسب الحارثية من الروافض، وكان غاليًا كافرًا، ادعى الإلهية وتبعه جماعة في دولة بني أمية، كان يقول بتناسخ الأرواح، أوجب على أصحابه سبع عشرة صلاة كل يوم وليلة، في كل صلاة خمس عشرة ركعة؛ ثم تاب باختياره، ورجع إلى قول الصفرية من الخوارج، وبرئ منه أصحابه لما تاب، مات على رأي الصفرية من الخوارج. انظر: جمهرة أنساب العرب (ص٤٢٧).

اليهودي[١] فإنه لعنه الله أظهر الإسلام؛ لكيد أهله، فهو كان أصل إثارة الناس على "عثمان" ﷺ، وأحرق "علي بن أبي طالب" ﷺ منهم طوائف أعلنوا بإلهيته.

ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الإسماعيلية والقرامطة وهما طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة..."[٢].

فالفرس بلا شك سبب من أسباب ظهور الشيعة بفرقها الكثيرة. وهذا الكيد والمحاربة للإسلام من قبل هؤلاء الفرس في غاية الوضوح، وقد ذكر ابن حزم الوسائل التي انتهجوها من أجل الوصول إلى مآربهم، وهي:

أ. التمرد والخروج عن السلطة المركزية الإسلامية، ومحاربتها علنًا بواسطة دعوة الناس إلى حركات هدامة ظاهرة الإلحاد مثل حركة "بابك الخرمي"، و"المقنّع"، وغيرهما[٣].

ب. محاولة الالتفاف حول السلطة المركزية الإسلامية عن طريق أعوان يتظاهرون بالولاء لها، والطعن بظهرها، مثل دعوة أبي مسلم السراج (الخراساني)[٤].

ج. اتخاذ حب آل بيت النبي ﷺ والغلو فيهم والتشيع لهم وسيلة وستارًا لاستمالة قوم من أهل الإسلام إلى مآربهم ومقاصدهم " ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم من الإسلام"[٥].

ومن ذلك: طعنهم في الصحابة ﷺ بدعوى ظلمهم لعلي ﷺ[٦].

د. محاولة إحياء المعتقدات المجوسية من مزدكية[٧] ومانوية[٨] وغيرهما، وتمريرها إلى بعض الفرق الإسلامية مثل الإسماعيلية[٩]، والقرامطة[١٠]، وهذا ما أشار إليه بقوله: إن سر هاتين الطائفتين يعود إلى المزدكية، قال ابن حزم:"... ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الإسماعيلية والقرامطة وهما

(١) الحميري، المعروف بابن السوداء، أظهر الإسلام لغرض الكيد بأهله، رحل إلى الحجاز والبصرة والكوفة ودمشق، وأظهر مقالات خبيثة منها القول برجعة النبي ﷺ وألوهية علي بن أبي طالب ﷺ، وإليه تنسب الطائفة السبئية، وهم من غلاة الشيعة. انظر: الفصْل في الملل والنحل (٧٥٨/١،٧٥٩)، والملل والنحل (١٧٧/١)، وعبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام (٣٨ - ٥٢).

(٢) الفصْل في الملل والنحل (١٠٣٥/٢-١٠٣٨).

(٣) انظر: الفصْل في الملل والنحل (٢٧٣/٢).

(٤) الفصْل في الملل والنحل (١٤٣/٤).

(٥) الفصْل في الملل والنحل (٩١/٢).

(٦) انظر: منهج ابن حزم في دراسة الفرق "من خلال كتاب الفصل في الملل والنحل" (ص١٧٧)، ومنهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد والفرق الإسلامية (ص٤٤).

(٧) أصحاب مزدك: ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ والد أنوشروان، ودعا قباذ إلى مذهبه فأجابه، واطلع أنوشروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله. انظر: الملل والنحل (٢٧٥/٢).

(٨) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان "سابور بن أردشير"، وقتله "بهرام بن هرمز بن سابور"، وذلك بعد "عيسى ابن مريم" عليه السلام، أحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية. وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. انظر: الملل والنحل (٢٦٨/٢).

(٩) إحدى فرق الباطنية، وامتازت الإسماعيلية عن الموسوية وعن الاثنى عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر. وأشهر ألقابهم: الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا. ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان كل قوم: فبالعراق يسمون: الباطنية، والقرامطة، والمزدكية. وبخراسان: التعليمية، والملحدة. وهم يقولون نحن الإسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم، وهذا الشخص، ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج. انظر: الملل والنحل (١٩٩/١-٢٠٣).

(١٠) القرامطة فرقة من الباطنية، ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بقرمط، كان من صابئة حران، اتخذ لنفسه مقرًا قرب الكوفة سماه " دار الهجرة " وأخذ هو وأتباعه يشنون منه الغارات على المسلمين، وقد انتشرت دعوته في أنحاء كثيرة في العالم الإسلامي وكانت سببًا في كثير من القلاقل والحروب. وذكر ابن طاهر البغدادي في (الفرق بين الفِرق، ص ٢٨٧) أن حمدان قرمط كان من الصابئة الحرانية. وانظر: مقالات الإسلاميين (٩٨/١).

طائفتان مجاهرتان بترك الإسلام جملة، قائلتان بالمجوسية المحضة، ثم مذهب "مزدك الموبذ" الذي كان على عهد "أنو شروان بن قباذ" ملك الفرس، وكان يقول بوجوب توسي الناس في النساء والأموال"[١].

ثانيًا: الاستجابة لدعوات أهل السوء: من الأسباب المهمة التي أدت إلى ظهور الفرق في نظر ابن حزم، سبب ظهور الغلاة من الشيعة إلى كيد عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام ليضل من يستطيع إضلاله من المسلمين[٢]، قال ابن حزم:" وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام"[٣].

وخروج أكثر أتباعها عن الإسلام، حيث قال:" فإن الروافض ليسوا من المسلمين إنما هي فِرَق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر، وهي طوائف أشدهم غلوًا يقولون: بإلهية علي بن أبي طالب والآلهية جماعة معه، وأقلهم غلوًا يقولون: إن الشمس رُدت على علي بن أبي طالب مرتين..."[٤].

ثالثًا: أثر الثقافات والعقائد الأجنبية؛ كما سبق من الأثر الفارسي واليهودي لعبدالله بن سبأ[٥].

(١) الفصْل في الملل والنحل (١٠٣٨/٢).
(٢) انظر: الفصْل في الملل والنحل (٧٥٨/١،٧٥٩).
(٣) الفصْل في الملل والنحل (٩٣٧/٢).
(٤) الفصل في الملل والنحل (٦٥/٢).
(٥) انظر: منهج ابن حزم في دراسة الفرق "من خلال كتاب الفصل في =

المبحث الثاني

موقف ابن حزم من شبهة تحريف القرآن الكريم

شبهة تبديل الصحابة ﷺ للقرآن الكريم

القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بلسان عربي مبين، ويشتمل على تشريعات مجملة؛ وهي معظم العبادات، وأخرى تفصيلية؛ وهي ما يتعلق بالقصاص والحدود والحلال والحرام في الأطعمة وقسمة الميراث ونحو ذلك، وقد حظي هذا الكتاب الكريم المصدر العظيم بعناية المولى سبحانه وتعالى بحفظه له، قال تعالى: ﴿لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ﴾، واعتنى به رسولنا ﷺ عناية عظيمة، حتى أنه ﷺ نهى أن يكتب حديثه الشريف في بداية دعوته خشية أن يختلط بالقرآن، فقال ﷺ:" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدِّثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ- قال همام: أحسبه قال: متعمدًا- فليتبوأ مقعده من النار"[٦]. ثم لما استقر الأمر وزال خوف اختلاط القرآن الكريم بغيره أذن ﷺ بكتابة حديث الشريف، ففي فتح مكة قام رجل يُقال له أبو شاة- رجل من أهل اليمن، فقال: اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ:" اكتبوا لأبي شاة"[٧].

=
الملل والنحل" (ص١٨٢).
(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (٣٠٠٤). وانظر: فتح الباري (٦٢٨/٨) لابن حجر.
(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٤٣٤)، والإمام =

كما حظي القرآن الكريم بعناية الرعيل الأول من الصحابة ﷺ متمثلًا ذلك في جمعه وتدوينه، لذا كان الطعن فيه هدم للدين كلّه، وجرأة على الله تعالى وكتابه.

دعوى تبديل القرآن الكريم

قال ابن حزم:" فإن الروافض يزعمون أن أصحاب نبيكم بدلوا القرآن وأسقطوا منه وزادوا فيه"(١).

والقول بتحريف القرآن الكريم من العقائد الثابتة عند الرافضة، وقد ألف بعض أئمتهم في هذا كُتبًا، مثل كتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب- عرض ونقد"، لـ: ميرزا حسين نوري المازندراني الطبرسي، الذي هلك سنة ١٣٢٠هـ(٢).

وقد رد عليهم ابن حزم بقوله:" وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإن الروافض ليسوا من المسلمين(٣)، إنما هي فِرَقة حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمسٍ وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر، وهي طوائف أشدهم غلوًا يقولون: بإلهية علي بن أبي طالب ﷺ، وإلهية جماعة معه. وأقلهم غلوًا يقولون: بإن الشمس رُدت على علي بن أبي طالب مرتين، فقوم هذا أقل مراتبهم في الكذب، أيستشنع منهم كذب يأتون به؟! وكل من لم يزجره عن الكذب ديانة أو نزاهةَ نفس أمكنه أن يكذب ما شاء، وكل دعوى بلا برهان فليس يشتغل بها عاقل سواء كانت له أو عليه، ونحن إن شاء الله تعالى نأتي بالبرهان الواضح الفاضح لكذب الروافض فيما افتعلوه من ذلك... ومما يبين كذب الروافض في ذلك، أنَّ علي بن أبي طالب ﷺ الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبي ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم، مفترضة طاعته وَلِيَ الأمر ومَلِكَ فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعًا، ظاهر الأمر، ساكنًا بالكوفة، مالكًا للدنيا، حاشا الشام ومصر، والقرآن يُقرأ في المساجد في كل مكان، وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه وبين يديه، فلو رأى فيه تبديلًا كما تقول الرافضة أكان يُقِرُّهم على ذلك؟.

ثم إلى ابنه الحسن الذي هو عندهم كأبيه فجرى على ذلك. فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى(٤) أن يقولوا: إن في المصحف حرفًا زائدًا أو ناقصًا أو مبدلًا مع هذا؟! ولقد كان جهاد من حرَّف القرآن، وبدَّل الإسلام، أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه، ورأى خلافه فقط، فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه، والحمد لله رب العالمين..."(٥).

=

مسلم في صحيحه، رقم الحديث (١٣٥٥).

(١) الفَصْل في الملل والنحل (٦٤/٢).

(٢) تحقيق: محمد حبيب، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ.

(٣) لعل ابن حزم يقصد أئمتهم وشيوخهم الذي قامت عليهم الحجة، وبانت لهم المحجة.

(٤) النُّوكُ، بالضم: الحمق. وتجمع على: النوكى. انظر: لسان العرب: مادة (نوك) (٣٨٩،٣٨٨/١٤).

(٥) الفَصْل في الملل والنحل (٩٣٧/٢ و ٩٤٥).

ثم يقول رحمه الله:" اعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمةً فما فوقها، ولا أَطْلَعَ أخص الناس به من ابنة أو عم أو زوجة أو صاحب على شيء من الشريعة، كتمه عن الأحمر والأسود، ورعاة الغنم، ولا كان عنده عليه السلام السر، ولا رمز، ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتمهم شيئًا لما بلّغ كما أُمر، ومن قال هذا فهو كافر، فإياكم وكل قول لم يَبِنْ سبيله، ولا وضح دليله، ولا تعرجوا[١] عما مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم"[٢].

دعوى أننا مختلفون في قراءة كتبانا، وأن هناك قراءة بألفاظ زائدة ومبدلة، وأن عثمان رضي الله عنه أبطل قراءات كثيرة صحيحة، وأن الصحابة رضي الله عنهم بدلوا القرآن وأسقطوا منه وزادوا فيه !

ذكر أبو محمد هذه الشبه من شبهات القوم، فقال:" واعترضوا أيضًا بأن قالوا: كيف تحققون نقلكم لكتابكم وأنتم مختلفون أشد الاختلاف في قراءتكم له؟! وبعضكم يزيد حروفًا كثيرة وبعضكم يسقطها؟! فهذا باب.

وأيضًا: فإنكم تروون بأسانيد عندكم في غاية الصحة أن طوائف من أصحاب نبيكم عليه السلام ومِنْ تابعيهم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم قرؤوا القرآن بألفاظ زائدة ومبدلة، لا تستحلون أنتم القراءة بها، وإن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفكم؟!.

وأيضًا: فإن طوائف من علمائكم الذين تعظمون وتأخذون عنهم دينكم يقولون: إن عثمان بن عفان رضي الله عنه أبطل قراءات كثيرة صحيحة، وأسقطها إذ كتب المصحف الذي جمعكم عليه، وعلى حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن عندكم؟!

وأيضا: فإن الروافض يزعمون أن أصحاب نبيكم بدلوا القرآن، وأسقطوا منه، وزادوا فيه"[٣].

ثم أجاب على شبههم هذه بقوله رحمه الله:" كل هذا لا متعلق لهم بشيء منه على ما نبين بما لا إشكال فيه عند أحد وبالله التوفيق.

أما قولهم: إننا مختلفون في قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفًا وبعضنًا يسقطها، فليس هذا اختلافًا بل هو اتفاق منا صحيح، لأن تلك الحروف وتلك القراءات كلها مُبلَّغ بنقل الكواف إلى رسول الله ﷺ أنها نزلت كلها عليه، فأي تلك القراءات قرأنا فهي صحيحة، وهي محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص، فبطل التعلق بهذا الفصل ولله تعالى الحمد.

وأما قولهم: إنه قد رُوى بأسانيد صحاح عن طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن التابعين الذين نعظم ونأخذ ديننا عنهم، أنهم قرؤوا في القرآن قراءات لا نستحل نحن القراءة بها، فهذا حق ونحن وإن بلغنا الغاية في تعظيم أصحاب رسول الله ﷺ ورضوان الله عليهم، وتقربنا إلى الله عز وجل بمحبتهم فلسنا نبعد عنهم الوهم والخطأ، ولا نقلدهم في شيء مما قالوه، إنما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله ﷺ مما

(١) "عرج" العين والراء والجيم ثلاثة أصول: الأول يدلُّ على مَيْل ومَيَل، والآخر يدل على سموّ وارتقاء. معجم مقاييس اللغة (٣٠٢/٤).

(٢) الفصل في الملل والنحل (١٠٤٠/٢، ١٠٣٩).

(٣) الفصل في الملل والنحل (٩٣٠/٢، ٩٣١).

هو عندهم بالمشاهدة والسماع، لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم.

وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه برأي أو بظن فلا نقول بذلك... وتلك القراءات التي ذكرتم إنما هي موقوفة على الصاحب أو التابع، فهي ضرورة وهْمٌ من الصاحب، والوهم لا يعرى منه أحد بعد الأنبياء عليهم السلام، أو وهم ممن دونه في ذلك.

وأما قولهم: إن مصحف ابن مسعود ﷺ خلاف مصحفنا؛ فباطل وكذب وإفك، مصحف ابن مسعود إنما فيه قراءته بلا شك، وقراءته هي قراءة "عاصم"[1] المشهورة عند جميع أهل الإسلام، في شرق الأرض وغربها، نقرأ بها كما ذكرنا كما نقرأ بغيرها، مما صح أنه كله منزل من عند الله تعالى، فبطل تعلقهم بهذا والحمد لله رب العالمين.

وأما قولهم: إن طائفة من علمائنا الذين أخذنا ديننا عنهم، ذكروا أن عثمان بن عفان ﷺ إذ كتب المصحف الذي جمع الناس عليه أسقط ستة أحرف من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها، فهو مما قلنا. وهو ظن ظنه ذلك القائل أخطأ فيه وليس كما قال، بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس، وهو أن عثمان ﷺ لم يَلِ إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين، والمصاحف والمساجد والقراء يُعلمون الصبيان والنساء، وكل من دبّ وهبّ. واليمن كلها، وهي في أيامه مدن وقرى، والبحرين كذلك، وعُمان كذلك، وهي بلاد واسعة مدن وقرى، ومكة والطائف، والمدينة والشام، كلها كذلك، والجزيرة كذلك، ومصر كلها كذلك، والكوفة والبصرة كذلك، في كل هذه البلاد من المصاحف والقرّاء ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وحده، فلو رام عثمان ﷺ ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلًا.

وأما قولهم: إنه جمع الناس على مصحف فباطل؛ ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا، ولا ذهب عثمان ﷺ قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه، إنما خشي عثمان ﷺ أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين، أو أن يَهِمَ وهم من أهل الخير فيبدل شيئًا من المصحف يفعل ذلك عمدًا، وهذا وهمًا، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجتمعًا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفًا، لكي إن وهم واهم، أو بدل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه، فانكشف الحق وبطل الكيد والوهم.

وأما قول من قال أبطل الأحرف الستة فقد كذب من قال ذلك، ولو فعل عثمان ذلك أو أراده لخرج عن الإسلام(٢)، ولما مُطِلَ ساعة، بل الأحرف السبعة

---

(١) عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء أبو بكر: أحد القراء السبعة، من صغار التابعين من أهل الكوفة، كان ثقة في القراءات، صدوقًا في الحديث، حديثه في الكتب الستة ولكن في الصحيحين متابعة، توفي سنة (١٢٧هـ). انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣٥٧/٢)، وتهذيب التهذيب (٣٨/٥)، والوافي بالوفيات (٣٢٦/١٦).

(٢) لعل ابن حزم يقصد أن في هذا الزعم الذي زعمتموه في عثمان ﷺ- وحاشاه من ذلك- أنه أسقط ستة أحرف من الأحرف السبعة، التي هي وحي أنزله الله تعالى، فهي إذن من القرآن الكريم الذي ثبت بالسند الصحيح، ولاشك في كفر من فعل ذلك متعمدًا، روى البخاري في صحيحة، حديث رقم (٢٤١٩)، ومسلم في صحيحه، رقم الحديث (٨١٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع هشام بن حكيم بن حزام ﷺ يقرأ سورة الفرقان على غير ما يقرأ بها الفاروق ﷺ وكان رسول الله ﷺ قد أقرأه إياها، فأخذه وذهب به إلى ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ﷺ سمعت هذا =

كلها موجودة عندنا قائمة، كما كانت مثبوتة في القراءات المشهورة المأثورة، والحمد لله رب العالمين"[١].

وقال ابن حزم أيضًا في دحض هذه الشبهة:" وأما دعواهم أن عثمان ﷺ أسقط ستة أحرف من جملة الأحرف السبعة المنزل بها القرآن من عند الله عز وجل، فعظيمة من عظائم الإفك والكذب، ويعيذ الله تعالى عثمان ﷺ من الردة بعد الإسلام، ولقد أنكر أهل التعسف على عثمان ﷺ أقل من هذا مما لا نكرة فيه أصلًا فكيف لو ظفروا له بمثل هذه العظيمة، ومعاذ الله من ذلك، وسواء عند كل ذي عقل إسقاط قراءة أنزلها الله تعالى أو إسقاط آية أنزلها الله تعالى، ولا فرق وتالله إن من أجاز هذا غافلًا ثم وقف عليه وعلى برهان المنع من ذلك وأصر، فإنه خروج عن الإسلام لا شك فيه؛ لأنه تكذيب لله تعالى في قوله الصادق لنا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. وفي قوله الصادق ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

فالكل مأمورون باتباع قرآنه الذي أنزله الله تعالى عليه، وجمعه به، فمن أجاز خلاف ذلك فقد أجاز خلاف الله تعالى، وهذه ردة صحيحة لا مرية فيها، وما رامت غلاة الروافض وأهل الإلحاد الكائدون للإسلام إلا بعض هذا، وهذه الآية تبين ضرورة أن جميع القرآن كما هو من ترتيب حروفه وكلماته وآياته وسوره حتى جُمع كما هو، فإنه من فعل الله عز وجل وتوليه وجمعه، أوحى به إلى نبيه ﷺ، وبينه ﷺ للناس، فلا يسع أحدًا تقديم مؤخر من ذلك، ولا تأخير مقدم أصلًا.

ونحن نبين فعل عثمان ﷺ ذلك بيانًا لا يخفى على مؤمن ولا على كافر، وهو أنه ﷺ: علم أن الوهم لا يعرى منه بشر، وأن في الناس منافقين يظهرون الإسلام ويكنون الكفر، هذا أمر يعلم وجوده في العالم ضرورة، فجمع من حضره من الصحابة ﷺ على نسخ مصاحف مصححة كسائر مصاحف المسلمين ولا فرق، إلا أنها نسخت بحضرة الجماعة فقط، ثم بعث إلى أمصار المسلمين إلى كل مصر مصحفًا يكون عندهم، فإن وهم واهم في نسخ مصحف، وتعمد ملحد تبديل كلمة في المصحف أو في القراءة، رجع إلى المصحف المشهور المتفق على نقله ونسخه، فعلم أن الذي فيه هو الحق، وكيف كان يقدر عثمان على ما ظنه أهل الجهل!، والإسلام قد انتشر من خراسان إلى برقة، ومن اليمن إلى أذربيجان، وعند المسلمين أزيد من مائة ألف مصحف، وليست قرية ولا حِلَّة ولا مدينة إلا والمعلمون للقرآن موجودون فيها، يعلمونه من تعلمه من صبي أو امرأة، ويؤمهم به في الصلوات

= يقرأ على غير ما أقرأتنيها. فقال النبي ﷺ لهشام بن حكيم ﷺ اقرأ، فقرأ، فقال ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال لعمر ﷺ: اقرأ، فقرأ، فقال ﷺ: هكذا أنزلت، إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا منه ما تيسر. فقوله ﷺ "هكذا أنزلت" يدل دلالة واضحة على أنه لا يستطيع كائنًا من كان أن يترك شيئًا مما أنزله الله، ولا أن يغير فيه، فالوحي النازل لا يغير فيه إلا بوحي مثله.

(١) الفصل في الملل والنحل (٢/٩٣٠-٩٣٦).

والمساجد..."[١].

فعثمان ﷺ ما جمع القرآن في المصحف الثعماني إلا لما جاءه حذيفة بن اليمان ﷺ " وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة ﷺ اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة ﷺ لعثمان ﷺ: يا أمير المؤمنين أدرك هذ الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(٢).

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت قال: فقدت(٣) آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فألحقناها في سورتها في المصحف"[٤].

وما فعله عثمان ﷺ بالمصاحف كان على ملأ من الصحابة ﷺ واستشارة لهم[٥]، فهو شبه إجماع منهم ﷺ، قال مصعب بن سعد:" أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان ﷺ المصاحف، فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد"[٦].

وقال سويد بن غفلة:" والله لا أحدثكم إلا شيئًا سمعته من علي بن أبي طالب ﷺ، سمعته يقول: يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرًا– أو قولوا له خيرًا– في المصاحف، وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعًا، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحفٍ واحد، فلا تكون فُرقة، ولا يكون اختلاف، قلنا: فنِعم ما رأيت، قال: فقيل: أي الناس أفصح، وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١٦٢/٤،١٦٣).
(٢) قد يُقال: كيف جاز احراق المصاحف التي كانت في أيدي الناس؟ والجواب: أن المحروق من تلك المصاحف هو المنسوخ أو المختلط بغيره من تفسير أو كُتب بلغة غير قريش أو من القراءات الشاذة، وفائدة هذا الإحراق لغير المصاحف التي جُمعت وأرسل بها للأمصار، أن لا تقع في أيدي الناس فيحصل الاختلاف الذي ما جمع عثمان ﷺ القرآن إلا من أجل درئه، وهو رأي أداه إليه اجتهاده فرضي الله عنه وجزاه عنا خير الجزاء. انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٩/ ٩)، والكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٣٨١/٨).

(٣) فيه دلالة على أن زيد بن ثابت ﷺ كان يعرف الآية ولكنه لم يجدها في الصحف التي جمعت من عند الصحابة ﷺ، ثم وجدها عند خزيمة ﷺ.
(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٤٩٨٧ و ٤٩٨٨)، وانظر: فتح الباري (٦٢٦/٨).
(٥) انظر: فتح الباري (٦٣٤/٨).
(٦) أخرجه أبو داود في كتاب المصاحف (ص ١٧٨). وقال محقق الكتاب عن سند الأثر: إسناده صحيح.

الناس سعيد بن العاص، وأقرؤهم زيد بن ثابت، فقال: ليكتب أحدهما ويمل الآخر، ففعلا وجمع الناس على مصحف، قال: قال علي: والله لو وُلِّيت لفعلت مثل الذي فعل"[1].

الخاتمة

الحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا الذي يسر لي إتمام هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده لا شريك له، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وفي خاتمة هذا البحث أذكر بعض النتائج التي خلصت إليها، وهي:

أولًا: أن النصرة والمتابعة المتمثلة في المعنى اللغوي للتشيع ليست متحققة في المنتسبين للتشيع اليوم وإن ادعو ذلك زورًا وبهتانًا.

ثانيًا: التشيع خليط من مذاهب الفرس والروم واليونان والنصارى واليهود وغيرهم.

ثالثًا: كانت بداية إدخال هذه البدع والضلالات الشيعية على الأمة الإسلامية على يد اليهودي (ابن سبأ) وأتباعه.

رابعًا: الروافض هم أول من ابتداء القول بفرية "تحريف القرآن الكريم"، في القرن الثاني، ونسبت إلى هشام بن الحكم، وشيطان الطاق، ولم يعرف أهل القبلة هذه الفرية قبل هؤلاء المجوس، والسبب الذي دفعهم لهذا الكفر أنهم ما وجدوا في القرآن الكريم الموجود بين يدي الناس ما يقنعون به أتباعهم، لخلوه من النص على أئمتهم وعقائدهم.

خامسًا: أول كتاب ذُكرت فيه هذه الفرية العظيمة هو الذي يسميه الشيعة أبجد الشيعة، وهو كتاب "سليم بن قيس"، الذي كشف بعض شيوخهم عن أمره، وأنه موضوع، ومؤلفه مجهول.

سادسًا: كذب الرافضة فيما زعموه من أن عثمان ﷺ أسقط ستة أحرف من الأحرف السبعة.

سابعًا: بطلان قول الرافضة من أن عثمان ﷺ جمع الناس على مصحف، والذي فعله عثمان ﷺ جمع ما كان مكتوبًا في الصحف التي كانت في أيدي الناس في مصحف واحد.

ثامنًا: أمر عثمان ﷺ بحرف المصاحف اجتهاد منه، وافقه عليه الصحابة ﷺ .

التوصيات

أوصي إخواني من طلبة العلم بإبراز دور أئمة الإسلام من المتقدمين والمتأخرين في الرد على أباطيل وضلالات الرافضة، التي أصبحت تعج بها الفضائيات، ويتناقلها الناس.

المراجع

١. ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، سنة النشر: ١٩٧٨م.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المصاحف، باب: جمع عثمان رحمةُ الله عليه المصاحف (ص٢٠٦)، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٦٣٤/٨).

٢. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤م.

٣. أصول مذهب الإمامية الإثني عشرية– عرض ونقد، للدكتور ناصر بن عبدالله القفاري، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٤. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر –أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

٥. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٦. الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ.

٧. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

٨. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩. تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ.

١٠. التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، للحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب الباجي المالكي، دراسة وتحقيق: أحمد لبزار، أستاذ بكلية اللغة العربية بمراكش.

١١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.

١٢. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني المالكي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ.

١٣. تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية– الهند، الطبعة: الأولى ١٣٢٦هـ.

١٤. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، الناشر : دار عالم الكتب، الرياض– المملكة العربية السعودية، الطبعة ١٤٢٣هـ.

١٥. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، الناشر: الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، عام النشر: ١٩٦٦م.

١٦. الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب، تقديم: محمد نصيف، الناشر: بدون.

١٧. رسائل ابن حزم الأندلسي، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٩٨٠م.

١٨. الرَّوضُ البَاسِمْ في الذِّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم ﷺ (وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعاني)، لابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، اعتنى به: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع– السعودية.

١٩. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ١٤٠٥هـ.

٢٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ .

٢١. الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور– باكستان، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٦هـ.

٢٢. طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاَّف، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: إحسان عباس، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان، الطبعة: الثانية – ١٩٨٧م.

٢٣. عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان بن حمد العودة، الناشر: دار طيبة– الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٢٤. الفَرْق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله

البغدادي التميمي الأسفراييني، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٧٧م.

٢٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق ودراسة: محمد بن عوض الشهري، الناشر: دار الفضيلة– السعودية، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ.

٢٦. الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت –لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ.

٢٧. كتاب المصاحف، لأبي بكر عبدالله بن سليمان الأشعث المعروف بابن أبي داود، تحقيق: محب الدين عبدالسبحان واعظ، طبعة دار البشائر الإسلامية، الأولى ١٤١٥هـ.

٢٨. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لـ: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٢٩. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي، تحقيق: أحمد عزو عناية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ.

٣٠. لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

٣١. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ.

٣٢. المحلى بالآثار،لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٣٣. المعتمد في أصول الدين، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي البغدادي، تحقيق: وديع زيدان حداد، الناشر: دار المشرق بيروت– لبنان.

٣٤. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٩٥م.

٣٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز

شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ.

٣٦. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت ١٤٠٤هـ.

٣٧. موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما،ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، الأجزاء (أ) إلى (ع): إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، الأجزاء من (ع) إلى (ي): ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، وأ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، وأ. د. محمد عناني، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٣٨٢هـ.

٣٩. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث– بيروت، سنة النشر ١٤٢٠هـ.

٤٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

The position of Imam Ibn Hazm Al-Andalusi on suspicion of distorting the Koran when Shiites

Fahd bin Mohammed bin Abdulrahman Al Qurashi
Associate Professor of Creed, Department of Creed
Umm Al Qura University

Preface: It was defined by Ibn Hazm and Shiites and the concept of Shiites has.
Research in the first: the emergence of Shiism and its causes Search for: Ibn Hazm packages of suspicion of distortion of the Koran.
Then the conclusion: the most important results.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ١١٣- ١٣٧ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-3.5

العتبات النصية في المجموعة القصصية «وغداً يأتي» للقاصة شريفة الشملان

د. فواز بن عبدالعزيز اللعبون

الأستاذ المشارك في قسم الأدب بكلية اللغة العربية

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مستخلص. يتناول هذا البحث دراسة العتبات النصية في المجموعة القصصية «وغداً يأتي»، وهي مجموعة قصصية ناضجة فنياً لقاصة سعودية قديرة متنوعة التجربة السردية اسمها شريفة الشملان.

ويسعى البحث إلى معرفة الخصائص العامة للعتبات النصية في المجموعة، وكشف الوظائف التي قامت بها هذه العتبات، واستجلاء المدى الذي تمكنت فيه من تكثيف الدلالات أو تسطيحها.

وسوف يسهم البحث في تحليل خصائص العتبات ووظائفها ودلالاتها في المجموعة القصصية، إضافة إلى محاولة تقديم نتائج جديدة تختص بالعتبات في القصة القصيرة النسائية.

وجاء هذا كله في مقدمة، وتمهيد، وفصل أول بعنوان: سيمائية العتبات النصية، وتحته أربعة مباحث، وفصل ثانٍ بعنوان: تفاعلات العتبات وأفق التلقي، وتحته مبحثان، فخاتمة، فثبت بالمصادر والمراجع.

وقد استعان البحث بالمنهج الإنشائي، وأفاد في الوقت نفسه من بعض المناهج الحديثة لمقاربة النصوص كالسيميائية والأسلوبية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن للعتبات النصية أهمية بالغة في الدراسات النقدية الحديثة، وصارت تعد من المداخل الأولية لتفسير النص واستجلائه، فمن خلالها تُضاء فضاءات النص، وتتكشف جملة من دلالاته ورموزه.

وقد آثرت أن أجري دراسة على مجموعة قصصية ناضجة للعتبات فيها حضور واضح، فوقع اختياري على مجموعة «وغداً يأتي» [١] للقاصة شريفة الشملان[٢]، وسأسعى من خلالها إلى الوقوف على خصائص الافتتاح والاختتام، والكشف عن تفاعلات العتبات وأفق المتلقي من خلال إبراز الوظائف والدلالات وسماتها الجمالية.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما الخصائص العامة للعتبات النصية في مجموعة «وغداً يأتي»؟

ما الوظائف والأدوار التي قامت بها هذه العتبات لإشراك المتلقي في القراءة والتأويل؟

إلى أي مدى تمكنت هذه العتبات من تكثيف الدلالات وتسطيحها؟

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع:

١. قلة الدراسات التي تناولت العتبات في القصة القصيرة مقارنة بالرواية.

٢. إبراز فنية بناء العتبات النصية في القصة القصيرة.

٣. حفاوة المرأة القاصة بعتبات نصوصها حفاوة ملحوظة، وهذا ما جعلني أختار امرأة.

ويمكن إيجاز أهداف الموضوع في الآتي:

١. رصد العتبات النصية في المجموعة القصصية «وغداً يأتي» لشريفة الشملان.

٢. تحليل خصائص العتبات ووظائفها ودلالاتها لاستخلاص أبرز سماتها.

٣. الإسهام في تقديم نتائج جديدة تختص بالعتبات في القصة القصيرة النسائية.

وقد ظهرت حديثاً عدد من الدراسات النقدية التي تناولت العتبات النصية تنظيرا وتحليلا، ومنها:

١. عتبات النص، لجيرار جينت.

٢. عتبات النص: البنية والدلالة، لعبدالفتاح الحجمري.

٣. عتبات النص: المفهوم والموقعية والوظائف، لمصطفى سلوي.

٤. هوية العلامات في العتبات، لشعيب حليفي.

كما سُجِّلَتْ أطروحة علمية عن جزء من العتبات في القصة القصيرة، وعنوانها:

البدايات والنهايات في القصة القصيرة السعودية، للباحثة د. منى بنت عبدالله المفلح، مطبوعات كرسي الأدب السعودي، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، ط: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، وهي أطروحة نفيسة رائدة في بابها، وقد أفدت كثيراً من جودة تنظيرها، وحسن تقسيمها، وقد خلت الأطروحة من أي ذكر للمجموعة القصصية «وغداً يأتي» إلا في ثلاثة مواضع، أحدها عن أحد عناوين قصصها في صفحة ٥٧، والثاني تناولت فيه الباحثة غموض

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٥م.

[٢] شريفة بنت إبراهيم بن عبدالمحسن الشملان، قاصة سعودية ولدت في الزبير عام ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، حازت درجة البكالوريوس في الصحافة من كلية الآداب بجامعة بغداد، ولها نشاط صحفي في قضايا الفكر والمجتمع والإبداع، ومن أهم أعمالها الإبداعية: منتهى الهدوء، مقاطع من حياة، الليلة الأخيرة، مدينة الغيوم.
يُنظر: موسوعة الأدب السعودي الحديث (تراجم الكتاب)، أمين سيدو، محمد القشعمي، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٤٢٢ه، ٧٠/٩.

إحدى الدلالات في صفحة ٢٢١، والثالث تحدثنا فيه الباحثة عن استحضار القاصة للموروث الشعبي في مقطع من إحدى قصصها في صفحة ٣٤٥.

بقي أن أؤكد أنه بعد طويل بحث ومسح ومراجعة لم أجد أية دراسة مستقلة تناولت العتبات في مجموعة «وغداً يأتي» لشريفة الشملان.

منهج الدراسة:

ستستعين الدراسة بالمنهج الإنشائي، كما ستحاول الاستفادة من بعض المناهج الحديثة لمقاربة النصوص كالسيميائية والأسلوبية.

وقد توزعت الدراسة على تمهيد وفصلين، شمل التمهيد: الإطار النظري موضحاً سمات الجنس الأدبي للقصة القصيرة، ومصطلح العتبات النصية وأهميتها.

وخصصتُ الفصل الأول: لدراسة سيمائية العتبات، وجاء مشتملاً على أربعة مباحث: عالج المبحث الأول: سيمائية الغلاف والإهداء والتصدير، والمبحث الثاني: سيمائية العنونة، والمبحث الثالث: سيمائية الافتتاح، والمبحث الرابع: سيمائية الاختتام.

وتناول الفصل الثاني: تفاعلات العتبات وأفق التلقي تحت مبحثين: المبحث الأول الوظائف: أولا الوظيفة التشويقية، ثانياً الوظيفة الإغلاقية، ثالثاً الوظيفة التخييلية، وناقش المبحث الثاني: الدلالات الأدبية والنفسية والاجتماعية والرمزية للعتبات النصية.

وأردفت ذلك بالخاتمة التي اشتملت على نتائج البحث، وتلا ذلك ثبت بالمصادر والمراجع، وثبت بمحتوى البحث.

وأشكر الله إذ لم أواجه صعوبات تذكر، فالمراجع متوفرة، ومدونة البحث محدودة في المتناوَل، وأسأل الله التوفيق والسداد، واليسر والرشاد.

التمهيد

الإطار النظري:

يعد جنس القصة القصيرة الذي تشكلت منه مجموعة «وغداً يأتي» من أكثر الأجناس الأدبية انتشارا وقَبولا، لكونه مناسباً لروح العصر ومستجداته ورؤاه.

ويفضل بعض الدارسين إطلاق اسم مصطلح الأقصوصة عوضاً عن مصطلح القصة القصيرة، غير أن الرواج كان من نصيب المصطلح الثاني[١].

ويمكن توصيف القصة القصيرة بكونها «بنية فنية تنقل سلسلة محدودة من الأحداث أو الخبرات أو المواقف وفق نسق متوافق يخلق إدراكاً كلياً خاصا به»[٢].

وهي أيضاً جنس سردي وجيز يتميز بتقلص عدد الشخصيات والأحداث وضمور سعة المكان وامتداد الزمان، فيَكُون له نتيجةَ ذلك مركزُ اهتمامٍ وحيد، وتأتي النهاية في الغالب غير منتظَرة[٣].

---

[١] يُنظر: في نظرية الأقصوصة: التسفير الفني، أحمد السماوي، ، صفاقس، ط: ٢٠٠٣م، ص: ٢٤.

[٢] القصة القصيرة الطول والقصر (مقالة)، ماري لويز برات، ترجمة محمود عياد، مجلة فصول، المجلد ٢، العدد ٤، عام ١٩٨٢م، ص ٤٩.

[٣] يُنظر: معجم السرديات، محمد القاضي، وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ط: ١، ٢٠١٠م، ص: ٣٣.

ويرى بعض الدارسين أن جنس القصة القصيرة يستعصي على التقنين والتقعيد؛ فهو جنس مخادع ومراوغ[١]، ويتفق أكثرهم على أبرز خصائصه، وهي: وحدة الأثر ولحظة الأزمة واتساق التصميم[٢]، كما أنه يمتاز بالإيحاء والتكثيف والاقتصاد والاقتضاب والتركيز.

ويجدر بالبناء القصصي أن يكون متماسكاً بلا زوائد ظاهر التكثيف، يهيئ للدهشة[٣].

ومن هنا تبرز أهمية العتبات في النص؛ فهي التي تمهد الدخول إلى عوالمه وإضاءة خفاياه، ومن الجدير هنا توضيح مصطلح العتبات وأهميتها.

العَتَبَات في اللغة: جمع عَتَبَة، والعَتَبَة أُسْكُفَّة الباب التي توطأ، وهي أيضاً العَتَبَة العليا، والخشبة التي فوق الأعلى، والأُسْكُفَّة السفلَى، والعارضتان، والجمع عَتَب وعَتَبات، والعَتَب الدَّرج، وكلُّ مرقاة منها عَتَبَة[٤].

وفي الاصطلاح: تعد «عتبات النص بِنْيات لغوية وأيقونية تتقدم المتون وتَعْقُبها، لتنتج خطابات واصفة لها تعرف بمضامينها وأشكالها وأجناسها، وتقنع القراء باقتنائها»[٥].

إنها «تلك القناديل المعلقة على بوابات المتن الإبداعي التي تضيء بعض دروبه في ولوجه إلى دهاليز ذلك المتن، مِن مِثل العنوان والإهداء والمقدمات والأقوال المأثورة التي تُرَصَّع بها نواصي الفصول»[٦].

وتسمى النص المصاحب الذي يضمّ كل العناصر النصية أو العلامية أو الشكلية التي تحيط بالنص، ومنها: العنوان، والعنوان الفرعي، والإهداء، والتصدير، والتنبيه، والمقدمة، والحواشي، والهوامش، والعناوين الداخلية، والملاحق، والمقدمات، والرسوم، والتعريف بالمؤلف، وعنوان السلسلة، وقائمة أعمال المؤلف، وآراء النقاد والمشاهير، والرباط، وجلّادة الكتاب[٧]، وبمعنى آخر هي تلك التي «تتسع لكل المكونات القَبْلِيّة والبَعْدِيّة، والبسيطة والمُركَّبة، والمُسْتَقْبِلَة والمُسْتَعْلِيَة، وكلَّ ما يُحايِث المتن»[٨].

وتأتي أهمية دراسة عتبات النص من كونها تحدد انتماء النص الأجناسي، ولذلك يعدها جيرار جينت الجسر الذي يصل بين النص والجمهور، إضافة إلى كونها حلقة وسطى بين المؤلف والقارئ، والنص والعالَم، وبها يعلن النص خروجه من عزلة الإبداع، وقدومه إلى العالم محاطاً بنصوص وعلامات وأشكال لها امتداد في المجتمع والاقتصاد والتاريخ[٩].

---

[١] يُنظر: الحساسية الجديدة (مقالات في الظاهرة القصصية)، إدوار الخراط، دار الآداب، بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م، ص ١٢٥.

[٢] يُنظر: الخصائص البنائية للأقصوصة (مقالة)، صبري حافظ، مجلة فصول، المجلد ٢، العدد ٤، عام ١٩٨٢م، ص ٢٣.

[٣] يُنظر: نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)، بوريس إيخنباوم، وآخرون، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت والشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط: ١، ١٩٨٢م، ص ١٤٩.

[٤] يُنظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، دار الفكر ودار صادر، بيروت، د. ت، مادة (ع ت ب) ٥٧٦/١.

[٥] عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف الإدريسي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط: ١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٦م، ص: ٢١.

[٦] مساءلة النص الروائي في السرديات العربية والخليجية المعاصرة، الرشيد بوشعير، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط: ١، ٢٠١٠م، ص: ١٥.

[٧] يُنظر: معجم السرديات، محمد القاضي، وآخرون، ص: ٤٦١.

[٨] عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي (الأخبار والكرامات والطُّرَف)، الهاشم أسمهر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م، ص: ٢٩.

[٩] المرجع نفسه، ص ٤٦١- ٤٦٢.

وتكمن أهمية عتبات النص في كونها مفسرة للنص، ومكثفة للدلالة، وتشرك المتلقي في عمليتي القراءة والتأويل.

الفصل الأول:

سيمائية العتبات النصية

المبحث الأول: سيمائية الغلاف والإهداء والتصدير:

بدا اهتمام الدارسين بالسميائيات لأنها «أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة، ومرورا بالطقوس الاجتماعية، وانتهاء بالأنساق الإيدلوجية الكبرى»[١]، فمصطلح السيمائية دالّ على «نظرية العلامات، ومن ثم فإنها تشمل وصف كل التجارب الذهنية والدلائل الطبيعية»[٢].

وعلى أية حال فإنّ «لكل لغة سميائياتها الخاصة التي تتكفل بصياغة قواعد بنائها الداخلي، فهذه اللغات تحتكم إلى نحو يحدد لها نمط وجودها ونمط اشتغالها، والمقصود بالنحو في جميع هذه الحالات هو مجموعة من القواعد الخاصة باشتغال كل نسق على حده، وهي قواعد تتضمن في آن واحد ما يعود إلى التركيب، وما يعود إلى الدلالة، أي ما يعود إلى طريقة البناء وما يعود إلى المضمون الدلالي، فلا يمكن للصورة مثلا أن تنتج دلالاتها بنفس الطريقة التي ينتج بها السرد مثلا دلالاته»[٣].

ومن المتعذر إلى حد ما التعرف على دلالة إشارة معينة دون الإحاطة بالحيثيات المتعلقة بكل من الباثّ والمتلقي، وبما يدور في وعيهما[٤].

وعلى هذا النحو فإن السميائيات دراسة للتمفصلات الممكنة للمعنى، وهي طريقة في رصد المعنى وتحديد بؤره ومظانه، إنها أيضا طريقة في الكشف عن حالات تمنعه ودلاله، وطريقة للخروج من الدائرة الضيقة للوصف الموضوعي إلى ما يحيل على التأويل باعتباره سلسلة من الإحالات المتتالية الخالقة لسياقاتها الخاصة[٥].

وعند إمعان النظر فيما سبق فإن السيمائيات تفتح سيرورة التأويل من خلال العلامة والموضوع والقارئ، فالنص نظام من العلامات منفتح على دلالة متحولة.

أولاً الغلاف:

مهما قيل من احتمالية كون الغلاف اختياراً غير دالّ من الناشر أو غيره، فهو يظل علامة بارزة، وواجهة أولى لا يمكن إغفالها في عمل إبداعي يعي فيه المبدع كل التفاصيل، ويطلع عليها قبل اعتمادها، هذا إذا لم يكن هو منتقيها.

والغلاف الذي اعتدته القاصة في مجموعتها القصصية بريشة الرسامة العراقية عفيفة العيبي، ويتضمن لوحة تشكيلية لفتاة ثلاثينية ترتدي لباساً أبيض تحت وهج الضوء، وكأنها تطفو على طبيعة

---

[١] السميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط: ١ ٢٠٠٣ م، ص١٦.

[٢] معجم السرديات، محمد القاضي، وآخرون، ص٢٦٨.

[٣] السميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، ص٢١.

[٤] يُنظر: معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط:١، ١٤٣١ه/ ٢٠١٠م، ص٣٤-٣٥.

[٥] يُنظر: السميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، ص٣٤-٣٥.

غَنّاء، ويبدو وجه الفتاة وادعا، وعيناها مغمضتان مُفْكِرتان، وهي تمسك بوشاح أبيض وتحلق بيديها عالياً وتحتها نباتات كثيفة ذات ألوان داكنة، وثمة ما

وألوان الغلاف تتراوح بين الأبيض الساطع الدال على الأمل والحياة والنور، والألوان الداكنة التي توحي بالضيق والركود والحصار.

كما يجد الباحث في الغلاف الخارجي الأمامي عنوان المجموعة القصصية «وغداً يأتي» في أعلى النصف الأيمن مكتوباً باللون الأبيض، وينعكس عليه الضوء الساطع من السماء، وأسفله عبارة «مجموعة قصصية» بلون داكن، وفى النصف الأيسر في أسفل اللوحة اسم القاصة «شريفة الشملان» بلون أبيض، وتتكرر الصورة ذاتها باهتة في الغلاف الخارجي الخلفي، وتتصدر النبذة عن الكاتبة أعلى النصف الأيمن من الصفحة، وفى النصف الأيسر الأسفل عنوان الكاتبة، ويتوسط في أسفل الصفحة اسم دار النشر وبياناتها.

يوحي بأنها تسمو عن العالم الأرضي إلى ملكوت علوي أنقى من عالمها القاسي الذي صعدت منه، أو كأنها تنتظر أملاً قادما، فهي تُجَنِّح إليه بخيالها.

والغلاف بهذا الشكل يرسل للمتلقي رسائل مفتوحة تتسع للمضامين التي اشتملت عليها المجموعة القصصية، وأهمها أمنيات المرأة ودورها الاجتماعي ومستقبلها المنتظر، ومخاوفها التي تحدق بها.

ثانياً الإهداء:

جاء الإهداء في الصفحات الأولى من المجموعة متوسطاً في أعلى الصفحة، واستخدمت القاصة فيه لغة واضحة، ويبدو في هذا الإهداء التأطير لمسار النصوص السردية، وكذلك التأطير لأهم موضوعاته.

إذ ابتدأت القاصة بقولها:

«صغيرة كنت أنشد مع الطالبات

نحن الشباب لنا الغد لم أكن أفقه معناها..

وعندما فقهته وجدت الشباب ولم أجد الغد.

فإلى كل الحالمين مثلي بأمل يأتي مع الغد

أهدي مجموعتي»[١].

لقد قدمت المسند «صغيرة» خبر كان؛ لإثارة المتلقي وفتح باب التشويق، وبدأ النشيد بقولها: «نحن الشباب لنا الغد»، فالشباب يعني القوة وتحقيق الأمنيات، واستخدمت حرف الجر «إلى» الذي يفيد انتهاء الغاية المكانية، وكلمة تدل على العموم «كل الحالمين»، إضافة إلى تكرار كلمة «الشباب» مرتين، وكلمة «الغد» ثلاث مرات للتأكيد وإكساب الإهداء قوة تأثيرية، وتكرار «لم أكن، ولم أجد»؛ إذ يجسد التكرار في هذه المواضع شيئاً من معاني القلق والتحسر.

ويلحظ المتأمل أن هناك توافقاً بين الإهداء والمهدَى له ومنتج العمل «الحالمين بأمل يأتي مع الغد»، فهو يحدد مسار النص، كما أن مفردات الإهداء تتداخل مع مضامين النصوص السردية المعبرة عن دلالات الترقب والانتظار والأمل.

ثالثاً التصدير:

صدَّرت القاصة مجموعتها بمقدمة للطبعة الثانية بقولها:

«للغد شوق،

غدٌ يأتي، غدٌ ليس كأي وقت مضى، لكي يأتي هذا الغد الحلم، علينا أن نبذر، نسقي ونسمد، قد تكون التربة لا زالت تمطر عليها آلاف الويلات، تغرس فيها الدمار..

لكن.. لازلنا نثابر، كأقدم فلاحي هذه الأرض..»[٢].

إذ يحمل هذا التصدير فكرة تلخص معناه، وتبوح ببعض أسراره، وتعرض دلالات ما هو آتٍ في النصوص التي شكلت فيه القضايا الذاتية للمرأة والقضايا الإنسانية الاجتماعية صلب المحكي القصصي.

المبحث الثاني: سيميائية العنونة:

يُعَدّ عنوان النص الإبداعي جزءاً إبداعيّاً منه، ولَبِنَة رئيسة من لبنات بنائه.. يتأثر به ويؤثر فيه[٣]، وصار في كثير من الدراسات مرتكزاً دلاليّاً لا يستهان به، فهو يكاد يكون أقوى سلطة تَلَقٍّ ممكنة، ويتميز بأعلى اقتصاد لغوي ممكن[٤]، ويراه آخرون «مفتاحاً إجرائيّاً في التعامل مع النص في بعديه الدلالي والرمزي»[٥]، والمدخل الأهم لتسهيل مأمورية سبر أغوار النص وتشعباته الوعرة[٦]، وهو في الوقت نفسه مَحَلّ تَكَوُّن الأفكار الواردة في الخطاب، والكيان الذي تُكَوِّن هذه الأفكار أجزاءه[٧].

لقد بلغت عناوين المجموعة القصصية «وغداً يأتي» أربعة وعشرين عنواناً متفاوتة البناء والدلالة. وستقف هذه الدراسة عند محورين هما:[٨]

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص٣.

[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٥.

[٣] يُنظر: العنوان في الأدب العربي: النشأة والتطور، د. محمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط:١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص: ٢٨٢.

[٤] يُنظر: سيمياء العنوان، د. بسام قطوس، وزارة الثقافة الأردنية، عَمَّان، ط:١، ٢٠٠٠م، ص: ٤٤.

[٥] خطاب الكتابة وكتابة الخطاب (دراسة)، عبد الرحمن طنكول، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد: ٩، ١٩٨٧م، ص: ١٣٥.

[٦] يُنظر: السيميوطيقا والعنونة (مقالة)، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٢٥، ع٢٣، يناير/ مارس١٩٩٧م، ٩٧، ص٩٠.

[٧] يُنظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: ١، ١٩٨٦م، ص ١٦١.

[٨] أفدتُ هذين التقسيمين المحوريين من كتاب: البدايات والنهايات في القصة القصيرة السعودية، منى بنت عبدالله المفلح، مطبوعات كرسي

أ. المستوى التركيبي:

عند التمعُّن في البنى التركيبية لقائمة عناوين المجموعة القصصية «وغداً يأتي»؛ نجد أنّ القاصة عمدت في بعض نصوصها إلى العنونة (بالمفردة الواحدة المعرفة) كما في قصص: «السد، الصورة، كويني»[١]، في حين ظهرت (المفردة الواحدة النكرة) في عنونة نص واحد فقط كما في «زخات»[٢]، وتبدو غلبة العناوين بـ (المفردة الواحدة المعرفة) على (المفردة الواحدة النكرة) في كمها، وهذا الاختلاف بين العناوين المفردة من حيث التعريف الذي يكسبها التخصيص ومن حيث التنكير الذي يكسبها الشيوع يحمل دلالته الخاصة في النص، ويتناسب مع نصوص القصة القصيرة التي تميل إلى الإيحاء والتكثيف.

واحتلت الصيغة الثانية الجمل الاسمية (المكونة من دالّين أو مفردتين متعلقتين بمحذوف) القسم الثاني من المجموعة، فمن المعلوم أن اشتغال آلية الحذف النحويّ في العنوان سواءٌ أكان «الحذف» على مستوى المسند إليه (المبتدأ) أم المسند (الخبر)، تصدم القارئ، وتثير الأسئلة لاستكمال النقص الدّلالي في العنوان

إن القاصة تنتقي العناوين الدالة على الصفات، ولعل أول عنوان يلفت النظر في هذا القسم هو «العنزات الثلاث»[٣]، فالعنزات (مبتدأ والخبر محذوف تقديره هذه) والثلاث صفة، ومثلها «القرد الرابع»[٤]، ويلحظ أنها حيوانات وصفاتها أعداد، ومثلها عنوان «النمل الأبيض»[٥].

وثمة عناوين مركبة تركيبا إضافيا كما في «أكمام الورد، صخرة نجد، اسم أبي، سيدة البيت الرخامي»[٦]، فأكمام خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذه) وهو مضاف والورد مضاف إليه والجملة تدل على الثبوت.

وتظهر الجملة الاسمية المنفية كما في «لا صلاة على الجنازة، لا مغزل يا عبدالله»[٧]، ويبدو التقديم والتأخير في تركيب الجملة الاسمية كما في عنوان «للفئران آذان وشوارب»[٨].

ويسجل العنوان بالجملة الفعلية حضورا أقل من غيره كما في «ما يقال وما لا يقال»[٩]، فالجملة الفعلية تفيد حدوث الفعل في زمن محدد وهذا العنوان يفصح عن الحالة الشعورية.

لقد هيمنت عناوين الجملة الاسمية على المجموعة بنسبة عالية بلغت ١٧ عنواناً مقارنة بالجمل الفعلية التي جاءت عبر عنوانين فقط.

الأدب السعودي، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، ط: ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م، ص ٤٦، ٦٠.

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص٧، ٩١، ١١١.

[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١٣١.

[٣] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٣٧.

[٤] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١٠٧.

[٥] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١٠١.

[٦] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص٨٧، ٨١، ١٢٥، ١٩.

[٧] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص١٣، ٤٩.

[٨] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٢٥.

[٩] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٤٣.

وجاءت العنونة بالمفردة أقل من الجمل الاسمية إذ بلغت أربعة عناوين، وهذه الغلبة الاسمية إنما هي لدلالة الثبات.

ب. المستوى الدلالي:

وهو مستوى يجلي الدلالات المتنوعة للعناوين، ويكشف صلتها بما بعدها، ولهذا المستوى أساليب يمكن إيجاز ما حضر منها في المجموعة عبر الآتي:

العنوان الدال على إحدى شخصيات القصة، كما في عنوان «كويني»[١]، و«سيدة البيت الرخامي»[٢]، و«العنزات الثلاث»[٣].

العنوان الدال على مكان دار فيه أحداث القصة، كما في عنوان «السد»[٤]، و«صخرة نجد»[٥].

العنوان الشعوري المنعكس عن الإحساس بأجواء القصة، كما في عنوان «أكمام الورد»[٦]، و«حلم أخضر»[٧].

العنوان الرمزي الذي لا يكاد يتكشف إلا بعد الإلمام بأحداث القصة، كما في عنوان «الحوت والمدينة»[٨]، و«الراعي وذئب القطيع»[٩].

العنوان الاستدعائي الذي توظف فيه القاصة المعروف من المقولات والأحداث، وتسقط شيئا من إرهاصاتها على النص، كما في عنوان «يا لله صبوا ها القهوة وزيدوها هيل»[١٠]، إذ استدعت جزءاً من أغنية شعبية شهيرة.

لقد تمكنت القاصة من تنويع أساليب العنونة، وأدت ذلك كله بنوع من الوعي والاحتراف، واستطاعت تحميلها حمولات دلالية موحية تشد انتباه المتلقي وتجذبه للولوج إلى دهاليز النص.

المبحث الثالث: سيمائية الافتتاح:

يمكن توصيف الافتتاح بكونه مقطعاً نصيّاً يبدأ من العتبة المفضية إلى التخييل مفترضاً إسناد الكلام إلى راوٍ خيالي، وفي المقابل يستمع إليه مروي له خيالي كذلك، وينتهي عند أول كسر هامّ في مستوى النص[١١]، وهو أيضاً «محل ابتداء السرد، ولحظة الإنباء بكيفيات انبثاقه وتشكله، وفقاً لخطة فريدة من نوعها لا يمكنها أن تطابق تطابقاً تاماً أي فاتحة نصية أخرى؛ لأنها لحظة تأسيس بكر لأصالة كيان لغوي طريف»[١٢].

ولأن الافتتاح السردي للأحداث يسعى إلى نقل الوقائع الحكائية[١٣] سعت القاصّة شريفة الشملان إلى تنويع أنماط افتتاحيات مجموعتها القصصية

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١١١.
[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١١٩.
[٣] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٣٧.
[٤] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص٧.
[٥] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٨١.
[٦] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٨٧.
[٧] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٥٥.
[٨] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٩٧.
[٩] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٣١.
[١٠] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١٣٩.
[١١] يُنظر: في إنشائية الفواتح النصية (مقالة)، أندري دي لنجو، ترجمة سعاد نبيّغ، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجدة، العدد ١٠، شعبان ١٤٢٠ه/ ديسمبر ١٩٩٩م، ص ٣٦.
[١٢] في شعرية الفاتحة النصية (مقالة)، جليلة الطريطر، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، المجلد ٨، الجزء ٢٩، جمادى الأولى ١٤١٩ه/سبتمبر ١٩٩٨م، ص ١٤٥.
[١٣] يُنظر: مساهمة في نمذجة الاستهلالات الروائية (مقالة)، عبدالعالي بوطيب، مجلة علامات في النقد، المجلد ١٢، الجزء ٤٦، شوال عام ١٤٢٣ه ديسمبر٢٠٠٢م، ص ٢٥٣.

بطرائق تراعي هذه الجوانب التي من شأنها أن تشد المتلقي إلى محاول سبر الأغوار بأناة واستمتاع، ومن ذلك ما جاء في افتتاحية قصة «سيدة البيت الرخامي»، تقول:

«ارتجف الكتاب بيدها، رفعت رأسها بآلية، مدت يدها لتتناول منه فنجان القهوة.. شيء ما تأجج في داخلها.. أنار كل أعماقها، وكأنما استيقظت شموس ربيعها بعد طول إغفاء..»[١].

تظهر الأحداث هنا على هيئة أفعال الشخصية المحورية في حركاتها، وتتسم الجمل بالقصر والتكثيف، إذ ابتدأت صيغة القص بالفعل الماضي: «ارتجف، رفعت، مدت»، كما تضمنت وصفاً للخلجات النفسية للشخصية المحورية بأفعال ماضية: «تأجج، أنار»، وجاء التصوير في قولها: «كأنما استيقظت شموس ربيعها بعد طول إغفاء» متناسباً مع أحاسيس الشخصية المحورية، مرتبطاً بمعاناتها.

وظهر الافتتاح الوصفيّ حين رسمت القاصّة ملامح الشخصية المحورية كما في قصة «لولو إهداء إلى لولو التي فقدناها»، تقول:

«لولو مشرقة كوردة صباح ربيعي، كان اسمها في شهادة الميلاد لولوة، سحبت التاء المربوطة، فتحتها حتى بسطتها، استقامت كخط مستقيم، عملتها بساط ريح، صعدت عليها، طارت، قبّلت الغيوم، وغنت للقمر.. عندما نزلت، نفختها فطارت، وبقيت لولو، تقفز، وتخجل، وتردد أناشيد صغيرة للفراشات ولأشعة القمر..»[٢].

بدأ الراوي العليم بتقديم ملامح الشخصية المحورية؛ إذ عرّف المتلقي باسمها «لولو»، ووصف شيئاً من صفاتها الجسدية والنفسية «مشرقة كوردة صباح ربيعي، قبلت الغيوم، غنت للمطر»، فالفتاة صغيرة مشرقة منطلقة حالمة، وربما أضفى هذا الوصف بُعداً غامضاً على الشخصية بسبب جنسها الأنثوي سيتضح أثناء تقدم الأحداث لاحقا.

ومن الملحوظ خلو المجموعة من الافتتاح الحِواري، وطغيان حضور الافتتاح السردي والوصفي.

ومن جانب آخر فإن افتتاحات النصوص السردية تتنوع بحسب راوي القصة، فالرواية تكون إما من خلال ضمير المتكلم، وإما من خلال ضمير الغائب، والقاص يوظف تقنية الرواية بضمير المتكلم؛ ليتدخل كيفما شاء[٣]، كما أن توظيف ضمير الغائب يعطي القاص حرية واسعة في تحليل الشخصيات نصه[٤].

والناظر في افتتاحات المجموعة القصصية «وغداً يأتي»، يجد ظهوراً واضحاً للرواية بضمير المتكلم كما في قصة «القرد الرابع»، تقول:

«الهيبة والرهبة تملأ جوانحي.. وهو وسط الساحة.. يرتجف قلبي يكاد ينخلع من بين ضلوعي.. ننتظم طوابير، وهو المدير يتفرس بنا وسط الساحة..» [٥].

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص٢١.

[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص٧٥.

[٣] يُنظر: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط:١٩٩٠م، ص ٩٦.

[٤] يُنظر: القصة والرواية، عزيزة مريدن، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص ٤٥.

[٥] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص١١٣.

لقد توحد الراوي مع الشخصية المحورية التي تروي بضمير المتكلم عن نفسها، وتعرض الحدث ممزوجا بانفعالاتها النفسية، وابتدأت بمفردتي «الهيبة والرهبة» لتجسد هواجسها الداخلية، وكررت أثناء ذلك ضمير المتكلم في نحو: «جوانحي، قلبي، ضلوعي»، وافتتحت الحكاية بمشهد يصور مكان الحدث: «وسط الساحة في المدرسة» والشخصيات الأخرى «المدير والطلاب»، وأسهم وصف المكان في تأويل الحدث وتفسيره، فهو يُشعِر بالخوف والترقب والتوجس.

ويحضر ضمير الغائب في افتتاح قصة «كويني»، تقول:

«اسمه يخطئ به الكثيرون، فمرة يلفظ «جويني» ومرة يكتب «كويني» ومرات عديدة «قويني»..

خالته وعماته، أسرته وأبناء حارته القريبون يلفظون اسمه كما دعته أمه.. كاف كالكاف الأعجمية وبعدها واو مفتوحة مشددة ثم ياء في الآخر ولاسمه قصة..» [١].

يبرز في هذا الافتتاح الراوي كليّ المعرفة الذي يقدّم الشخصية بأوصافها من الواقع الذي تعيش فيه، فالسرد بضمير الغائب في صورة الراوي الأحادي العليم بكل شيء يقف وراء الأحداث والشخصيات، ويسهم في تأصيل النزعة الحكائية المشوقة للقارئ، وكلما تولى ضمير الغائب عملية السرد أتاح إمكانية تقديم قصة أكثر واقعية[٢].

ومهما يكن من أمر، فإن القاصة شريفة الشملان امتلكت طرائق متنوعة في افتتاحيات نصوصها على اختلاف أنماطها السردية والوصفية؛ وأظنها استطاعت جذب المتلقي وتشويقه والتأثير فيه.

المبحث الرابع: سيمائية الاختتام:

لكل اختتام شخصيته التي تستقل به، وقد يكون من المتعذر تحديد صفات الخاتمة المثلى التي يمكن الاتفاق عليها؛ فمنذ القديم والنقاد يرون أن لكل اختتام موفق براعته الخاصة، ومعيار هذه البراعة أن يكون وثيق الاتصال بما قبله[٣]، وألا تمكن الزيادة عليه، والاستغناء عنه[٤].

ولا تقل عتبة الخاتمة عن سائر العتبات، بل ربما تميزت بكونها بُؤَراً تتشكل فيها خلاصات الأحداث[٥]، كما يكمن فيها عنصر المفاجأة وتخييب التوقعات[٦]، هذا إلى كونها تنهض بدور الإفصاح والكشف عن كثير من دلالات النص وخصائصه[٧].

وقد جاءت خواتيم المجموعة القصصية متنوعة المضامين حسب أحداث النص، فمنها ما يأتي سارّاً كما في اختتام قصة «امرأة أخرى»، تقول:

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص١٠٩.

[٢] يُنظر: البنى السردية دراسة تطبيقية في القصة الأردنية، عبدالله رضوان، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ط: ١٩٩٥م، ص ٢٦.

[٣] يُنظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة اليمني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ١٨٣/٣.

[٤] يُنظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط:٢، ١٩٧١م، ص: ٤٦٤.

[٥] يُنظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: ١، ٢٠٠٧م، ص ١٢٥.

[٦] يُنظر: في نظرية الأقصوصة: التسفير الفني، أحمد السماوي، ص: ١٥٢.

[٧] يُنظر: البدايات والنهايات في القصة القصيرة السعودية، منى بنت عبدالله المفلح، ص ٢٣٢.

«في انشغالها الجديد نسيَتْ صبغ شعرها، فعاد له لونه القديم، وتركت أدوات التجميل، فأصبحت بشرتها أكثر إشراقاً وعيناها أكثر لمعاناً.. حركت يدها القلم، تحرك القلم، ملأ الورق كلام جميل، توالت الأوراق، وألصقت طابعاً في ركنها الأيمن.. خفق قلبها وهي تشتري المجلة.. هناك وجدت اسمها في أقلام واعدة، واستمرت حتى وصلت.. أصبح اسمها يكتب على غلاف المجلة، في خضم ذلك.. نسيت تتابع أخباره.. ولم يعد يهمها عاد أم لم يعد.. لكنه عاد فعلا، لم يجد جسداً بضاً.. وشعراً مصبوغاً وحواجب مزجية، لكنه وجد امرأة أخرى»[١].

فأحداث القصة تدور حول امرأة جميلة زوجها هو محور اهتمامها الأول في حياتها، وفجأة تلحظ تغيراً في سلوكه نحوها لارتباطه عاطفياً بمضيفة طيران، فما تملك إلا أن تنهار وتشعر بالقهر، لكنها تقرر الهرب من واقعها بممارسة القراءة والكتابة، وبناء عالمها الخاص، فجاء الاختتام سارّاً يصور قدرة الشخصية المحورية على تجاوز آلامها، ومن ثم تحقيق النجاح.

ومن أساليب الاختتام ما يأتي حزيناً بحسب أحداثه كما في اختتام قصة «حكاية الصغيرة نورة»، تقول:

«ترقى الدَّرج.. تصلي.. تطيل الركوع والسجود، تسلم، تجد أحمد يصلي وهند تقرأ القرآن.. أما نورة فقد نامت، تحاول إيقاظها، لا ترد، تحملها تضعها بفراش قد جهزته لها.. لحلكة الظلام لا تكتشف شحوب نورة.. ولا تكتشف أن نورة لن تعرف الحركة لاحقاً.. وأن شيئاً سار في دمها وتغلغل.. وتغلغل..»[٢].

تجسد أحداث النص موقف أسرة أحسائية صغيرة مترابطة تبهجها طفلتهم الصغيرة نورة أثناء تصاعد أزمة حرب الخليج، وفي إحدى الليالي تطلق صافرات الإنذار، ويرتدي الجميع الأقنعة الواقية، أما الصغيرة نورة فقد نامت وتغلغل الغاز السام في جسدها، ويتيح الفراغ النقطي في الاختتام تكوين النص ونموه في ذهن المتلقي الذي يمارس البحث والاكتشاف للوصول للتأويل المناسب.

وفي نصوص أخرى توظف القاصة الاختتام المفتوح الذي يدع النص مُشرَع الأبواب على عدة احتمالات، وهذا الأسلوب من الخواتيم يعد محل حفاوة عند عدد من النقاد المعاصرين؛ نظراً لكونه أسلوباً يحفز ذهن المتلقي للمشاركة والتأويل.[٣]

ومن الاختتام المفتوح خاتمة قصة «لا صلاة على الجنازة»، تقول:

«تصدح الموسيقى.. قوية.. قوية، ويقوى الرقص أكثر فأكثر.. يصعد أولاد إبليس المسرح.. ينهار

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص٦٥.

[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص١٢٤.

[٣] يُنظر:
أشكال التخيل من فتات الأدب والنقد، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط: ١٩٩٦م، ص ١١٢.
الأقصوصة عند علي الدّعاجي، إبراهيم بن صالح، دار محمد علي للنشر، تونس، ط: ٢، ٢٠٠٥م، ص ٨٣.
جماليات الأسلوب، د. فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: ٢، ١٤١١هـ، ص ٩٢.
الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، عبدالله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط: ١١٤٠٥ه /١٩٨٥م، ص ١٢٣.

المسرح.. قهقهة أولاد إبليس تملأ الأرجاء، تحت أقدامهم أنا..
متفتتة.. أجزاء متناثرة..
أهُم موتى.. أم أنا وحدي الميتة بلا جنازة ولا صلاة..»[١].

كان بناء القصة منذ البدء يشعر بالتداخل، ومن خلاله تشكلت أحداث واقعية ووهمية عن غزو العراق للكويت، وجاء الاختتام بالموت هنا وسيلة للهروب المؤقت والتسلل إلى عالم أكثر رحابة، فالموت معادل للحياة، وهروب من الواقع، وتمرد عليه.

ويعد الاختتام المغلق أسلوباً صارماً ينهي أحداث القصة إنهاء واضحا، كما في قصة «أكمام الورد»، تقول:

«والليلة الموعودة تأتي.. تمر على جميع المقاعد تُحَيِّي كل الوجوه المألوفة والمدعوة تشكرهم بحبور طاغٍ، ثم تلقي كلمتها.. تنهال العبرات شاقة صدرها فلا تستطيع أن تمنعها، ويضج الجميع معها.. محبوبة هي من الكل، وتحب هي الجميع. في السرير يهرب النوم فلا تطارده.. تتركه يعشش في عيون كثيرة.. وتواصل هي حلمها في مدرسة متوسطة حيث تتفتح أكمام الورد»[٢].

مضمون القصة يدور حول معلمة بلغتْ سن التقاعد كاشفاً عن مشاعرها وخلجاتها الداخلية، وجاء الاختتام في هيئة حفل وداع تقليدي، لكن مشاعره المصاحبة تبدو غير تقليدية، فقد تفردت بالمعلمة معاناتها ليلاً من خلال أحلام اليقظة، وبدا الحلم معادلاً لإحساس الشخصية المحورية بالضيق والهروب من الواقع، والشعور باقتراب نهايات أخرى.

لقد تنوعت أساليب الاختتام في المجموعة القصصية «وغداً يأتي»، فحيناً ينعكس الاختتام عن أجواء القصة السعيدة والحزينة، وحيناً يبرز الاختتام المفتوح الذي يستفز المتلقي، ويدفعه إلى المشاركة، وهو الأكثر بروزا في المجموعة، في حين كان الاختتام المغلق أقل حضورا، نظراً لكونه أسلوباً محدود الاحتمالات [٣]، وأحيانا «لا يحتمل إلا تفسيرا واحدا»[٤]، وهذا ما لا تميل إليه القاصة التي تفضل غالباً فتح أبواب القراءة والتأويل.

الفصل الثاني:
تفاعلات العتبات وأفق التلقي

المبحث الأول: الوظائف:

أ. الوظيفة التشويقية:

وهي أهم وظائف السرد قديما وحديثا، ومن خلالها يتحفز ذهن القارئ، ويشده عامل جذب فاعل لمعرفة المزيد من التفاصيل المتوقعة والمفاجئة، وغالبا يبرع في أداء هذه الوظيفة مبدعون ذوو مهارة عالية[٥].

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص١٨.
[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص٩٠.

[٣] يُنظر: القصة القصيرة النظرية والتطبيق، إنريكي أندرسون إمبرت، ترجمة علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: ٢٠٠٠م، ص ١٣٥.
[٤] النص المفتوح والنص المغلق (مقالة)، محمد عبدالمطلب، مجلة محاور، القاهرة، العدد ٢، السنة ٢٠٠٥م، ص ٤٦.
[٥] يُنظر: ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي: بحث في المشاكلة والاختلاف، د. أحمد محمد ويس، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠٠٢م، ص: ٨٤.
معجم السرديات، محمد القاضي، وآخرون، ص ٩٥.

ومن التشويق جذب المتلقي بأسلوب الحكي المتسلسل الذي يثير في تضاعيفه رغبة اكتشاف ما تؤول إليه الأمور، كما في افتتاح قصة «ما يقال وما لا يقال»، تقول:

«عاشت خيالاتها زمنا طويلا.. درست فيها وتثقفت.. تزوجت وأنجبت أبناءً ينادونها ماما.. تخبئهم في دولاب ملابسها تخرجهم غفلة.. تغطيهم بلحافها.. تحدثهم عن مستقبلهم، أحمد لا بد أن تجاهد كي تكون طبيبا مرموقا، وأنت يا عيسى أعرف أنك تهوى الأدب والفن، لا بأس، لكن لا طريق يُفتح بدون علم فعليك به يا حبيبي، أما أنت يا فاطمة.. فالطوق حولك كبير، وعليك أن تكسريه.. عليك أن تحققي كل أحلام النساء، وهو حِمل آلاف السنين»[١].

هذه العتبة تفصح عن أمنيات أم تترقب، وبدايات أبناء على أول دروب الحياة، والمتلقي أثناء ذلك متحفز يود أن يحيط بما سيقع من أحداث، وهل ستتحقق الأمنيات، أم سوف تبتلعها مصاعب الحياة، أم ثمة تفاصيل أخرى!

وعلى هذا النحو جاءت معظم العتبات الافتتاحية في المجموعة القصصية، وأزعم أن القصة القصيرة تنسجم كثيرا مع هذا الأسلوب، كما أن بنية القصة القصيرة لا تكاد تتسع للأساليب غير التشويقية.

ب. الوظيفة الإغلاقية:

وهي وظيفة شبه آليّة يُؤْذِن فيها المبدع بتوقف نصه،[٢] ويَشعر من خلالها المتلقي بالنهاية أو يتوقعها، سواء أكانت نهاية مقنعة أم غير مقنعة، دالّة أم غير دالّة[٣].

ولعل مما يلفت النظر في كثير من اختتامات نصوص المجموعة القصصية «وغداً يأتي» غلقها بطريقة تعطي المتلقي فرصة للتأمل، ومراجعة الحسابات، وتخيل بعض التفاصيل، ومن ذلك ما ما في قصة «صخرة نجد»، تقول:

«أقتربُ منها.. تُسِرّ لي: أبوه عند أبي، إنهم يطلبونني.. الفرح يزغرد في ثنايا قلبي.. إذَنْ عاد.. الليل يتلوه نهار.. أمي تتحاشى النظر لي.. ألتصقُ بها.. تقول: إنهم سيعودون للشام.. لقد صار أمرُ جَدّي، فأنا صخرة من نجد لا تترنح»[٤].

يدور المضمون حول علاقة بريئة بين طفل وطفلة من أبناء الجيران، ثم يكبران شيئا فشيئاً فتتوطد العلاقة، وتنقلب إلى مشاعر حب، وتُمنَع الفتاة من الخروج من المنزل، لكنهما يحاولان التواصل بشتى الوسائل، والأسرة تقف لهما بالمرصاد، ثم ينقطع الفتى عن فتاته ليسافر إلى بلاد الشام سعيا وراء الرزق، وبعد حين من الزمن يعود الفتى لخطبتها من أهلها، غير أن جَد الفتاة يعلن رفضه لهذا الزواج.

إن إنهاء النص هنا ارتكز على تكرار الضمير «لي، أبي، يطلبونني، قلبي» والصور «الفرح يزغرد في ثنايا قلبي، صخرة من نجد لا تترنح»، والتأكيد «إنهم

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٤٥.

[٢] يُنظر: البناء الفني في الرواية السعودية، حسن الحازمي، دار يافا، عَمّان، ٢٠٠٩م، ص ٢٦٥.

[٣] يُنظر: السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولو دال، ترجمة: عبدالرحمن بوعلي، دار الحوار، اللاذقية، ط: ١، ٢٠٠٤م، ٧٨.

[٤] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٨٦.

سيعودون للشام، لقد صار أمر جَدّي» بقصد التأثير الانفعالي في القارئ، وعكس حالة الألم والوجع للشخصية المحورية والتفكير في مصيرها، وفي أسباب الرفض ومنطقيتها.

لقد استطاعت القاصة رسم الحد الخارجي لاختتام النصوص السردية؛ إذ جاء اختتامها مغلِقاً النص عند نقطة أخيرة يتوقف عندها النظر، وينطلق الفكر في تفاصيل أخرى تخضع لثقافة المتلقي وفطنته ومدى قربه من محيط القصة.

ج. الوظيفة التخييلية:

وهي أعمق الوظائف، وأكثرها شعرية، ومن خلالها تتوالد القراءات المتعددة، ويكون للمتلقي الخاص حضور فخم[١].

وتتجلى الوظيفة التخييلية التي تثير مخيلة القارئ وتحفزها في افتتاحية قصة «للفئران أذان وشوارب»، تقول:

«اكتشفتُ أنني فأر تحورَتْ أذناي، فأصبحَتْ أذنَي فأر، كذا شواربي، اكتشفتُ ذلك عندما نظرتُ لنفسي في صحن الطعام، لم أقرب الطعام، الفأر لا يأكل إلا الجبن أو الخبز، قرضتُ شيئا من الخبز، وتركت الباقي. عندما أتوا ليأخذوا الأواني اكتشفوا أنني لم آكل شيئا، سبوني، شتموا جدي. وقالوا عني إنني فأر حقير، لم أهتم»[٢].

فالتخييل يظهر في استخدام الحوار الباطني الذي يفسح المجال للقارئ بالاطلاع على غرائبية التفاصيل للشخصية التي تحولت إلى فأر، هو الشعور بالحصار والمطاردة، أم هو الشعور بالضآلة والهوان؟ ثمة ما سيتكشف للمتلقي الفطن حين يربط بين النص وهذه الإرهاصات التخييلية.

وقد وظفت القاصة تقنية التكرار لكلمة «فأر» التي تكررت أربع مرات، وكلمة «اكتشفت» مرتين، وهي بهذا التكرار الدلالي تحاول أن تُكسِب الواقع المتخيل قُرباً وواقعية، وليس مجرد ترداد صوتي كما هو الحال في وظيفة التكرار النمطية الخالية من الفحوى[٣]، ولا ريب أن المتلقي الفطن سيحاول استيعاب هذه الأبعاد التي تتجاوز المألوف، وسيدرك حينئذ أن شخصية الفأر شخصية مقنَّعة، وأن بناءها خاضع لثنائية الخيال والمرجع، كما أن ملامحها النهائية لا تتحقق إلا بالتأويل والربط بين علامات النص الموحية ومقصد المؤلف وقدرة القارئ على تركيب الدلالة.

وفي موضع آخر تبدو الوظيفة التخييلية حاضرة في اختتام قصة «ولا مغزل يا عبدالله»، تقول:

«قدم الطفل الأول..

حافيةً للمستشفى ركضت.. أبوا أن أدخله.. وقفتُ أنتظرك عند الباب، خرجتَ تحمل الوليد تتقدمُك أمُّه، أتيتُك أريده..

آه يا كبدي يا أنت.. عيونك خجلى.. دفعتني للسيارة بسرعة أركبُ، لهفتي ما زالت تحاصرني.. أريد طفلك أضمه.. ألثمه.. لا أعرف رطين زوجتك، لكني فهمتها، تخشى على الصغير مني.. أطلب فقط أن أراه، تكشف لي وجهه.. تفتح الغطاء ببطء.. أراه.

---

[١] معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون ودار النهار للنشر، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٢م، ص ٩٦.

[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٢٧.

[٣] جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي، د. ماهر هلال، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م، ص: ٢٣٩.

عيناه زجاجتان زرقاوان.. لا ليس مني يا عبدالله ولست منه، وأنت تنفصل بعيداً عني تلف السيارة وتدخل فناء البيت الأسمنتي.. يلف رأسي، يلفني لف المغزل... ولا مغزل
يا عبدالله»[١].

لقد عرضت القاصة ما مر من أحداث عرضا درامياً يعتمد التتابع الزمني الذي يثير مشاعر المتلقي، ومن ثم يفتح له أبواب التخيلات، ويشترك في بناء دلالة النص مع مبدعه.

ويلحظ كثرة الأفعال المضارعة «أدخله، أنتظرك، أتيتك أريده، أضمه.. ألثمه، تخشى، أطلب، تكشف، تفتح، تنفصل، تلف، تدخل» المقترنة بالأفعال الماضية «قدم، ركضت، وقفت، أبوا، خرجت» التي تحيل على الحاضر؛ لكونها تجسد صورا مرئية ومسموعة للشخصية المحورية، إضافة إلى دلالات التقديم والتأخير في قولها: «حافيةً ركضت، بسرعة أركبُ»، وتتجسد أحاسيس الحرقة في كلماتها «آه يا كبدي، لهفتي ما زالت تحاصرني»، والاعتماد على النفي «ليس مني يا عبدالله ولست منه»، والتكرار «أريده، أريد/ أراه، أراه، يلف، يلفني».

ومهما يكن فإن الاختتام المفتوح يتيح للمتلقي المزيد من التأمل؛ لبناء متخيَّل آخر يتناسب وسياقات النص، وأحياناً يتناسب ومعطيَات المتلقي.

المبحث الثاني: الدلالات:

ليست الدلالة معنى فحسب، بل هي فن تقديم المعنى بطرائق إبداعية[٢]، وهي الأقدر على الإفصاح عن خلفية المبدع ونشأته وبيئته وتوجهاته الفكرية ومستوى فطنته[٣]، وفي هذا الفضاء الدلالي الرحب تكمن براعة المبدع الذي يُحَمِّل عتبات نصه طاقات إيحائية إضافية تكتنز بالكثير من المعاني الداعمة، فتارة يُنشئ، وتارة يَهدم ويختفي[٤].

ولعل أبرز الدلالات الحاضرة في المجموعة القصصية تتجلى في الدلالة النفسية، والدلالة الاجتماعية، والدلالة الرمزية.

أ. الدلالة النفسية:

وهي في الأعمال القصصية ذات شقين؛ شق يخص المبدع، وشق يخص شخصيات نصه، ويعنينا هنا ما يخص هذا الجانب الذي يبرز براعة المبدع في تجسيد شخصياته ورسمها[٥]

وللقاصة اقتدار ملحوظ في تجسيد شخصيات قصصها، وسبر أغوارها، واستبطان أعماقها، واستعراض أفكارها وتأملاتها من خلال عنصري الشعور الجلي الذي يظهر في الأقوال والأفعال، أو اللاشعور الذي يُستشَف من الانفعالات المختلفة التي يتحكم بها العقل الباطن[٦].

وفي افتتاح قصة «النمل الأبيض» تعبر بعض الشخصيات المحورية عن معاناتها النفسية وانفصالها عن الوعي بالتواري خلف حُلم، تقول:

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٥٣.

[٢] يُنظر: الأسس النفسية للإبداع الفني، مصطفى سويف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٢٨١، ٢٨٢.

[٣] يُنظر: دراسات في النص الأدبي (العصر الحديث)، د. حسين علي محمد، د. محمد عارف حسين، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص: ٩.

[٤] يُنظر: في الفلسفة والشعر، مارتن هيدجر، ترجمة: عثمان أمين، الدار القومية، القاهرة، ط: ١، ١٩٦٣م، ص ٨١.

[٥] يُنظر: علم الدلالة، كلود جرمان، ريمون لوبلان، ترجمة نور الهدى لوشن، دار الفاضل للنشر والتوزيع، دمشق، ط: ١٩٩٤م، ص ٢٦.

[٦] يُنظر: تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة محمود الربيعي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ٦٦.

«حلمتْ أنها تنام على رجل جدتها، كانت الجدة تحكي لها كعادتها حكايات الأساطير والأبطال، حكت لها عن بساط الريح.. البساط كان يطير ويطير، طارت هي فوقه.. مرت على قومها.. رأت موائد طويلة عريضة.. كان بعض قومها يأكل البعض الآخر. حزنت.. خافت..
تصببت راحتا يديها عرقاً»[١].

فالحلم الكابوسي هنا يكشف عن دلالة نفسية تعبر عن واقع قاسٍ بشع، هذا إلى كون الشخصية المحورية تمتلك قدرات خارقة تطير فوق بساط الريح، وتطلع على أسرار الآخرين، وترى مكامن الخطر

إن هذا الحلم يعكس دلالات الشخصية المأزومة من الواقع، ويجسد مشاعر الخوف والحزن، ويتضح هيمنة الراوي، وتدخله في سرد الحلم وتشكيله، وكأنه ناقل أمين ليس أكثر.

وارتبط الحوار الباطني بتداعي الذكريات في نفس الشخصية المحورية كما في اختتام قصة «القرد الرابع»، تقول:

«زرت صديقا ذات يوم.. رأيته يضع فوق تلفازه تمثالا لثلاثة قرود:
الأول: أغمض عينيه وترك فمه وأذنيه..
الثاني: سد فمه وترك عينيه وأذنيه..
الثالث: أغلق أذنيه وترك عينيه وفمه..
وجدت أنني رابعهم أنا الذي أغلقت عيني وفمي وأذني أيضا تكورت على نفسي حتى تقردنت»[٢].

لقد اختتمت قصتها بحوار داخلي عبرت فيه الشخصية المحورية عن معاناتها النفسية من خلال استرجاع حدث ماضٍ، وهو زيارة صديق، وأثناء الزيارة شاهدت الشخصية المحورية فوق التلفاز تمثالا لثلاثة قرود تجسد المثل الدارج: «لا أرى لا أسمع لا أتكلم»، فهذه الحادثة بقيت راسخة في أعماقها تشي بملامح الخوف والقمع والذلة من الحاضر، وتؤكد العجز عن التواصل مع المجتمع، الأمر الذي يفتح أفق الدّلالة والتفاعل على مصراعيه أمام المتلقي، ويسمح بتعدد القراءات، وتوليد المعاني.

ب. الدلالة الاجتماعية:

وهي دلالة تتضمن انعكاساً مباشراً أو غير مباشر لجملة الأفكار السياسية والأخلاقية والجمالية للمجتمع[٣]، ولا ريب أن المبدع «على صلة دائمة بمجتمعه، يقدم إليه ما يتساوق مع حاجته؛ سواء رضي عنه المجتمع أول الأمر، أو واجهه بصرامة»[٤].

ومن الملاحظ أن مجموعة الشملان تكتنز على كثير من الدلالات الاجتماعية المنعكسة عن المجتمع الخليجي في العقود المنصرمة، وبدا لي أن القاصة ركزت على الصّراع الناشئ بين الفرد والمجتمع، وما كان يعانيه الفرد من أزمات أوجدتها ظروف

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١٠٣.
[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١١٠.
[٣] يُنظر: في علم اجتماع الأدب، محمد كسبر، والسعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص ٢٦.
[٤] الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، بيروت، ط:٣، ١٩٧٤م، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

اجتماعية قاسية كانت المصلحة الخاصة فيها مقدمة على المصالح العامة كما ترى، فالمجتمع في منظورها مثل غابة يلتهم فيه القوي الضعيف، ويتضح ذلك ونحوه في افتتاحية قصة «يا لله صبوا ها القهوة وزيدوها هيل»، تقول:

«كان يوم خميس، كان زمن آب، أصبح الخميس وآب خنجراً في صدري، نعم خنجر.. مِتُّ، لا أذكر اليد التي طعنتني، كانت الأيادي كثيرة، خنجر الخميس في آب الأخير كان الأقوى.. خرجت للشارع.. وأنا أقول في خاطري لا شك أن الجميع عَلِمَ بموتي.. قابلت عامل البلدية.. انتظرت أن يلتفت إليّ.. لكنه مضى يجمع القمامة وكأن دمي المسفوح لا يهمه..»[1].

تتكئ القاصة على تقنية التكرار لتثير انفعالات المتلقي؛ إذ كررت الفعل الناسخ «كان يوم خميس، كان زمن آب» و«خنجرا، خنجر، خنجر الخميس» و«زمن آب، أصبح الخميس وآب، في آب» و«مِتُّ، بموتي» مما وَلَّد إيقاعاً حزينا عكس حالة الألم والتفجع.

ومن الملحوظ أيضاً هيمنة الأفعال الماضية «مِتُّ، خرجت، قابلت، انتظرت» على الأفعال المضارعة «لا أذكر، أقول» وبروز ضمير المتكلم «صدري، مِتُّ، خرجت قابلت انتظرت، طعنتني، خاطري، بموتي، إليّ، دمي»، والاستدراك «لكنه مضى يجمع القمامة».

كما اتكأت على تقنية الارتداد إلى الماضي «كان»، والتشبيه يشي بالحالة الشعورية للشخصية «وكأن دمي المسفوح لا يهمه..»، واستثمرت القاصة وصف الزمن «يوم خميس، زمن آب» لتزيد الإحساس بالانكسار النفسي الناجم عن حدث غزو العراق للكويت.

هذه الصراعات الاجتماعية التي عاناها الفرد جعلت منه شخصاً حائراً قلقا، وفي الوقت نفسه ملأَتْه بالخوف من القادم، وشلت قدرته على التفاؤل زمناً ليس بالقصير.

وفي اختتام قصة «بيضة وقطة» سعت القاصة إلى طرح مشكلات إنسانية تعتمد على البحث عن معنى الحياة والوجود والعدالة والحرية والخير والشر، تقول:

«تفوح رائحة الشواء، وتأتي الأفواه الجائعة تسألها، تجيبها أرنب بري هرب من نار الصحراء لنار المدينة، يقول الزوج (ولو كان خنزيراً)، يستعيذ الأب من الشيطان الرجيم، تمتد الأيادي، تمد يدها بقرف تحاول ألا تشعر به الآخرين به، لا تتحمل معدتها، قليلا ثم تبدأ نوبة قيء قوية، في الوقت نفسه كان هناك رجال شقر يضعون سماعات على آذانهم، وموسيقى جميلة تنطلق لتنعش روحهم، وبفمهم لبان يمضغونه وأياديهم على زرار تضغط، كما كان أجدادهم يرقصون وهم يمنحون الهنود الحمر بطانيات ملوثة ببراغيث التيفوئد والطاعون، تحرك أزرارهم قنابل نحو المدن تسقط أحدها على بيتها،

[1] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١٤١.

تتساقط أجسام خمسة، يختلط الدم بالقيء ببقايا قطة لعقت بيضة.

راديو الجيران البعيدين يردد أناشيد تمجد الزعيم الضارب، وتلفاز الجيران القريبين يحيي الزعيم المضروب، وامرأة عربية تلد طفلا تدعوه (بوش)» [١].

يصف الراوي العليم حال امرأة في العراق إبان حرب الخليج الثانية تعاني ويلات الحرب والجوع وفقدان الأمن، فقد كانت تحمل بيضة تريد أن تطعم بها الأفواه الجائعة، وفجأة ينطلق صاروخ يسقطها أرضا، وما إن تصحو حتى تجد قطة تلعق بيضتها، فتمسك بها، وتذكيها وتشويها لإطعام أسرتها.

تسهم عملية الوصف في الاختتام في تصوير مأساة الحدث ورسم الشخصيات وبث إيحاءات الخوف والرعب والدمار والفوضى؛ إذ يتلون الفضاء القصصي هنا بأحاسيس تذكي الشعور بالخوف والمرارة، يسانده وصف الراوي المثير لمشاعر الاشمئزاز، وتبدو اللحظة الأكثر إثارة على مستوى الشعور: «تمد يدها بقرف تحاول ألا تشعر به الآخرين به، لا تتحمل معدتها، قليلاً ثم تبدأ نوبة قيء قوية».

وتوظف القاصة تقنية التزامن بطريقة سينمائية؛ إذ يقع حدثان في الوقت ذاته: الحدث الأول اجتماع الأسرة على الطعام، والحدث الثاني حركة الجنود وإطلاقهم للقنابل وإصابتها منزل الأسرة ووفاتهم، وتنهي القاصة نصها بالمفارقة الجامعة بين المتناقضات «راديو الجيران البعيدين يردد أناشيد تمجد الزعيم الضارب، وتلفاز الجيران القريبين يحيي الزعيم المضروب، وامرأة عربية تلد طفلا تدعوه (بوش)»، إنها مفارقة تبعث الدهشة في وعي المتلقي، وتفتح له فضاءات للقراءة والتأويل.

ولم تكتف القاصة بمعالجة القضايا الإنسانية العامة كالحرب والقتل والتدمير، بل كان لقضايا المرأة وهمومها وشواغلها حضور في مجموعتها القصصية كما في «اسم أبي، صخرة نجد، أكمام الورد»، ومن هنا فإن الدلالة الاجتماعية حظت بنصيب وافر؛ وذلك للارتباط الوثيق بين القاصة ومجتمعها واهتماماته.

ومهما يكن من أمر، فإن القاصة كشفت عن قدرتها في تطويع آليات القص، فالشخصيات والأزمنة والأمكنة تبرز الكوامن النفسية للشخصيات المتأزمة وتكشف عن حدة الصراع مع الواقع، واللغة شعرية تميل إلى الإيحاء والتكثيف.

ج. الدلالة الرمزية:

في هذا المستوى الدالي العميق يتوارى المبدع وراء عباراته وخيالاته ليبث رؤاه المشحونة بالإيحاءات الشعورية، إما لأنه يريد تحفيز المتلقي النجيب لاكتشاف المرامي، أو لأنه يخشى من مغبة التصريح [٢].

---

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١٥٢.

[٢] يُنظر: البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: ١، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٩،

وتظهر في بعض نصوص المجموعة القصصية «وغداً يأتي» دلالات رمزية مختلفة تجسد رؤى وانفعالات يمكن أن تقرأ أكثر من قراءة، تقول في افتتاحي قصة «السد»:

«احترنا جميعا في سر هذا السَّدّ.. يقال إنه في أحد الصباحات الضبابية، قبل سنين لا يعرف عدتها أحد استيقظت قريتنا على وجود هذا السَّدّ الشاهق.. لا أحد يستطيع رؤية نهايته.. عالٍ سامق هو، يتحدى السماء تتكسر رقابنا ولا نرى وسطه.. همُنا به كبير.. كلٌّ يبحث عن سره، عما خلفه؟ فقيه قريتنا يقول لنا: إن خلف سَدِّنا الهائل هذا سرّاً عظيما لا نستطيع فهمه قبل أن نطهر نفوسنا فنرقى لمعرفة ما خلفه..»[١].

أزعم أن كل قارئ يمكن أن يطمئن لدلالة ما لرمز السَّدّ، فهل هي العادات؟ أم الأنظمة؟ أم أكبر من ذلك؟ أم أقل؟

ويأتي الاختتام رمزيا موحيا متناسبا مع الحدث في قصة «الحوت والمدينة»، تقول:

«عجب كثير بفجعتي، الجميع يمارس حياته بعادية تماما يبيعون ويشترون ويتزاوجون.. الذي أثار غرابتي، أنني لم أصحُ، ولم يحاول زوجي إيقاظي.. لحق بي وسط بطن الحوت..

جميعاً تأقلمنا معه.. أصبحت أمشط شعر ابنتي وأذاكر لها القصائد.. أذهب لعملي.. لم يعد زوجي يغلق التلفاز عن نشرات الأخبار.. ولكني فعلا لم أستيقظ من نومي.. أحد لم يوقظني.. أحد لم يصحُ حتى يوقظني.. ورائحة القيء أعتادها.. أعتادها..»[٢].

ظهرت معاناة الشخصية المحورية في أحلامها المتكررة واستمرت وامتدت في واقعها؛ إذ كان اللاوعي امتدادا للوعي، فالحلم بالحوت الأسود الذي يبتلع المدينة ما هو إلا رمز لواقع سياسي تَعنيه أثناء حرب الخليج الثانية، وقد بدت الشخصية المحورية قلقة مشوشة خائفة في البداية، ثم مستسلمة يائسة، ونظرا لاستمرار مسببات التأزم يتكرر الحلم، وهذه الأحلام المتكررة ذات البعد الرمزي تقدم للمتلقي تجلية لمشاعر الشخصية كما تقدم معادلا مضمونيا يتساوق مع دلالات اليأس والاستسلام وهذا الوضع نتيجة حتمية لبشاعة الواقع في منظورها.

ومن الواضح أن توظيف الدلالة الرمزية في المجموعة القصصية جاء متفاوت العمق، وانصبت دلالاته على الهموم الذاتية والاجتماعية، كما استطاعت القاصة تحفيز وعي المتلقي واستثارته، ليقاسمها عبء الإنتاج والتشكيل.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى بحث موضوع العتبات النصية في المجموعة القصصية «وغداً يأتي» للقاصة شريفة الشملان، وتبيت قدرة القاصة في

الرمزية، تشارلز تشادويك، ترجمة نسيم يوسف، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط: ١، ١٩٩٨م، ص ١٥٢.

[١] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ٩.

[٢] مجموعة «وغداً يأتي»، شريفة الشملان، ص ١٠٠.

تطويع آلياتها الفنية بما يخدم عتباتها النصية التي تؤثر في تقبل المتلقي وتوجيه أحكامه.

وكشفت عن ترابط وثيق الصلة بين النص وتلك العتبات، وبرزت محاولات القاصة في تخطّي طرائق الكتابة السّائدة إلى تشكيل فني جديد يتناسب وروح العصر الحديث.

ومن النتائج التي يمكن استخلاصها مما سبق:

١. سعت العتبات النصية على اختلافها «الغلاف الخارجي، المقدمة والتصدير والعنوان والافتتاح والاختتام» إلى أن تكون حلقة وسطى بين المتلقي والمؤلف والنص.

٢. أمسكت العتبات النصية بالخطوط الأساسية للنص، مما مكن المتلقي من قراءتها وتأويلها.

٣. اضطلع المتلقي بدور مهم في بناء العتبات النصية وتفسيرها وتأويلها من خلال البحث والتنقيب وإعمال الفكر.

٤. نهضت العتبات النصية على التكثيف والإيحاء واللغة الشعرية والرمز والتصوير.

٥. بدا الانسجام والتكامل بين مختلف العتبات النصية في المجموعة القصصية.

٦. اتسمت العنونة بتناسبها مع مضامين النصوص، وقدرتها على تحفيز القارئ لإنتاج الدلالة المخفية.

٧. أفسحت الوظائف (التشويقية والإغلاقية والتخييلية) للمتلقي مجال المشاركة في إنتاج النص وإعادة تأويله.

٨. برزت وظيفة العتبات النصية في فهم خصوصية النص وتحديد مقاصده الدلالية.

٩. هيمنت الشواغل الذاتية والاجتماعية على الدلالات (النفسية والاجتماعية والرمزية) في العتبات النصية التي تدع للمتلقي فرصة التفاعل الواعي مع النص.

ويسوغ لي بعد هذا أن أقدم توصية للباحثين بدراسة الأعمال الأخرى للقاصة شريفة الشملان، كما أوصي الباحثين بتكثيف دراساتهم الواعية عن العتبات لما تشتمل عليه من إبداع موازٍ لا يقل عن إبداع المتن.

هذا وأسأل الله السداد والتأييد، وأن ينفعني بما علمت، ويكتب لي أجر ما عملت، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١. المجموعة القصصية: «وغداً يأتي»، شريفة بنت إبراهيم بن عبدالمحسن الشملان، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:١٢٠٠٥م.

ثانيا: المراجع:

١. الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، بيروت، ط:٣، ١٩٧٤م.

٢. الأسس النفسية للإبداع الفني، مصطفى سويف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١م.

٣.أشكال التخيل من فتات الأدب والنقد، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط: ١٩٩٦م.

٤.الأقصوصة عند علي الدّعاجي، إبراهيم بن صالح، دار محمد علي للنشر، تونس، ط: ٢، ٢٠٠٥م.

٥.انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط: ٣، ٢٠٠٦م.

٦.البدايات والنهايات في القصة القصيرة السعودية، منى بنت عبدالله المفلح، مطبوعات كرسي الأدب السعودي، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، ط: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٧.البناء الفني في الرواية السعودية، حسن بن حجاب الحازمي، دار يافا، عَمّان، ٢٠٠٩م.

٨.البنى السردية دراسة تطبيقية في القصة الأردنية، عبدالله رضوان، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ط: ١٩٩٥م.

٩.بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: ١، ١٩٨٦م، ص ١٦١.

١٠. تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط:١١٩٩٠م.

١١. تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة محمود الربيعي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٢. ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي: بحث في المشاكلة والاختلاف، د. أحمد محمد ويس، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠٠٢م.

١٣. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي، د. ماهر هلال، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

١٤. جماليات الأسلوب، د. فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: ٢، ١٤١١هـ.

١٥.الحساسية الجديدة (مقالات في الظاهرة القصصية)، إدوار الخراط، دار الآداب، بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م.

١٦.الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر)، عبدالله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط: ١١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

١٧.دراسات في النص الأدبي (العصر الحديث)، د. حسين علي محمد، د. محمد عارف حسين، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

١٨.الرمزية، تشارلز تشادويك، ترجمة نسيم يوسف، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط: ١، ١٩٩٨م.

١٩.سيمياء العنوان، د. بسام قطوس، وزارة الثقافة الأردنية، عَمَّان، ط:١، ٢٠٠٠م.

٢٠.السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولو دال، ترجمة: عبدالرحمن بوعلي، دار الحوار، اللاذقية، ط: ١، ٢٠٠٤م.
٢١.السميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط: ١، ٢٠٠٣م.
٢٢.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة اليمني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
٢٣.عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي (الأخبار والكرامات والطُّرَف)، الهاشم أسمهر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.
٢٤.عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، يوسف الإدريسي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط: ١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٦م.
٢٥.علم الدلالة، كلود جرمان، ريمون لوبلان، ترجمة نور الهدى لوشن، دار الفاضل للنشر والتوزيع، دمشق، ط: ١٩٩٤م.
٢٦.العنوان في الأدب العربي: النشأة والتطور، د. محمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط:١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٧.في علم اجتماع الأدب، محمد كسبر، والسعيد الورقي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
٢٨.في الفلسفة والشعر، مارتن هيدجر، ترجمة: عثمان أمين، الدار القومية، القاهرة، ط: ١، ١٩٦٣م.
٢٩.في نظرية الأقصوصة: التسفير الفني، أحمد السماوي، صفاقس، ط: ٢٠٠٣م.
٣٠.القصة القصيرة النظرية والتطبيق، إنريكي أندرسون إمبرت، ترجمة علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: ٢٠٠٠م.
٣١.القصة والرواية، عزيزة مريدن، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٣٢.كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط:٢، ١٩٧١م.
٣٣.لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، دار الفكر ودار صادر، بيروت، د. ت.
٣٤.اللسانيات ونظرية التواصل، عبدالقادر الغزالي، دار الحوار، اللاذقية، ط: ١، ٢٠٠٣م.
٣٥.مساءلة النص الروائي في السرديات العربية والخليجية المعاصرة، الرشيد بوشعير، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط: ١، ٢٠١٠م.
٣٦.المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٢، ١٩٨٤م.
٣٧.معجم السرديات، محمد القاضي، وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ط: ١، ٢٠١٠م.
٣٨.معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط:١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
٣٩.معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون ودار النهار للنشر، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٢م.

٤٠.موسوعة الأدب السعودي الحديث (تراجم الكتاب)، أمين سيدو، محمد القشعمي، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
٤١.نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)، بوريس إيخنباوم وآخرون، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت والشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط: ١، ١٩٨٢م.
٤٢.نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: ١، ٢٠٠٧م.

ثالثا: المجلات والدوريات:

١.خطاب الكتابة وكتابة الخطاب (دراسة)، عبد الرحمن طنكول، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد: ٩، ١٩٨٧م.
٢.الخصائص البنائية للأقصوصة (مقالة)، صبري حافظ، مجلة فصول، المجلد ٢، العدد ٤، عام ١٩٨٢م.
٣.السيميوطيقا والعنونة (مقالة)، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٢٥، ع٢٣، يناير/ مارس١٩٩٧م.
٤.في إنشائية الفواتح النصية (مقالة)، أندري دي لنجو، ترجمة سعاد نبيّغ، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجدة، العدد ١٠، شعبان ١٤٢٠هـ/ ديسمبر ١٩٩٩م.
٥.في شعرية الفاتحة النصية (مقالة)، جليلة الطريطر، مجلة علامات في النقد.
٦.القصة القصيرة الطول والقصر (مقالة)، ماري لويز برات، ترجمة محمود عياد، مجلة فصول، المجلد ٢، العدد ٤، عام ١٩٨٢م.
٧.مساهمة في نمذجة الاستهلالات الروائية (مقالة)، عبدالعالي بوطيب، مجلة علامات في النقد، المجلد ١٢، الجزء ٤٦، شوال عام ١٤٢٣هـ ديسمبر٢٠٠٢م.
٨.النص المفتوح والنص المغلق (مقالة)، محمد عبدالمطلب، مجلة محاور، القاهرة، العدد ٢، السنة ٢٠٠٥م.

The textual thresholds in the anecdotal set «Tomorrow Comes» by Sharifa AlShamlan

Dr. Fawaz bin Abdulaziz Allaboun

Associate Professor, Department of Literature, Faculty of Arabic Language
At Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Abstract. the story of the textual blueberries in the anecdotal set «Tomorrow Comes», which is an anecdotal set.

The research seeks to know the general characteristics of the thresholds.

The research will contribute to analyzing the characteristics, functions, and implications of thresholds in the narrative collection, in addition to trying to present new findings regarding thresholds in the female short story.

All of this came in an introduction, preliminary, and a first chapter titled: The Simulation of Text Thresholds, and under it four sections, and a second chapter entitled: Threshold Interactions and the Receiving Horizon, and under it two topics, as a conclusion, it was proven by the sources and references.

The research used the structural approach, and at the same time benefited from some modern approaches to approach texts such as semiotics and stylistics.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ١٣٩- ١٧٠ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-36

الموازنةُ بين الطائفيَّين
دراسة نقدية لكتابَي (شخصية/ وأبعاد (الطائف الشعرية) للقرشي والثبيتي

د. أحمد بن عيسى الهلالي
أستاذ البلاغة والنقد المساعد بجامعة الطائف

مستخلص. عرَضَت الصحافة السعودية لخصومة بين مؤلِفين سعوديين من مدينة الطائف، فقد ألّف الدكتور عالي بن سرحان القرشي في عام ٢٠٠٠م كتابه (شخصية الطائف الشعرية) وبعده بستة عشر عاما ألّف الأستاذ قُليّل بن محمد الثبيتي كتابه (أبعاد الطائف الشعرية) عام ٢٠١٦م، فأثار الإصدار الثاني عتب القرشي ذي السبق التأليفي، وتدرج العتب حتى بلغ مرحلة أعلى؛ ذلك أن الثبيتي لم يشر إلى سبقه، ولم يذكر كتابه من قريب أو بعيد، فأثارت الصحافة الخلاف، وتصاعد العتب حتى صار خصومة، وبلغ الذروة حين أصبح اتهاما، إذ تقدم الدكتور عالي القرشي بشكوى إلى وزارة الثقافة والإعلام آنذاك.

غاية الدراسة هي الوقوف على الكتابين وتوصيفهما توصيفا دقيقا، يبيّن للمتلقي أدق التفاصيل ويضعه في عمق الخصومة، ثم بحث نقاط التقاطع والاختلاف بين الكتابين، تأسيسا للموازنة الموضوعية بينهما، وذلك ما بينته الدراسة في خاتمتها، آملا أن تكون الدراسة قد وُفقت في التزام الحياد والموضوعية والعلمية في التعرض لهذه الخصومة المهمة.

التمهيد

أصدر الدكتور عالي بن سرحان القرشي[١] في عام ٢٠٠٠م كتابه (شخصية الطائف الشعرية) وبعده بستة عشر عاما أصدر الأستاذ قليل بن محمد الثبيتي [٢] كتابه (أبعاد الطائف الشعرية) عام

[١] - ناقد وباحث وكاتب من مواليد الطائف ١٣٦٩هـ - ١٩٥٢م، نال الدكتوراه من جامعة أم القرى، وعمل عضو هيئة تدريس بكلية المعلمين بالطائف، ثم عين أستاذا بكلية الآداب بجامعة الطائف، وعُين عضوا في نادي الطائف الأدبي، أسهم في كثير من المناشط الثقافية، ورأس تحرير مجلة الجامعة ورأس اللجنة الثقافية لسوق عكاظ، وشارك في العديد من المؤتمرات والملتقيات داخل المملكة وخارجها، وله أكثر من ثلاثين بحثا منشورا في دوريات محكمة ومجلات ثقافية، وله العديد من المؤلفات، منها: (أنت واللغة / تحولات النقد وحركية النص/ حكي اللغة ونص الكتابة/ الرؤيا الإنسانية في حركة اللغة/ رحلة الذات في فضاء النص الشعري القديم/ شخصية الطائف الشعرية/ طاقات الإبداع/ عكاظ وحي الإبداع وتجليات الوعي/ المبالغة في البلاغة العربية/ نص المرأة/ وغيرها مما لم يدونه القاموس) *(قاموس الأدب والأدباء بالمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٣: ١٣٦٩).

[٢] - باحث وشاعر ولد في بني سعد بالطائف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م، حاصل على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة الملك سعود، يعمل وكيل مدرسة بتعليم الطائف، له إسهامات صحفية، وانتخب نائبا لرئيس نادي الطائف الأدبي عام ١٤٣٢هـ وله العديد من المشاركات الشعرية والنقدية في المؤسسات الثقافية والملتقيات، صدر له كتاب (النقد القصصي في أدبنا الحديث) عن نادي الطائف الأدبي عام

٢٠١٦م، فأثار الإصدار الثاني عتب القرشي ذي السبق التأليفي، وتدرج العتب حتى بلغ مرحلة أعلى؛ ذلك أن الثبيتي لم يشر إلى سبقه، ولم يذكر شيئا في مؤلفه الجديد عن كتاب القرشي رغم التشابه بين عنواني الكتابين، ثم وصل العتب إلى ناشر الكتاب الجديد (النادي الأدبي الثقافي بالطائف) لإصداره الكتاب دون إشارة إلى القرشي ومنجزه السابق، فكلا المؤلِفَين ينتميان إلى هذه المؤسسة العريقة. احتدم العتب فنشرته صحيفة محلية، فتفاعل معه الناقد الأستاذ حسين بافقيه[١]، وتساءل تساؤلات عدة على موقع (تويتر)، ثم صعّد القرشي عتبه حتى نُشر في صحيفة محلية، ومعه تساؤلات بافقيه ورأيه، ثم أعاد القرشي طباعة كتابه، ونشر مقالة في صحيفة أنحاء الإلكترونية [٢] بعنوان (شخصية الطائف الشعرية بين التشخيص الأنثوي الفاتن والتهميش) أشار فيها إلى أسباب طباعة نسخة ثانية من كتاب (الشخصية) وكان من جملة الأسباب كتاب (الأبعاد)، إذ يقول: "وماكنتُ لأُعيد طباعة هذا الكتاب، لولا تقادم طبعته الأولى، ونفاد نسخها، وجعل القارئ على بينة من الاعتداء السافر على مكوناته وفكرته، دون إشارة في تقديم أو هامش من قِبل الأستاذ قليل محمد الثبيتي الذي قام بتأليف كتاب سمّاه (أبعاد الطائف الشعرية)" وبذات العبارة عبّر الخبر المنشور في صحيفة (إشتار) الإلكترونية [٣]، وأضاف أنها مذكورة في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب القرشي.

وقد رأيت من النَّصَفة التوقف عند هذه القضية، واستجلاء أبعادها بموضوعية وعلمية، تضع المتلقي في صورة الخلاف، وتفتح الذهنية على آفاق مثل هذه القضايا التي تظهر في الإعلام كالفقاعة ثم تتلاشى، راجيا أن يكون سبيلي التجرد والانحياز للعلمية والموضوعية والحق في وصف الكتابين والموازنة بينهما، ولا أعني بالموازنة المفاضلة بين الكتابين، بل الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف، والتقاطع والتفرد من خلال المقارنة، واثقا بعون الله، ثم بسعة صدر المؤلفين، وقد هداني رأيي أن أتصل بالمؤلفين وأستميحهما النظر، فلم يعترضا، ولا أقول إلا كما قال الآمدي: "وبالله أستعين على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى، وترك التحامل، فإنه جل اسمه حسبي ونعم الوكيل"[٤].

الخصومة كما عرضت لها الصحافة:

برزت القضية على سطح الرأي العام من خلال الصحافة، إذ استجلت صحيفة الوطن أقوال

١٤٣١هـ ، وله (ديوان مرفأ على الوريد) عام ١٤١٢هـ. وأخيرا كتابه محل الدراسة (أبعاد الطائف الشعرية). *(قاموس الأدب والأدباء بالسعودية، ١: ١٨٥).

[١] ـ باحث وناقد يهتم بالتاريخ الثقافي من مواليد جدة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، نال درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة الملك سعود، تنقل بين عدد من الوظائف التعليمية والإدارية حتى استقر في وزارة الثقافة والإعلام، له نشاط ثقافي وإعلامي منوع، وله مشاركات نقدية عبر المؤسسات الثقافية والمؤتمرات، له عدد من المؤلفات منها (الجوائز الأدبية الحدود والأقنعة/ إطلالة على المشهد الثقافي في السعودية/ طه حسين والمثقفون السعوديون/ ذاكرة الرواق وحلم المطبعة/ وغيرها من المؤلفات) *(قاموس الأدباء في السعودية ٣: ١٣٠٢).

[٢] ـ صحيفة أنحاء الإلكترونية، في تاريخ ٢٥ أبريل ٢٠١٦م، على الرابط الشبكي:http://www.an7a.com/2016/04/25/%D8%B4%D8%AE -

[٣] ـ صحيفة إشتار الإلكترونية، تاريخ ٢٧ ذو القعدة ١٤٣٧ هـ ـ الموافق ٣٠ أغسطس ٢٠١٦م، على الرابط الشبكي: http://eshtar.net/3598/%D8%B4%D8%AE

[٤] ـ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق محمد صقر، طبعة دار المعارف، مصر ١٩٦١م ، ج١ ص ٧.

المؤلفَين، تحت عنوان (جدل بين القرشي والثبيتي حول شعراء الطائف)[١]، فقال . أولا . القرشي:

"أهداني الثبيتي كتابه الذي أصدره عن طريق نادي الطائف الأدبي، وكان عنوان كتاب الثبيتي مُربكا، فالعنوان واحد وكنت أتوقع أن كتابي أنتج مولودا جديا، لكني وجدت أن الثبيتي تجاهلني، وكان الأجدر به أن يبرئ نفسه، ويبرر موقفه في الكتابة عن أبعاد الطائف الشعرية كأن ينتقد كتابي مثلا أو ينقضه أو ينطلق منه أو يشير إليّ أو أن يضعه من ضمن مراجعه". وأضاف القرشي: "الثبيتي تناول في كتابه نصوصا سبق أن تناولتها تحليلا وتعليقا في كتابي شخصية الطائف الشعرية، وكان يفترض أن يكون كتابي مرجعا رئيسا لكتاب الثبيتي، لكنه لم يفعل، ويشير في كتابه إلى الدواعي التي دعته إلى الكتابة عن شخصية وأبعاد الطائف الشعرية من جديد، رغم أن هناك من سبقه في الكتابة حولها".

وعطفا على ادعاء القرشي، سألت الصحيفة الثبيتي، عن ذات الموضوع، فأجاب: أن "القارئ هو الذي يحدد ويحكم، فليس هناك أي تشابه، فكتاب الدكتور عالي القرشي عبارة عن محاضرات ألقاها في فترات زمنية مختلفة ومنها محاضرة في نادي الطائف الأدبي، وطريقتي في تناول الكتاب كانت مختلفة تماما، فأنا وجدت معجما عن الطائف وحاولت أن أرى الأبعاد التي تناولها المعجم، ثم تناولت موضوعات في هذا المجال والكتاب بين أيديكم، ولم أرجع إلى كتاب الدكتور عالي نهائيا، فليست المواضيع متشابهة ولا تناولي ولا محاوري متشابهان مع كتاب الدكتور عالي، إضافة إلى أن أسلوبي لا يصل إلى أسلوب الدكتور عالي، وهناك اختلاف كبير بشكل قطعي". وبهذا انتهى كلامهما.

وبعد ذلك بأشهر رفع القرشي شكوى للتقاضي أمام لجنة المطبوعات، ضد كتاب الثبيتي حسب صحيفة عكاظ[٢] تحت عنوان (شخصية الطائف الشعرية وأبعادها تدفع القرشي إلى مقاضاة الثبيتي)، إذ قال القرشي: "الثبيتي تجاهلني، وكان الأجدر به أن يبرئ نفسه، ويبرر موقفه في الكتابة عن أبعاد الطائف الشعرية. كأن ينتقد كتابي مثلا أو ينقضه أو ينطلق منه أو يشير إليه أو يضعه من ضمن مراجعه" ثم أضاف إن من مواضيع كتابه: "تمازج الأمكنة ومكوناتها الشعرية. الذات المعشوقة. الأنثى. شخصية الطائف المعشوقة. المزج بين فتنة المكان والأنثى. تهيج ذاكرة الحزن" في حين تضمن كتاب قليل الثبيتي عناوين " ملامح العشق، تباريح الشوق، المرأة كائن شعري. لواعج الذكرى". وفي ذات الموضوع، لم يجب الثبيتي على أسئلة الصحيفة حسبما ذكر الصحافي علي الرباعي.

ثم يصعّد القرشي القضية إلى الادعاء على النادي الأدبي الثقافي بالطائف بسرقة كتابه رغم أن القضية

---

[١] ـ صحيفة الوطن السعودية، تاريخ ٧/ ٢/ ٢٠١٦م على الرابط الإلكتروني:
http://www.alwatan.com.sa/Culture/News_Detail.aspx?ArticleID=251917&CategoryID=7

[٢] ـ صحيفة عكاظ السعودية، الاثنين ١٦ محرم ١٤٣٨هـ ، الموافق ١٧ أكتوبر ٢٠١٦م على الرابط الشبكي:
https://www.okaz.com.sa/article/1502966

المرفوعة قد حُفظت، إذ رد على سؤال لصحيفة الرياض في لقاء خاص بالقرشي، حين سأله الصحافي: وجهتَ (يعني القرشي) إدانة لنادي الطائف الأدبي بسرقة كتابك، فإلى أي مدى وصلت القضية؟ فأجاب القرشي: "فعلاً كانت هناك سرقة واضحة لكتابي، وكان إصدار النادي مسخاً من ذلك الكتاب، ولم يكن فيه توثيق في أي صفحة أو إشارة لكتابي، وتم إعادة الموضوع للجنة الرياض وحفظت لعدم كفاية الأدلة ولم يقولوا لعدم وجود أدلة".[١]

التعريف بالكتابين:

- الكتاب الأول: شخصية الطائف الشعرية، د.عالي بن سرحان القرشي، من إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف، ط١، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.
- الكتاب الثاني: أبعاد الطائف الشعرية، قليّل محمد الثبيتي، النادي الأدبي الثقافي بالطائف، ط١، ١٤٣٧هـ. ٢٠١٦م.

يجدر التنبيه إلى أن الدراسة ستختصر اسمي المؤلفين باللقب (الاسم الأخير) لكل منها، وكذلك اسمي الكتابين بعد هذا التعريف الموثق للكتابين، فيكون كتاب القرشي (الشخصية) وكتاب الثبيتي (الأبعاد)، مع كل ذكر يستدعي المؤلفَين أو الكتابين أو أحدهما في ثنايا الدراسة.

بالنظر في معلومات الكتابين، فنحن إزاء كتابين تجمعهما تقاطعات سطحية، تظهر للناظر مباشرة، وهذه التقاطعات السطحية ظاهرية يجوز النظر فيها أو في بعضها، ثم ستكون الوقفة على التقاطعات العميقة، لذلك ستأتي الدراسة في ثلاث نظرات، هي:

- **النظرة الأولى: الكتابان من الخارج (العتبات)**
- **النظرة الثانية: الكتابان من الداخل (المتن)**
- **النظرة الثالثة: الموازنة**

قبل النظر في الكتابين، تجدر إضاءة موضوع **الموازنة**، فهي في اللغة: مصدر من الفعل وازن، "ووازَنْتُ بين الشيئين مُوَازَنَةً ووِزاناً، وهذا يُوازِنُ هذا إذا كان على زِنَتِه أَو كان مُحاذِيَهُ ... ووازَنَه عادله وقابله".[٢] وفي الاصطلاح: "المقارنة والموازنة بين النصوص وإخضاعها للدراسة النقدية للوصول إلى نقاط الاتفاق أو الاختلاف".[٣] وقد ارتبط هذا الموضوع (بالآمدي) حين اتخذه عنوانا لكتابه (الموازنة بين الطائيين) الذي اعتبره محمد مندور "نغمة جديدة في تاريخ النقد العربي"[٤]، وإن كان الآمدي قد وازن بين شاعرين في مجموع تجربتهما الشعرية لتفضيل أحدهما على الآخر، فإن هذا ليس موضوع هذه الدراسة، فهي لا تتجاوز الموازنة بين (كتابين تقاطعا في العنوان والموضوع) يسيران إلى وجهة (صورة الطائف الشعرية)، أثار تقاطعهما

---

[١] ـ صحيفة الرياض السعودية، الاثنين ١٠ جمادى الآخرة ١٤٣٩هـ - ٢٦ فبراير ٢٠١٨م على الرابط الشبكي:
http://www.alriyadh.com/1664550

[٢] ـ لسان العرب مادة وزن، (١٥ : ٢٠٥)

[٣] ـ معجم المصطلحات الأدبية، إعداد إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع التعاضدية العمالية، صفاقس، الجمهورية التونسية، ط١، ١٩٨٦م، ص ٣٤٠.

[٤] ـ النقد المنهجي عند العرب ، ص ٩٤.

ضجة مؤقتة، ولا اتصال للدراسة بغير موضوع الكتابين، لا من قبيل تجربة المؤلفين العامة، ولا حياتهما.

كتاب القرشي (الشخصية) متقدم في تأليفه وطباعته، وستعتمد الدراسة على طبعته الأولى فقط، لذلك سيكون له التقديم في الذكر عبر ثنايا الدراسة باعتبار الأسبقية، أما طبعته الثانية فلم تصدر إلا بعد الواقعة، ما يجعل النظر يجوز عنها، وينحصر في الطبعة الأولى فقط، وبالله التوفيق.

أولا : الكتابان من الخارج (قراءة العتبات):

مهمة هذا المبحث تختص بالنظر في الكتابين من خلال توصيف عتباتهما، (الغلاف والعنوان والإهداء والمقدمة) وكما ذكرت سابقا ستكون بدايات المقارنة دائما بكتاب القرشي لأسبقية التأليف، وسيكون النظر من خلال النقاط الآتية:

عتبة الغلاف

١. كتاب (الشخصية) للقرشي: من القطع المتوسط يقع في ٢٠٩ صفحات ١٧ ×٢٤، أهداه إلى (والديه) ثم جعل الكتاب بين قصيدتين، افتتحه بقصيدة (الفاتحة) من نظمه، وختمه أيضا بقصيدة (الخاتمة)، احتوى الغلاف الخارجي على تدرجات لونية من الأخضر والأصفر، وكتب العنوان بخط كبير ثلاث كلمات فوق بعضها البعض، باللون الأصفر الغامق، وتحت العنوان صورة لجزء عُلوي من كتاب مفتوح، ظهرت في صفحته اليسرى أبيات شعرية مطلعها (طاف طيف طائفي وتثنى) للشاعر د.عبدالله الفيفي، يحجب بعض أبياتها شريط ممتد من اليمين إلى اليسار مادته الفنية مربعات متداخلة كتداخل نسيج حصير السعف، مصبوغ باللون الوردي، يتوسطه مستطيل أبيض عليه اسم الناشر، ويمتد عموديا على يمين العنوان قريبا من قاعدة الكتاب نقش إسلامي مادته المكررة (الطائف) على شكل مثلثات متداخلة، تقرأ من اليمين وتتداخل معها (الطائف) . أيضا . من الشمال من أعلى الغلاف حتى أسفله، وذات النقش يحتل الجزء الأيمن من (الغلاف الأخير)، وتلتقي به من الأعلى زخرفة ثم بسملة باللون الأخضر الفاتح نصفها في أعلى الصفحة، ثم النصف الثاني ينحدر بزاوية قائمة على طرف الغلاف الأيسر، ثم تفصلها زخرفة بعبارة (مرحبا بكم) باللون الأزرق (السماوي)، وتتموضع في أسفل الغلاف عبارة (عروس المصائف) باللون الأصفر، سبقتها فوق النقش الإسلامي على يمين الغلاف مفردة (الطائف) باللون الأبيض، وتتداخل الألوان الأزرق من أسفل الصفحة ثم الأخضر ثم الأصفر في أعلاها، وهذا التشكيل الذي شكل بروازا أنيقا يناسب إصدار التنشيط السياحي، ناسب أن تتوسطه كلمة لمعالي محافظ الطائف آنذاك الأستاذ فهد بن معمر، وصورته في الركن الأيمن الأعلى من البرواز، أشاد فيها بالمؤلف والكتاب. (انظر صورة الغلاف في ملحق الصور).

وبإمعان النظر في ألوان الغلاف نجدها مجتلبة من شخصية الطائف الواقعية، فاللون الأخضر الطاغي يأتي من اعتبار الطائف مدينة زراعية اشتهرت

بالبساتين التي تنتج عددا من المحاصيل المميزة، أما اللون الأصفر فأراه مجتلبا من شخصية الطائف الذهنية، فهي مضيئة في الشعر، واضحة بما تملك من مقومات الجمال، واللونان الأخضر والأصفر في تداخلهما يومئان إلى معنى الحياة وجمالها، المستقى من العلاقة بين الشمس والنبات، ويأتي في ذات السياق اللون الوردي للشريط، الرامز إلى منتج (الورد الطائفي) الثمين، بسمعته الشهيرة، ويكتمل المشهد اللوني بالأزرق وتدرجاته، فالغامق يرمز إلى السماء، والفاتح المستخدم في تعبير (مرحبا بكم) في الغلاف الخلفي، يأخذ دلالته من تحية أهل الطائف الشهيرة للزائرين (مرحبا تراحيب المطر)، أما الأبيض الذي كتبت به كلمة (الطائف) فهو حالة تعبيرية عن الغيم وعن النقاء، وكل هذه المجموعة اللونية (الأصفر والأخضر والأزرق والسماوي والأبيض) ألوان حياة وطبيعة آسرة.

وبالنظر في التشكيلات البصرية للعنوان، فقد جاء متراكبا، ثلاث كلمات فوق بعضها، من الأعلى إلى الأسفل (شخصية الطائف الشعرية)، وهذا يظهر رغبة المؤلف والناشر في إبراز العنوان، ما يشي بإحساسهما بأن دورهما مهم في إبراز شخصية الطائف في الشعر، وسعادتهما بهذا المنجز التأليفي الذي سيقدم المدينة إلى القراء بأبهى حلة، أما الزخرفة العمودية بتكرار كلمة (الطائف) على الغلافين فهي تأخذ طابع الزخرفة الإسلامية للإيحاء بالبعد الإسلامي للمدينة، وقربها من مكة المكرمة، واعتبارها ميقاتا للحاج والمعتمر، يدعم هذا التأول أن الناشر ليس جهة أدبية، بل جهة سياحية هدفها استقطاب السائح والزوار، وإقناعه بعلاقة الطائف بالمشاعر المقدسة، والبيت الحرام، والطبيعة والمناخ المميز، وقد بحث القرشي موضوع اقتران الطائف بمكة في تضاعيف تحليله للشواهد الشعرية، كما سيأتي.

٢ . **كتاب (الأبعاد) للثبيتي:** من القطع المتوسط، يقع في ٢٠٦ صفحات ١٤ ×٢١، غلاف الكتاب الخارجي مزيج من الألوان المائلة للزرقة والمتداخلة مع درجات من اللون البني، في تشكيل يشبه تحريك المعجون الملوّن على جدار كبير، واللوحة مناسبة لبيئة الطائف، فكأنها ترمز لطبيعتها الجبلية وكثرة الأمطار عليها وما فيها من غدران وسدود قديمة، جاء عنوان الكتاب في الأعلى بتكبير كلمة (أبعاد) باللون الأحمر القاني (العودي) القريب من البني محاطة بخط أبيض رفيع، وتكملة العنوان (الطائف الشعرية) تحتها بذات اللون لكن بحجم أصغر، أما (الغلاف الأخير) فمُنَصَّف، النصف الأيمن بلون قريب من (البيج) ضم صورة المؤلف ونبذة تعريفية مختصرة، والنصف الأيسر باللون الأزرق المخضر، ضمّنه المؤلف كلمات عن سحر الطائف وفتنتها، وعن الطائف في لغة الأساطير، وهما المقطعان الأولان من تمهيده للكتاب في الصفحة ٩. (انظر صورة الغلاف في ملحق الصور).

وبإلقاء نظرة على التشكيلات البصرية للغلاف الأول خاصة، فإننا أمام لوحة فنية تشكلت على قماش (الكانفوس)، تفصح في مجملها عن رؤية المؤلف للطائف، وإيمانه العميق بجمالها، وبإنعام النظر في اللوحة، فإن تداخل الألوان من الجوانب واقترابها من مركز مزدحم بالألوان توحي بتعدد المكونات المختلفة التي تثري الطائف، وتجعل لها أبعادا متعددة، فالطائف من جهة تجمع عددا من المكونات الاجتماعية من البوادي والحواضر، وتجمع بين الثقافتين النجدية والحجازية، أما من الناحية التضاريسية فإن المكونات البيئية لها متعددة، فهي تقع على جبال السروات بطبيعتها الصخرية المرتفعة، وتنحدر بتشكيلات جبلية تتناقص ارتفاعاتها حتى تصبح تلالا تلتقي بالسهول الرملية الواسعة، وعلاقة هذا التشكيل البصري واللوني بالعنوان وثيقة فكلها أبعاد لهذه المدينة العريقة، أما علاقتها بمادة الكتاب فهي تصور ذهني للمادة الشعرية التي كُتبت عن الطائف عبر أزمنة مختلفة، وكذلك من شعراء من بيئات مختلفة بعضهم من أبناء الطائف، وبعضهم أقام للعمل، وبعضهم زارها سائحا أو عابرا إلى وجهة أخرى، وربما يكون هذا سبب اختيار المؤلف لكلمة أبعاد بصيغة (الجمع) لتحوي كل هذه المساحات الدلالية، ثم يختار تكبيرها، وتلوينها باللون (العودي) الغامق دلالة على التكثير والاتساع.

عنوانا الكتابين:

يكاد العنوانان أن يتطابقا دلاليا، فثلثاهما متطابقان (الطائف الشعرية)، والثلث الأول متقارب (شخصية/ أبعاد)، وبالنظر إلى مفردة (شخصية) من مادة (ش خ ص) التي تعني "سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه. والشخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص وشِخاص"[١]. لكنها في العنوان تأخذ منحىً مختلفا حين تكون مصطلحا، فغالبا ما يطلق الشخص على العاقل، "لكن الشخص المعنوي أو الاعتباري يطلق على الجماعات أو المؤسسات"[٢]، ويجوز إطلاقه على المكان، بمجموع الصفات والمميزات التي تمنح المكان هوية وشخصية خاصة، فقولنا "تشخّص: أخذ صفات تعيّنه"، "والشخصية: هي وحدة الذات وثباتها"[٣]، وهي بالمعنى الشائع "مجمل السمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي"[٤]. وهذا ما حرك القرشي للبحث عن صفات ومميزات الطائف في المدونة الأدبية حسب مقدمته.

أما (الأبعاد) جمع (بُعد)، انتقاها الثبيتي عنوانا لكتابه، فالبعد ضد القرب[٥]. والأبعاد: "امتدادات تقاس بها الأشكال أو المجسمات، والأبعاد الثلاثة

---

[١] لسان العرب مادة: شخص. (٨ : ٣٦).
[٢] ـ المعجم الفلسفي ج١، جميل صليبا ص ٦٩٠
[٣] ـ المعجم الفلسفي، مراد وهبة ص ٣٦١.
[٤] ـ معجم المصطلحات الأدبية، إعداد إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع التعاضدية العمالية، صفاقس، الجمهورية التونسية، ط١، ١٩٨٦م، ص ٢١٠.
[٥] ـ لسان العرب،أبو الفضل جمال الدين محمد منظور، بيروت، دار صادر، د ت، مادة : بعد، (٢ : ١٠٩).

هي الطول والعرض والعمق... فما كان ذا بعد واحد فخط، وما كان ذا بعدين فسطح، وما كان ذا ثلاثة أبعاد فجسم تعليمي (حجم)"[١] وهذا البعد الجسماني الثلاثي هو ما أراده الثبيتي للطائف، فالأبعاد التي كان يبحث عنها، هي . أيضا . مجموع الصفات والمميزات التي تعيّن الطائف عن غيرها في المدونة الشعرية، وقد عمد الثبيتي إلى تقسيم فصول كتابه بمفرد الأبعاد (البعد التكويني/ البعد التاريخي ...) أضف إلى ذلك ما تأولته الدراسة في تحليل الغلاف، ربما يكون مناسبا للأبعاد.

ومن التعريفات السابقة يظهر التقارب الدلالي بين العناوين إلى ما دون التطابق اللفظي، فكلا الباحثَين يبحث عن الصفات والمميزات للطائف في المدونة الشعرية، وإن كان القرشي قد توسع حين قصد المدونة الأدبية (شعرا ونثرا)، فالشخصية والأبعاد كلتاهما تمثلان صورة الطائف الشعرية، ولذلك يصبح العنوان تقاطعا ظاهرا بين الكتابين.

إهداء الكتابين:

اشترك المؤلفان في إهداء الجهد التأليفي إلى أحبتهما، فالقرشي أهدى كتابه إلى والديه بعبارات شعرية راقية، تدور تعابيرها كلها في فضاء (الامتنان) لما قدمه الوالدان لابنهما من تضحيات ليكون ما هو عليه لحظة كتابة الإهداء، فقد شقيا وتعبا وأحسنا تربيته حتى أصبح فخرا لهما حين يقدمانه إلى الأقارب والأصدقاء، ثم ختم الإهداء بالدعاء، وقد اعتمد على حرف الجر (إلى) متبوعا بالاسم الموصول للمثنى (اللذين) وكرره أربع مرات، وحين بلغ الدعاء، صرّح بهما (إلى أبي وأمي)، ولم يكتف بأن اسمه مذكور على غلاف الكتاب، بل ذيل الإهداء بتوقيعه (ابنكما عالي) مجردا من الألقاب العلمية، ودلالات هذا الإهداء تدور في اعتزازه بوالديه وتقديره لتضحياتهما، والمكانة العلمية التي بلغها بفضل رعايتهما، وذكره لاسمه يأتي في ذات السياق، فهذا الصنيع يشعر الوالدين بقيمة الثمرة التي ضحيا من أجلها، وفي ذات الوقت فالقرشي يشعر أن جهده التأليفي للمكان الذي احتضن طفولته وآماله واجب يدين به إلى المكان والوالدين، خاصة حين يقول: "إلى اللذين عشت معهما دهشة الجمال، وشوق الأرض لماء السماء".

أما الثبيتي فقد أهدى كتابه إلى زوجته، بعبارات شعرية قصيرة لا تتجاوز اثنتين وعشرين كلمة، فاعتبر كتابه فيض من نبض حروفه، وأنه أودع جزءا من نفسه في هذا الجهد التأليفي، ويجدر الظن أنه يستحق التقديم إليها بوح عرفان ورسالة امتنان. ثم يختم الإهداء بحرف الجر (إلى) متبوعا بتعبير (رفيقة دربي) ويكنّيها باسم ابنهما (أم مهند)، ولم يفصح الثبيتي عن سبب الإهداء والامتنان والعرفان لزوجته.

لكن النظر في الإهداء يجعلنا نشعر بما يعنيه الكتاب للمؤلف، فنحسّ بالحميمية العميقة في اعتبار الكتاب (نبض حروف) المؤلف، وأن جزءا من نفسه

---

[١] ـ المعجم الفلسفي، ج١، جميل صليبا، ص ٢١٣.

يسكن هذا الكتاب، وكأن الدافع العاطفي إلى تأليف الكتاب أعمق من الدافع المعرفي أو العلمي، وربما عمق انتماؤه إلى المكان، وتجذره في روحه سوّغ له أن يرى كتابه أثمن هدية يقدمها إلى زوجته، أما الامتنان والعرفان فأقرب ما يمكن أن تتأوله الدراسة فيه؛ أن الزوجة آزرته في مشروعه وشجعته، وهيأت له البيئة المنزلية المناسبة لمثل هذا العمل.

وبهذا نجد تقاطعا بين المؤلفين في حميمية الإهداء وشعريته، وكذلك في تقديمه إلى أقرب الأقربين في أسرتيهما، أولئك الذين يريان لهم الفضل فيما أنجزاه، وهو تقاطع وارد ولا تثريب فيه على المؤلفين.

مقدمة الكتابين:

ذكر القرشي في مقدمته قصة تأليف الكتاب، فبعد أن كان بحثا ألقاه في أدبي الطائف، وكان يزمع تحكيمه ونشره؛ فتحت له تعقيبات المثقفين على المحاضرة التي ألقاها في نادي الطائف الأدبي آفاق إلحاقه بأبحاث أخرى، فألقى بحثا في أمسية أخرى بالمكتبة العامة بالطائف عن (شخصية الطائف في الشعر)، وذكر أن متابعة الأستاذ حماد السالمي[١] وعنايته وتحريضه على استكمالها في كتاب منشور، حفزت القرشي للعودة إلى بحثيه، وأمده الله بالعزم على استكمالها في كتابه (محل النظر)، فتحقق له نشره عبر (لجنة التنشيط السياحي)، ثم ذكر في مقدمته ترتيب فصول الكتاب، وختمها بشكره للمتعاونين معه وللطائف ومحافظها، وجعل خاتمة كتابه قصيدة أسماها (الخاتمة) موجهة . أيضا . إلى الطائف.

أما الأستاذ قليل الثبيتي فلم يضع مقدمة لكتابه، بل ابتدأ بـ (التمهيد)، وذكر فيه لمحة مقتضبة عن تاريخ الطائف، ثم انتقل واصفا مصدره الشعري معجم (الشوق الطائف حول قُطر الطائف) للأستاذ حماد السالمي، وبرّر أنه وجد فيه مادة ثمينة يجدر استثمارها، وركّز الثبيتي بوصلته على الشعر فقط، ولم يلتفت إلى النثر مطلقا، معللا بأن الشعر "أصدق من يحكي تفاصيل الطائف"[٢]، وتطرق لاعتماده على القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة، وقليل جدا من قصيدة النثر، ثم أخيرا يفصح أن مراده من الكتاب: "أن يكتسي ببعد آخر لدى القارئ/ المتلقي، ألا وهو البعد التفاعلي..." ويذكر أنه من أجل ذلك "كتبتُ (الأبعاد) بلغة بيضاء تنأى عن التعقيد اللفظي والتقعر اللغوي، وتبتعد عن المصطلحات النقدية والفكرية... لأني أستهدف في عملي هذا القارئ العادي... وليس المتلقي النخبوي الذي نستهدفه في أبحاث متخصصة في الدراسات النقدية المعمقة".[٣]

---

[١] ـ كاتب وباحث وصحفي، ولد بالطائف ١٣٧٤هـ، حاصل على دبلوم العلوم الاجتماعية من الكلية المتوسطة بمكة المكرمة، ثم دبلوم الدراسات الإسلامية من ذات الكية، عمل معلما إلى أن تقاعد، وتدرج في المجال الصحافي حتى رأس مكتب صحيفة الجزيرة بالطائف، وتدرج في مجلس إدارة نادي الطائف الأدبي حتى شغل منصب رئيس النادي، افتتح منتدى ثقافيا في قرية بني سالم بالطائف، صدرت له العديد من المؤلفات، منها: (الأمثال السائرة في ثقيف/ السعوديون في الرسالة، كتاب غدار يا جار/ فصول زمكانية/ أشعار المحبين إلى يوسف عز الدين/ معجم الشوق الطائف حول قطر الطائف/ المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف/ ديوان عكاظ/ الورد والطائف/ الفتنة كانت نائمة وغيرها من المؤلفات) (قاموس الأدباء في السعودية ٢: ٧١٥).

[٢] ـ أبعاد الطائف الشعرية ص ١٢.

[٣] ـ المرجع نفسه ص ١٨.

وأغلق كتابه بخاتمة مقتضبة، رأى فيها أن الشعراء لم يصلوا بالطائف إلى مضمار الدهشة الفنية، وقد انشغلوا بقراءة الحقيقة وأبحروا بين أمواج المألوف والمعروف، في إعادة لكتابة المكتوب ورسم المرسوم، في حين كان يجدر أن تبحر بهم الطائف في عوالم اللامحسوس واللامحدود، ليصلوا إلى مدينة شعرية تقف على مسافة لا منتهية من واقعها حسب رأيه.

ثانيا: الكتابان من الداخل (قراءة المتن):

النظر في متن الكتابين يقتضي تعقب محتوى الكتاب السابق ومقارنته بالكتاب اللاحق، وهي النقطة المهمة والعميقة، وهذا النظر لا ينفصل عما تقدم من وصف مفصّل للكتابين من الخارج، وسيكون النظر في عدد من نقاط التقاطع والتفرد بين الكتابين، من حيث وجهة التأليف والمباحث، ومصادر المادة الشعرية، وإحصاء الشواهد الشعرية، وعدد الشواهد المشتركة بين المؤلفين، ثم بعد ذلك تتجه الدراسة إلى النظر في طريقة كل مؤلف في تناول وتحليل الشواهد الشعرية المشتركة.

١ . وجهة التأليف:

اتجه المؤلفان إلى البحث في المدونة الأدبية لاستجلاء صورة الطائف الشعرية فيها، فكانت الطائف هي التقاطع الرئيس بين المؤلفين ونتاج جهدهما التأليفي، وكلا المؤلفين ينتميان إلى الطائف ولادة وإقامة، وعطفًا على ذكر المكان يحضر الزمان، فالمؤلفان معاصران، يعرفان بعضهما، ومن المفارقات اللطيفة . غير المقصودة . أن الفارق الزمني بين إصدار كتابيهما ١٦عاما، وهو ذات الفارق العمري بينهما، فكما ورد في التعريف بهما، فالقرشي من مواليد ١٣٧١هـ . ١٩٥٢، والثبيتي من مواليد ١٣٨٧هـ . ١٩٦٨م.

٢ . محتوى الكتابين:

يضم كتاب (الشخصية) خمسة مباحث، تعقُب كل مبحثٍ هوامشه، ثم يبتدئ المبحث التالي، أما متن الكتاب فيبدأ من صفحة ١٣ حتى صفحة ٢٠٢ على النحو الآتي:

- تأثيث الطائف في فضاء الشعر. الصفحات (١٣ . ٢٢).
- الطائف والذاكرة الشعرية. الصفحات (٢٣ . ٥١).
- عوالم شخصية الطائف الشعرية وتمازجها. الصفحات (٥٢ . ٩٨).
- تشكيل شخصية الطائف الشعرية في النص المفتوح. الصفحات (٩٩ . ١٦٨).
- من رموز الطائف الشعرية. الصفحات (١٦٩ . ٢٠٢).

أما الثبيتي فقد بدأ كتابه بالتمهيد، وجاء متن كتابه مكونا من خمسة فصول، سمّى كل فصل (بُعدا)، ورتّبها على النحو الآتي:

- البعد الجمالي: وخصصه للصورة الفنية وما يتصل بها. الصفحات (٢١ . ٧٠).
- البعد التكويني: الأمكنة / الطبيعة / المرأة كائن شعري. الصفحات (٧١ . ١٢٠).

- البعد الوجداني: العشق / الشوق / الذكرى. الصفحات (١٢١ . ١٤٦).
- البعد التاريخي : معالم / أحداث / شخصيات / آثار. الصفحات (١٤٧ . ١٩٦).
- البعد الاحتفائي. الصفحات (١٩٧ . ٢٠٩).

٣ . مصادر الكتابين:

اتجه المؤلفان إلى المدونة الأدبية، وكما ذكرت الدراسة سابقا فقد اعتمد عليها القرشي (شعرا ونثرا)، أما الثبيتي فاقتصر على الشعر كما ذكر في تمهيده، وإن كان اعتبر حضور قصيدة النثر خجولا، فقد عدّها في باب الشعر، ولم يفصح عن موقف منها خلاف ذلك، والمهم في أمر المصادر أن المؤلِفَين قد وردا بنسبة كبيرة على معجم (الشوق الطائف حول قطر الطائف) [١] لمؤلفه حماد السالمي، وهذا الكتاب معجم موسوعي يقع في ثلاثة مجلدات جمع فيه مؤلفه الكثير مما حوته المدونة الشعرية عن (الطائف) قديما وحديثا، حتى تاريخ إصداره. وقد توافق المؤلفان على الإشادة بالمادة الثمينة التي حواها المعجم، وأفصحا عن اعتمادهما الكبير عليه، لذلك تظهر كثرة الإحالات عليه في هوامش الكتابين، وإن كان المؤلفان قد ذكرا مصادر أخرى غيره، إلا أن السواد الأعظم للشواهد المذكورة في الكتابين محالة إليه.

مصادر كتاب (الشخصية):

غلب اعتماد القرشي على كتاب (الشوق الطائف حول قطر الطائف) المذكور آنفا على المصادر الشعرية والنثرية الأخرى، ويظهر ذلك بجلاء في هوامش كل مبحث كما مر بنا، واعتمد على مصادر أخرى من الدواوين الشعرية والروايات والمجموعات القصصية.

مصادر كتاب (الأبعاد):

اعتمد الثبيتي على كتاب (الشوق الطائف حول قطر الطائف) مصدرا رئيسا للشواهد الشعرية لم يخرج عنه إلى غيره إلا في حالات نادرة تتضح في الهوامش لبعض المجلات مثل (مجلة وج) ومعجم البلدان للحموي، ولم يضع ثبتا لمصادره ومراجعه في نهاية الكتاب أو المباحث، بل اكتفى بالحواشي السفلية.

٤ . إحصاءات متعلقة بالمتن:

تقصد الإحصاءات إلى تعداد الشواهد الشعرية فقط، وتعتمد في ذلك على اعتبارين، **الأول:** أسبقية تأليف كتاب (الشخصية) إذ تحصي الدراسة شواهده، وتأخذ الشاهد الأساسي منه مثبتا برقم الصفحة، ثم بعد ذلك البحث عن ورود الشاهد في كتاب (الأبعاد)، برقم الصفحة، وبيان حال ورود الشاهد المشترك من حيث وروده مطابقا للأصل أم منقوصا أم مزيدا، أما الاعتبار **الثاني:** فستقتصر الدراسة على الشواهد الشعرية من كتاب (الشخصية)؛ لأن كتاب (الأبعاد) اكتفى بها ولم يتعدَّها إلى الشواهد النثرية، ولا حاجة لإحصائها. وبعد إحصاء الشواهد، سيكون النظر في طريقة كل مؤلف في تحليل الشواهد المشتركة فقط.

إحصاء الشواهد الشعرية:

بإحصاء الشواهد الشعرية فقط التي ذكرها القرشي في كتابه (الشخصية) باعتباره الأصل، جاءت الإحصائية على النحو الآتي:

---

[١] ـ أصدرته لجنة المطبوعات في هيئة التنشيط السياحي بمحافظة الطائف، وطبعته دار الشريف للطباعة والنشر، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

- مجموع الشواهد الشعرية في كتاب الشخصية: ١١٨ شاهدا.
- عدد الشواهد المشتركة بين الكتابين: ٢٣ شاهدا وردت في كتاب الأبعاد، بالتفصيل الآتي:
  - عدد الشواهد المتطابقة مع الأصل: ٣ شواهد.
  - عدد الشواهد المنقوصة عن الأصل: ١٤ شاهدا.
  - عدد الشواهد المزيدة عن الأصل: ٦ شواهد.

النسبة المئوية: هي حاصل مجموع الشواهد المشتركة (٢٣) مقسوما على المجموع الكلي للشواهد في الأصل (كتاب الشخصية) وعددها (١١٨) مضروبا في ١٠٠ = **النسبة المئوية (١٩,٤%).**

تفاصيل الشواهد المشتركة بين الكتابين:

م	الشاهد في كتاب شخصية الطائف	الصفحة	صفحة الأبعاد	حالة الشاهد
١	تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف	٢٥/ ٥٩	ص ١٢	مطابق
٢	زين المصايف يبقى البشر يأتلق	٣٠	ص٤٥	منقوص ٢
٣	طاف طيف طائفي وتثنى	٣٢	ص١١٤	منقوص ٢
٤	طب العليل وبهجة المصطاف	٣٣	١ ص ٥٤	منقوص٥
٥	ألا حبذا أيامنا حول قروة	٣٦	٤ ص ٩٢	منقوص٥
٦	بلد طيب وشعب أصيل	٣٨	٢ ص ٤٤	منقوص٢
٧	طاف بي موسم للهوى (تفعيلة)	٤١ /١٠٩	ص٢٧	منقوص ٨ أسطر
٨	يا عروس الجبال حسبي بسفحيك	٤٢/ ٧٨	ص ٣٥	المطلع فقط
٩	يا طير هيجت آلامي وأشجاني	٤٧	١٣٧	مزيد ببيت ١
١٠	كم على وج من تباريح شوق	٤٩	١ ص ١٣٠	منقوص ٣
١١	منعنا أرضنا من كل حي	٦٣	٢ ص ١٠	مطابق
١٢	هذي الطبيعة واصلت وتبرجت	٦٥	١ ص ١٠٤	منقوص١
١٣	يا طائفي أنت الهوى بفؤادي	٧٢	١ ص ١٢٧	مزيد١
١٤	وهذه حلة خضراء ألبسها	٧٢	٤ ص ٧٤	مزيد ٣
١٥	خلفت قلبي في (رحاب)	٧٣	٤ ص٨٩	منقوص١ ومختلف٢
١٦	أيها الطائف الحبيب لروحي	٧٤	٣ ص ٢٩	مزيد ٢
١٧	الحسن في الطائف ألوانه	٧٥	٤٦/١ و١٠٩/٣	منقوص ٢
١٨	إن وجا وسامح الله وجا	٨٦	٤ ص ٨٥	مزيد١
١٩	ومن ينفخ الروح في جورية (تفعيلة)	١٣٢	٣ سطور ٦٠	منقوص ٨ سطور
٢٠	أيا غديرا له في النفس منزلة	١٧٦	٧ ص ٨٣	مزيد ٢
٢١	ألف عام خلت وبعض القرون	١٨٣	٣ ص ١٥٨	منقوص١
٢٢	بين جنبي طائر خفاق	١٨٥	٢ ص ٤٨	منقوص١
٢٣	كأن مصابيح (الهدا)ضوء نورها	١٨٩	٢ ص ٦٢	منقوص١ واختلاف في القافية والمصدر

طريقتا المؤلفين في تحليل الشواهد:

ذكر القرشي في مقدمة كتاب (الشخصية) ما يهدي إلى معرفة طريقته في التأليف، والنظر إلى الشواهد الشعرية، إذ قال أنه بعد إلقائه البحث في محاضرة النادي الأدبي بالطائف: "عقدتُ العزم على أن أفيد من آراء المستمعين لأجعل ذلك نموا بذلك البحث، لأنشره في مجلة محكمة بعد إكماله وتنسيقه وفقا لمقتضيات التحكيم العلمي..."، ثم شَكَر في ختام تقديمه مركز البحوث العلمية بكلية المعلمين بالطائف على ما قدّم له من "إمكانات وتسهيل اتصالات بعدد من مراكز البحوث والإنترنت"[١] وكذلك شَكَر زملاءه في الكلية الذين قرؤوا مسوّدات العمل وراجعوها. أضف إلى ذلك كله ملامح الكتاب المؤلَّف من خمسة بحوث بصيغتها الأكاديمية المعروفة، إذ تعقب كل بحث هوامشه، وعلى هذا فإن البحوث العلمية تعتمد نظرة أكاديمية مختلفة عن التأليف الحر، المنفك من القيد الأكاديمي.

أما كتاب (الأبعاد) فقد ذكر الثبيتي في تمهيده لكتابه أنه كتبه "بلغة بيضاء تنأى عن التعقيد اللفظي والتقعر اللغوي، وتبتعد عن المصطلحات النقدية والفكرية... لأني أستهدف في عملي هذا القارئ العادي... وليس المتلقي النخبوي الذي نستهدفه في أبحاث متخصصة في الدراسات النقدية المعمقة"[٢]، وما قاله يتطابق مع ما أشارت إليه الدراسة سابقا، فالكتاب لم يلتزم بالشروط الأكاديمية، إذ لم يحوِ مقدمة ولا قائمة ثبت المصادر والمراجع في نهايته، بل اكتفى بالهوامش السفلية.

ولكي نكون في تصوّر قريب لطريقتي المؤلفَين في النظر والتحليل، ستتمثل الدراسة بتحليلهما لشاهد واحد من شواهدهما المشتركة (حرفيا)، وقد اختارت الدراسة أن يكون من الشواهد المتطابقة بين المؤلفين، وأن يكون من الشواهد الطويلة، وسيكون ذلك باعتماد النقل الحرفي من الكتابين، حتى بعلامات الترقيم كما استخدمها كل مؤلف، ولن يتدخل الباحث إلا بتصحيح الأخطاء . إن وجدت . ووضع الشكل الإعرابي للأبيات الشعرية، ثم ستلقي الدراسة النظر الكافي على بعض الشواهد المشتركة الأخرى دون النقل الحرفي إلا إذا استدعى المقام ذلك، من أجل استجلاء طريقة المؤلفين والموازنة بينهما:

أولا: تحليل القرشي، فقد تحدث في فصل (من رموز الطائف الشعرية) عن غدير البنات، على النحو الآتي [٣]:

وها هو مطلق بن حريب يقف على الغدير، وكأنه ذلك الطلل الجاهلي الذي وقف عليه الشعراء، ليستنبت أشواقا خبت، وعواطف كمنت، فيهيجها في الذكرى والحنين:

---

[١] ـ الشخصية ص ٩ ـ ١١ .

[٢] ـ الأبعاد ص ١٨.

[٣] ـ الشخصية، ١٧٦.

أيـا غـديرًا لـهُ فـي الـنفسِ منزلـةً مـازالَ فـي القلـبِ ذِكـرى منـكَ يُبقِيهـا
فهـل تُـرى يـا غـديرَ الأمـسِ تـذكُرُني إذ جئتُـكَ اليـومَ قـد شـابتْ نواصِـيها

أيـا غـديرًا لـهُ فـي الـنفسِ منزلـةً مـازالَ فـي القلـبِ ذِكـرى منـكَ يُبقِيهـا
فهـل تُـرى يـا غـديرَ الأمـسِ تـذكُرُني إذ جئتُـكَ اليـومَ قـد شـابتْ نواصِـيها

ليكون الغدير هو رمز الفتوة والشباب، هو الزمن الذي يذكّر الشاعر بأفراس الصِبا قبل أن تعرى من رواحلها ... فتأتي تساؤلات الشاعر عن كل مباهج الحياة، وتقبله لتقبل ذلك الاندماج والانفعال به، والتفاعل معه فيقول:

أيـنَ الصِـحابُ ومَـن كُنـا نُعاشـرُهُم أهـلُ المـروءاتِ فـي أسـمى معانِيهـا
أيـنَ الطيـورُ التـي كُنـا نُطارِدُهـا كـذا خريـرُ ميـاهٍ كنـتَ تُجرِيهـا
أيـنَ الـروائحُ مِـن شِـيحٍ ومِـن زَهَـرٍ هـل لايـزالُ عَبِيقًـا بالشَّـذى فيهـا

ليأتي بعد ذلك بالقول الحاسم:

إنّـي أزورُكَ عـلَّ الطلـحَ يـذكُرُني وحسـبُ نفسـيَ إخلاصًـا لوادِيهـا

فكأن الشاعر يشير إلى أن ذلك المكان، لم يبق فيه إلا الطلح، ذلك الشجر الصبور على عنت الصحراء.. فكأن الطلح هو تلك الدمنة الباقية في مكان الشاعر الجاهلي، يناجيه، يخاطبه، يستنهضه للذكرى... ويعقّب على ذلك بالإخلاص للوادي، الذي ذبل وتلاشت نزهته مع تغير الأحوال ... ليكون من ذلك حنينه إلى تلك الأيام:

إنّـي أحـنُّ إلـى أيـامٍ بهجتِنـا ليـتَ الليـالي تُعيـدُ اليـومَ ماضِـيَها

ثانيا: ذات الشاهد متطابقا في كتاب (الأبعاد) ذكره الثبيتي في فصل (البعد التكويني) عند حديثه عن المكان، فيقول [1]:

ومن الأمكنة التي تناولها شعراء ديوان الطائف (غدير البنات) إذ يقول الشاعر مطلق بن حريب مخاطبا الغدير:

أيـا غـديرًا لـهُ فـي الـنفسِ منزلـةً مـازالَ فـي القلـبِ ذِكـرى منـكَ يُبقِيهـا
فهـل تُـرى يـا غـديرَ الأمـسِ تـذكُرُني إذ جئتُـكَ اليـومَ قـد شـابتْ نواصِـيها

إن الشاعر هنا يتجاوز القيمة المكانية للغدير، ويذهب إلى مخاطبته، ومحاورته باعتبار أن الغدير كائن شعري يمكن أن يجيب عن تساؤلات الشاعر، ويدرك حجم العلاقة بينهما. ليس هذا فسحب، بل أن الغدير يملك الذاكرة التي تجعله يحتفظ بمن مروا عليه، لذا فالشاعر يتساءل هنا هل مازال الغدير يذكره، أم أن كثرة الزائرين، وقِدم العهد تسببا في إسقاطه من ذاكرة الغدير؟ ثم يستمر الشاعر في طرح أسئلته على الغدير قائلا:

أيـنَ الصِـحابُ ومَـن كُنـا نُعاشـرُهُم أهـلُ المـروءاتِ فـي أسـمى معانِيهـا
أيـنَ الطيـورُ التـي كُنـا نُطارِدُهـا كـذا خريـرُ ميـاهٍ كنـتَ تُجرِيهـا
أيـنَ الـروائحُ مِـن شِـيحٍ ومِـن زَهَـرٍ هـل لايـزالُ عَبِيقًـا بالشَّـذى فيهـا

لعل السؤال هنا يختزل علاقة الشاعر بالغدير، حيث هيأ الغدير للشاعر أن يلتقي بأصحابه وأن يقضي معهم أجمل الأوقات، وذلك في مكان غني بعناصر الطبيعة الغنّاء بين تغريد الطير وخرير الماء، ورائحة الشيح، وعبق الزهر. وهذه العلاقة المميزة بين الشاعر والغدير تأتي مسوغا لزيارة الشاعر لهذا المكان وهو محمّل بالإخلاص له وبالشوق لأيام مضت فيه:

إنّـي أزورُكَ عـلَّ الطلـحَ يـذكُرُني وحسـبُ نفسـيَ إخلاصًـا لوادِيهـا
إنّـي أحـنُّ إلـى أيـامٍ بهجتِنـا ليـتَ الليـالي تُعيـدُ اليـومَ ماضِـيَها

لا يخفى البون الشاسع بين المؤلفَين في تناولهما التحليلي لهذا الشاهد (المتطابق)، فإن تطابقا في عدد أبياته، وتقاربا في توزيعها على التحليل، إلا أن

---

[1] ـ الأبعاد، ص ٨٤.

زاوية النظر لدى كل مؤلف تختلف عن الآخر، فقد اعتبر القرشي الغدير مماثلا للطلل عند الشاعر الجاهلي، وعدّه رمزا للفتوة والشباب، ويحاول وشج موقف ابن حريب بالشاعر الجاهلي القديم، فحتى شجر الطلح عدّه مماثلا للدمنة في الطلل، وتطغى اللغة الشعرية على تعابير القرشي. أما الثبيتي فاعتبر الغدير كائنا شعريا، شخّصه الشاعر وناجاه، وركّز على ثنائية (التذكر/ والنسيان)، وعلاقة الشاعر بالغدير وذكرياته، وأكمل شرح الشاهد بلغة بسيطة، كبساطة اللغة الشعرية في الأبيات، ولم يتطرق إلى شؤون (الطلل) عميقة التناول في الدرس النقدي العربي.

ومن الشواهد المتطابقة أيضا قول الشاعر:

تشـــتو بمكـــة نعمـــةً ومصـــــــيفها بالطـــــــائف

فهذا البيت من الشعر القديم استشهد به القرشي[١] على أن الطائف بما هيأه الله لها من اعتدال المناخ والخصوبة والكساء الأخضر أصبحت ملاذا من زحام المدن وضجر الصيف، فمحبوبة الشاعر تتنقل بين مكة والطائف شتاء وصيفا، دلالة على تنعمها ودلالها.

وذات الشاهد يورده الثبيتي[٢] في ذات موضوع الاستشهاد على قِدم اعتبار الطائف مصيفا، لكنه على خلاف القرشي الذي ذكر الشاهد غُفلا في هذا الموضع، بل يذكر الصلة بين الطائف ومكة على اعتبارها (بستان مكة)، ويذكر اسم الشاعر محمد بن عبدالله النمري، ومحبوبته زينب بنت يوسف الثقفي (أخت الحجاج)، فإن تطابق الشاهد وموضوع الاستشهاد إلا أن طريقة التناول ليست متطابقة.

لكن القرشي يعود ويذكر ذات الشاهد[٣] تحت عنوان (مذاق المكان المختلف) منسوبا إلى شاعره، يؤكد فيه على اقتران الطائف بمكة، وحاجة مكة إلى ذلك الاقتران، ويزيد على البيت السابق بذكر بيت آخر من القصيدة:

أحبـــب بتلـــك مواقفـــا وبزينـــــب مـــــن واقـــــف

ويتعمق في التحليل بلغة نقدية رصينة ترى تجلي اقتران مكة والطائف في شخصية زينب المنتمية إلى القريتين.

وفي سياق التطابق قول أبي طالب بن عبدالمطلب:

منعنـا أرضنـا مـن كـل حـي كمـا امتنعـت بطائفهـا ثقيـفُ
أتـاهم معشـرٌ كـي يسـلبوهم فحالـت دون ذلكـمُ السـيوفُ

فقد أورد القرشي هذا الشاهد[٤] في معرض حديثه عن اقتران مكة بالطائف . آنف الذكر . وذكر أن التنافس على الطائف كان شديدا، ولم تستطع ثقيف امتلاك الطائف إلا بأن تهب بني عامر نصف الثمر، حتى استطاعت ثقيف أن تبني سورا حولها يحميها من مفاجآت الغزاة، فتآزر الإنسان والحجر في حماية الطائف من الطامعين.

أما الثبيتي فقد أورد هذا الشاهد[٥] في بدايات تمهيده لتاريخ الطائف، فذكر القبائل القديمة في الطائف ثم أورد قصة بناء سورها كما ذكرها معجم البلدان

---

(١) ـ الشخصية : ٢٥
(٢) ـ الأبعاد : ١٢
(٣) ـ الشخصية : ٥٩
(٤) ـ الشخصية: ٦١
(٥) ـ الأبعاد: ١٠

للحموي، وأنهم حين فرغوا من بناء السور سمّوه الطائف، فأصبحوا مضربا للمثل، وكأنه يعلل تسمية الطائف باسمها.

ويتجلى للناظر أن التطابق ليس واردا في استخدام هذا الشاهد، لا في الموضع ولا في التناول، فالقرشي له وجهته التي سوّغت استدعاء الشاهد، والثبيتي كذلك.

وبعد النظر في الشواهد المتطابقة، ستلقي الدراسة النظر على بعض الشواهد المشتركة الأخرى غير المتطابقة، وهي التي تكون منقوصة أو مزيدة عند المؤلفين، وستتناولها الدراسة بالترتيب الموضح في جدول الإحصاء، وأولها قول الشاعر:

زين المصائف يبقى البشر يأتلق ... يظل يبسم في أحداقك الألق

تظل لي منك أهزاج أرددها ... سواجع الطير حتى ينتشي الورق

أظل أنسج من رمشيك عرائس الشعر في لألائها نسق

أظل أنشد من ماضيّ فيك رؤى ... حبيبة بشغاف القلب تلتصق

إذ كل فكر شريف أنت معدنه ... وكل لفظ لطيف منك يسترق

فالقرشي ذكر هذا الشاهد مع شواهد أخرى تحت عنوان (التقاء فضاء الطائف بفضاء الشعر)، ولم يزد فيها على تقديمه لها: "أما عياد الثبيتي فإنه يجعل نسج الشعر خطابا لمعشوقته الطائف، التي جرد من صورتها تلك الأجزاء الفاتنة والمكونة لشعره"[١] ثم ذكر الأبيات الخمسة، وانتقل إلى شاعر آخر.

وحين تناول الثبيتي ذات الشاهد[٢] تناوله منقوصا تحت عنوان (مصادر الصورة . المصدر الإنساني)، فساق شواهدا ثم استشهد بالبيتين الثالث والرابع فقط، مقدما لهما بقوله: "وكذلك يضفي الشاعر عياد الثبيتي على الطائف شيئا من عذوبة المرأة المحبوبة في نص له بعنوان (حورية أنت)" ويضيف الثبيتي بيتا مختلفا من القصيدة لم يذكره القرشي:

حوريةٌ أنت في الصحراء عاشقها ... بكل ما همس العشّاق يحترقُ

ويتخذ هذا البيت مثالا على ذروة تعلق الشاعر بمحبوبته الطائف.

وفي شاهد آخر من الشواهد المشتركة يقول الشاعر عبدالله الفيفي:

طاف طيفٌ طائفيّ فتثنّى ... مشرئب النهد عنّى وتعنّى

عنبيّ الثغر لما زارني ... أيقظ الصحراء في الصبّ فغنّى

نشر الريش سلاما فابتدا ... الفباء العشق سطرا فكتبنا

خوط بانٍ ساجي الطرف على ... غصنه حطت طيور الخوخ مثنى

ثقفيّ القدّ عرجيّ اللُّغى ... يتغنّى كم فتىً فينا أضعنا

وأماط الخز عن حر النقا ... فتداعى الوجد هتنا جاد هتنا

يستدعي القرشي هذا الشاهد[٣] تحت عنوانه (التقاء فضاء الطائف بفضاء الشعر) ويعالجه بقوله: أن الشاعر مزج بين مكونات صورة الطيف المكون من ذاكرة الطائف، حاملا لصورة الطير والإنسان وثمار الطائف في تكوين يهش له مكونه / الشاعر، فيدهشنا بتلك التعبيرات التي تنقلنا بين المكوّن والمتكوّن في لحظات الغناء والوجد والتحسر..." ثم بقول الشاعر (يتغنى كم فتى فينا أضعنا)، وذكره للعرجي في البيت الخامس، يستحضر قول العرجي:

أضاعوني وأيّ فتىً أضاعوا ... ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

ويستكمل تحليله لأبيات الفيفي التي حملت ذاكرة المكان وذاكرة الإنسان.

---

(١) ـ الشخصية : ٣٠

(٢) ـ الأبعاد: ٤٥

(٣) ـ الشخصية: ٣٢

أما الثبيتي فيستدعي أربعة أبيات فقط من هذا الشاهد[١]، ويستغني عن البيتين الأول والسادس، تحت عنوان (المرأة كائن شعري) مقدما لها بقوله: "أما الشاعر عبدالله الفيفي فلا يشكلها . أي المرأة . من ألوان الطبيعة، ومذاقات الفاكهة فحسب بل يستخلصها من كل جميل في الطائف حتى من السمات البشرية" ويستمر في التعليق بعد الأبيات الأربعة، ولا يعدو تعليقه توسعا فيما ذكره في تعليقه الأول، بأن المحبوبة هنا خليط من (طبيعة الطائف وإنسانه)، ولم يلتفت إلى بيت العرجي.

وكذلك بالنظر في الشاهد المشترك التالي للشاعر حسن عبدالله القرشي:

طـب العليـل وبهجـة المصـطاف ... ومنـى الربيـع ونهـزة الوصـاف

وادٍ أغـنّ سـرى النسـيم بأرضـه ... مترقرقـا بنـدى النميـر الصـافي

تشـدو العنـادل فيـه ألحـان الهـوى ... فتثيـر فـي شـجن المشـوق الغـافي

وتفـيض فـي نغماتهـا خطراتـه ... فتشـع بالبسـمات والألطـاف

يـا موطنـا سـكرت غصـون جنانـه ... فيـك الحيـاة تمـرّ كالأطيـاف

الـنفس ترقـب مـن هـداياك المنـى ... مـا بـين نـورٍ عـاطرٍ وقطـاف

استدعى القرشي هذه الأبيات[٢] . أيضا . كسابقاتها تحت عنوانه (التقاء فضاء الطائف في فضاء الشعر) وقدم لها باعتبارها فضاء ذاكرة الطائف، ويرى أن الشاعر شكل صورة تهتصر الإشارات وتناوش أعماقها لتجمع لنا الطائف في ذاكرة تجمع بين غاية الإنسان وحركة المكان وسحر الربيع ووجد الطائر وأشواقه.

وحول ذات الشاهد يتوقف الثبيتي[٣] تحت عنوان (مصادر الصورة . المصدر المعنوي) ولا يأخذ من الشاهد سوى البيت الأول فقط، ويذكره سردا عجولا مع شواهد أخرى، ثم يعلق بعدها بقوله: " فأغلب الشعراء يشبهون الطائف بالحياة، أو بالبهجة، والفرح، أو بشفاء النفس، وهذه الصور الفنية ذات مصدر معنوي توحي بما لهذه المدينة من وقع في النفس، وأثر في الوجدان".

وبالتوقف أمام هذا الشاهد الطويل المشترك للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي:

ألا حبـذا أيامنـا حـول قـروة ... إذ الناس في حظ من البشر دائب

وتهفـو بنـا النسـمات حـين هبوبهـا ... إلـى فـرص اللـذات تحـت الكواكـب

بـ "وج" وفـي وادي "العقيـق" ودونـه ... وفـي "ليّـة" أو بـين "قـرن" النجائـب

وفي "الوهط" المخضر أو في "وهيطه" ... وفوق "الشفا" أو في أديم السحائب

على "الفرع" إذ يبدو المسمى كاسمه ... على القـنن الشـماء أمعـن ذاهـب

ولا أنسـى بـ "المثنـاة لـيلات أنسـنا ... وبين "الهدا" أو في جوار "الكباكب"

ولا "الجـال" إذ نجلـو كـؤوس صـفائه ... كـأن بهـا مـا بالثنايـا العـواذب

ولا فـي "شـهار" و "المليسـاء" ضـحوة ... لهونـا بهـا عـن طارقـات النوائـب

فقد أورده القرشي في تسعة أبيات[٤]، وجاء تحت عنوان (ذاكرة استحضار الإشارات) وقد استدعى القرشي النص لأن الشاعر حشد عددا كبيرا من أسماء الأماكن من الطائف فيه، وعلى حد تعبير القرشي لم يقف الشاعر ليتأمل تلك الأسماء والأماكن، بل انساق نحو إشارات الذاكرة متلهفا على متابعة تلك الأسماء التي تستدعيها الذاكرة.

---

[١] ـ الأبعاد: ١١٤
[٢] ـ الشخصية: ٣٣
[٣] ـ الأبعاد: ٥٤
[٤] ـ الشخصية: ٣٦

وقد استشهد الثبيتي بأربعة أبيات منه فقط (الثالث والرابع والخامس والسابع) [١]، وجاء استشهاده تحت عنوان (الأمكنة) لذات القضية أيضا التي استشهد به القرشي من أجلها، فرأى الثبيتي أن هذه الأبيات وأمثالها لا تمنح المكان قيمته الشعرية، ولا تهيء له القدرة على البوح بما يتسم به من مظاهر الحسن والجمال، أو القيم الفعلية، فهي مجرد إشارات سريعة. ولعل هذا أول الشواهد المشتركة التي يجمعها الموضوع نفسه (حَشَد الأسماء للإشارة فقط دون تأمل)، ولا يفرق بين المؤلفين فيها إلا عدد الأبيات المستدعاة، ولغة التحليل.

أما الشاهد المشترك للشاعر محمد منذر لطفي:

بلـــدٌ طيّـــبٌ وشـــعبٌ أصـــيلٌ شـــجر ضـــاحك .. ودنيـــا بتـــولٌ
قمـــر عاشـــق.. ونجـــم لعـــوب أنـــا بالبـــدر والنجـــوم قتيـــلٌ
تلـــك يـــا صـــاح "طـــائف" الســـحر والشـــعر، تلفّـــتْ فكـــل حســـن دليـــلٌ
ريشـــةٌ تبـــدع الرســـوم العـــذارى ألـــقٌ غـــامرٌ وظـــلٌ ظليـــلٌ

فإن القرشي[٢] يتناوله كما تناول أبيات الشاهد السابق، فإن كانت أبيات الغزاوي تعدادا لأسماء الأمكنة فهذه لا تعدو تعدادا لألوان الجمال والبهجة وأسماء الثمرات والأزهار، وهي جميعا تدور في فلك الصورة الذهنية الشهيرة عن الطائف بجمالها وبهجتها، وقد أعمل القرشي مشرطه النقدي في هذه الأبيات فأوجع.

أما الثبيتي فقد استشهد بالبيتين الأول والثاني فقط[٣]، في موضوع مغاير عن سابقه، تحت عنوان (مصادر الصورة . المصدر الإنساني) ورأى أن الشاعر اتخذ المرأة مصدرا لرسم صورة الطائف في شعره، وكان تعليقه عليها مقتضبا، ولم يذهب في نقدها مذهب القرشي.

وتحت عنوان (ذاكرة تعانق أشواق الذات وأشواق المكان) استدعى القرشي قول الشاعر عبدالله الخشرمي [٤]:

طافي بي موسم للهوى طائف للقلوب
ارتمي ظله في حنايا ابتهاجي
سألت دم الورد عن سره
وسألت الينابيع عن نزفها الأزلي
وحين استوت في دمي وردة للجمال تورد شوقي
وهبت على الشفتين غناء يعبق هذا الشموخ
سألت التواريخ عن اسمه وهويته
جاءني محفل العطر يومض تيجانه
إنه الطائف الوعد والرغد ...
يا طائفا مر من نبض قلبي إلى نبعه
فاستوى ألف ذكرى وذكرى
ومر على قصص العاشقين فأشعلها

فرأى القرشي أن حركة النص إلى الطائف جاءت من خلال الطيف الطائف، الذي حل بالذات، فالرحلة في النص ليست إلى مكان قار، وإنما إلى مكان يسكن فضاء الذاكرة، فالطائف اسم يهيئ الشاعر لمعانقة الجمال، ويهيئ النص لحكاية التاريخ منسوجا بتصوير الشاعر.

ويستدعي القرشي هذا النص في باب آخر[٥] عنوانه (تشكيل شخصية الطائف الشعرية في فضاء النص المفتوح) يقصد بذلك نصوص شعر التفعيلة، ويضعه تحت عنوان جانبي (الطائف تطوف بعبدالله

(١) ـ الأبعاد: ٩٢
(٢) ـ الشخصية: ٣٨
(٣) ـ الأبعاد: ٤٤
(٤) ـ الشخصية: ٤١
(٥) ـ الشخصية: ١٠٩

الخشرمي) ويستمر في تحليل كامل النص المكون من ٤٠ سطرا.

والثبيتي كذلك يستدعي النص[١]، ويكتفي بتسعة أسطر منه تحت عنوان (موضوع الصورة الفنية) العنوان الجانبي (وصف المشاعر الإنسانية) ولم يستدع النص إلا لإثبات أن الطائف تحرك قرائح الشعراء وتسكن قلوبهم، وتنغرس في وجداناتهم، ثم تمثل بعشق الخشرمي للطائف في الشاهد السابق.

ثم يستدعي القرشي أبيات الشاعر جاسم الصحيّح [٢] في مبحث (الطائف والذاكرة الشعرية) تحت العنوان الجانبي (ذاكرة تعانق أشواق الذات وأشواق المكان):

يـا عـروس الجبـال حسـبي بسفحيـ ـك ربيعـا تعيشـه أطلالـي
يـورق العشـق فـي غصـون مجانيـ ـه فيغـري حقـائبي وسـلالي
وأعـرّي أمامـه شـهوة القطـ ـف بتـولا تعطّشـت لانحـلالِ
مشـهد للحيـاة فـي مسـرح الحسـ ـن تزيّـا إبداعـه بالكمـال
قبلـة الـورد فـي مـداه تـؤدي فـوق خـد الضـحى حقـوق الوصـال

فالقرشي يرى أن الطائف تصبح الفاتنة والمعشوقة، كما في أبيات الصحيح، وقد أسبغ الإنسانية على حركة الفعل الفطري في المشهد الذي صوره، وجعله مائرا بالأشواق والتوق، ويستدعي النص أيضا في مبحث (عوالم شخصية الطائف الشعرية وتمازجها) تحت الجانبي (الشعر يشكل شخصية الطائف الفاتنة المعشوقة)[٣].

ويستدعي الثبيتي هذا النص[٤] تحت عنوان (موضوع الصورة الفنية . وصف الطبيعة) ويشترك مع القرشي في مطلع النص فقط، ثم يختار أبياتا أخرى، كما يشتركان في الثناء على القصيدة، وإعجابهما بها، لكن الثبيتي كعادته يطلق حكمه الانطباعي "وهذه القصيدة تعد من عيون الشعر الذي قيل في الطائف"، ويعتبر القصيدة أجزاء تتكامل في صور فنية لوصف الطبيعة، يستمر تكاملها حتى تنتج الصورة الكلية للطائف، ثم يناقش قضية إدراك المتلقي للصورة الكلية وإعادة تشكيلها.

أما تحت العنوان الجانبي (تهييج ذاكرة الحزن) فقد استدعى القرشي ثلاثة أبيات للأمير الشاعر عبدالله الفيصل[٥]:

يـا طيـر هيجـت آلامـي وأشـجاني بمـا تغنيـه مـن ألحـان ولهـان
بـي مثـل مـا بـك مـن أحـزان مغتـربٍ فالكـل منـا وحيـد مـا لـه ثـانِ
بعثـت شـكواي ألحانـا مرتلـة وأنـت شـكواك ترجيـع لألحـاني

وتوقف القرشي أمام هذه الأبيات من باب (الذاكرة) وحمامة وادي وج، وتصور أن ذاكرة الشاعر اعتمدت على ذاكرة الحمامة التي تبكي شوقا إلى الطائف، فأحيت ذاكرته وحنينه، وجاء القرشي على ذكر حمامة (عروة بن حزام) فقارن بينها وبين حمامة الفيصل، لكنه لم يتوسع في استدعاء الأبيات الأخرى من قصيدة الأمير.

أما الثبيتي فقد توقف مطولا أمام هذا الشاهد[٦]، تحت العنوان الجانبي (لواعج الذكرى)، وزاد عليه أربعة أبيات أخرى، وحلل الأبيات بطريقة يحاول من خلالها الغوص في مكنونات النص، وقراءة الماوراء، وتقريب المعاني للمتلقي، لكن بلغة بسيطة تركز على تلمس العواطف، ثم أطلق حكمه الانطباعي: "ولعلي

---

[١] ـ الأبعاد: ٢٧
[٢] ـ الشخصية: ٤٢
[٣] ـ نفس المصدر: ٧٨
[٤] ـ الأبعاد: ٣٥
[٥] ـ الشخصية: ٤٧
[٦] ـ الأبعاد: ١٣٦

هنا أزعم بأن قصيدة الأمير (أين مني..؟) من أجمل وأرق النصوص التي تتفتق عن تذكّر الطائف...".

وتحت ذات العنوان السابق (تهييج ذاكرة الحزن) يستدعي القرشي أربعة أبيات[١] للشاعر عبدالرحمن العشماوي، مقدما لها بمقدمة بسيطة، وقد انصرف بذكر المكان (وادي وج) عن التعمق في تناول الأبيات وفق ما يوحي به العنوان، فالشاعر عنده نقل التباريح إلى وادي وج وجعل منها نشيدا:

كم على وجّ من تباريح شوقٍ رقصت في ظلالها الأيامُ
والعصافير شدوها شاعري والأزاهير عبقهن انسجامُ
إيه يا ساكني المصيف استقروا فلقد طاب في المصيف المقامُ
أرضكم سمحةٌ فهذي رباها مورقاتٌ وثغرها بسّامُ

أما الثبيتي فقد أنشأ بابا خاصا أسماه (البعد الوجداني) واستحضر البيت الأول فقط[٢] من هذا الشاهد، تحت العنوان الجانبي (تباريح الشوق) ربما استقاه من البيت الأول، وقدم للنص بأن الشوق يسكن العشماوي فعبر عنه بهذه القصيدة، وبعد ذكر البيت يثني على رسم الشاعر حين جعل لوعة الشوق وشدته غيمة تكسو (وادي وج)، ويمتدح صورة العشماوي بقوله "صورة في غاية الروعة".

وتحت عنوان (الشعر يشكل شخصية الطائف الفاتنة المعشوقة) يستشهد القرشي بقول الشاعر حسين سرحان [٣]:

هذي الطبيعة واصلت وتبرجت إن الحبيب ليستطاب وصاله
فانشق من زهرٍ أريج وشذا وقد يكون إلى الذبول مآله

فالقرشي يرى الطائف الساحرة الفاتنة، لها ما للمعشوقة من جمال ودلال وسحر على النحو الذي يجعلها قرينة الحبيب، أما الثبيتي فلا يستدعي إلا البيت الأول من الشاهد [٤]، في باب (البعد التكويني) تحت العنوان الجانبي (الطبيعة)، فيرى الطائف محبوبة للشاعر، ثم يستدعي صورا أخرى في تحليله بعد الشاهد، لكنه لم يذكر الأبيات التي حوَت تلك الصور.

وتحت العنوان الجانبي السابق للقرشي، يستدعي قول الشاعر الشريف محمد بن منصور [٥]:

يا طائفي أنت الهوى بفؤادي أنت الأثير لدي حتى مماتي

فيرى القرشي أن الشاعر يعدّ الطائف ملكا للذات، ويستدرك أن هذا الملك مسببٌ من العشق؛ لأن الشاعر عبّر بـ (أنت الهوى بفؤادي) وليدلل على التمازج بين الشاعر والأرض استدعى من النص أيضا قول الشاعر:

أنت التراب مسست جلدي ناعما وضممتني أبكي لضرب لذاتي

وإذا انتقلنا إلى الثبيتي وجدناه يستدعي ذات الشاهد[٦]، ويرى أن الشاعر يعبر عن علاقة التعالق بينه وبين الطائف، ثم يستدعي بيتا آخر غير ما استدعاه القرشي:

فكبرت والحب العميق بمهجتي لك يا تراب الجال والمثناة

ويرى الثبيتي . أيضا . أن عشق الشاعر للطائف ينبع من روح التعايش بينهما، فقد عاش تفاصيل طفولته فيها، ولا أعلم كيف حكم الثبيتي بأن الطائف أمٌّ

---

(١) ـ الشخصية: ٤٩
(٢) ـ الأبعاد: ١٣٠
(٣) ـ الشخصية: ٦٥
(٤) ـ الأبعاد: ١٠٤
(٥) ـ الشخصية: ٧٢
(٦) ـ الأبعاد: ١٢٧

للشاعر تحنو عليه حين يشعر بقسوة أقرانه، فهو لم يورد شاهدا بهذا المعنى، واللافت أن المؤلفان لم يتوقفا عند موسيقا القصيدة التي تعاني من بعض الاعتلالات في بعض أجزائها.

ويستمر القرشي تحت عنوانه السابق، ويستدعي أيضا أبيات للشاعر عبدالله بن سعد السفياني، الذي جعل من الطائف هيئة معشوقة يناجيها ويطلب إقبالها وإصغاءها[١]:

فـلا تشـيحي بوجـه إننـي ثمـل ... ألا تـرين دمـوع العـين هتانـا
ثـم انثنـت فـي دلال وهـي ضـاحكة ... هـذي دمـوع الهـوى للوجـد برهانـا

لتقول له مشيرة إلى الهيئة التي تظهر بها:

وهـذه حلـة خضـراء ألبسـها ... مـن عرعـرٍ يبهـر الأنظـار فتانـا

ويرى القرشي أن السفياني استمرأ استحضار الفتنة والتشوق، ثم ألقى بنا في نيران الوداع وأشواقه:

ودعتهـا واحمـرار الـورد فـي شـفة ... تكـاد تحـرق قلـب الصـب إحراقـا

ثم يتساءل القرشي ويجيب: من هي معشوقة السفياني؟ هي الشفا:

تلـك "الشـفا" حبهـا أمسـى يـؤرقني ... فهـل يُـلام غريـب بـات مشـتاقا

لم يتوقف القرشي عند هذه الأبيات إلا بتعليقات مقتضبة جدا، واكتفى بإيرادها هكذا، ولم يذكر حتى أن القصيدة من الشعر المرسل، فلولا السياق لما علمنا بانتماء البيتين الأخيرين إلى ما قبلهما لاختلاف القافية.

ويتناول الثبيتي هذا الشاهد[٢] تحت عنوان (الأمكنة) بكيفية مختلفة، فهو لا يشترك مع القرشي إلا في البيت الثالث من الشاهد أعلاه، ثم يتبعه بأبيات أُخر:

وهـذه حلـة خضـراء ألبسـها ... مـن عرعـرٍ يبهـر الأنظـار فتانـا
قـد وُشّـيت بـأزاهير منمقـةٍ ... أضـفت علـى الحلـة الخضـراء ألوانـا
مـاء وظـلٌ وأشـجار وفاكهـةٌ ... فـي جنـة قطرهـا سـحا وهتانـا
أهـلا وسـهلا بكـم مرحـا بمقـدمكم ... أنـا "الشـفا" فهنيئـا طـاب لقيانـا

ويعلق الثبيتي على أن الشاعر بث روحا شعرية في المكان، فحولت المكان إلى لغة ناطقة بمكامن الجمال، ويضيف إنها روح الشاعر التي قدمها للمكان الصامت ليتمكن من النطق والتنقل بين مفاتنه، ويرى ذلك سحر الشعر الذي يستثير سحر المكان.

وأيضا نجد القرشي تحت عنوانه السابق، بعد أبيات السفياني مباشرة[٣] يعلق تعليقا مقتضبا، فلم يزد عن قوله "وهذا هو شأن إبراهيم الزيد الذي يهب قلبه لتراب الرحاب" حين يقول:

خلفـتُ قلبـي فـي رحـاب ... خلفتـه بـين الهضـاب
بـين الجـداول ثـرةً ... بـين السـواقي والسـحاب
مـا جئـت أرغـب زورةً ... رقراقـة فيهـا انسـياب
ونظـرت بـين فجاجـه ... والقلـب يملـؤه اضـطراب
يحنـو علـيّ بظلـه ... ويضـمني شـأن الصـحاب

ويتناول الثبيتي أربعة أبيات فقط من الشاهد السابق[٤]، لا يشترك مع القرشي إلا في (الأول والثاني والخامس) ويضيف إليها قول الشاعر:

وتـرق فيـه حمـائمٌ ... تتلـو حـديثا مسـتطاب

ولأن الثبيتي قد استدعى هذا الشاهد تحت عنوان (الأمكنة)، فقد أورده ليبين حالة الشاعر إبراهيم الزيد، فقد كان قبل هذا الشاهد يناقش أبياتا للزيد يعاني فيها من قسوة مكان اسمه (لغب)، ليستثمر المفارقة

---

[١]- الشخصية : ٧٢
[٢] - الأبعاد: ٧٤
[٣] - الشخصية: ٧٣
[٤] - الأبعاد: ٨٩

في ثنائية (الرقة/ والقسوة) بين المكانين، فجاء (رحاب) رقيقا على النقيض من قسوة (لغب)، ثم استمر الثبيتي في تحليل الشاهد، حتى توصل إلى حكم على الشاعر إبراهيم الزيد، فيراه "لكثرة وقوفه عند أمكنة الطائف يستحق أن يلقب بشاعر المكان".

وبعد هذه النظرة العامة التي تضع القارئ في تصور طريقة المؤلفين، وبعد النظر في طريقة التحليل التي اتّبعها كلٌّ منهما، وبعد تتبع الشواهد المشتركة بينهما، ومقارنة تحليل كل مؤلف، فقد طبّق كل منهما ما قاله في مقدمته، فالقرشي يحلل النصوص بنَفَسٍ وطريقة أكاديمية، ويغوص عميقا فيها، ويحلق في فضاءاتها الدلالية البعيدة، مستحثا طاقاتها التعبيرية، وإمكاناتها الشعرية، وينحو إلى التحليل بلغةٍ تتنفس الشاعرية، كما يعمد إلى إيراد مقاطع طويلة من الشواهد، ويعود لبعض الشواهد في مواضع أخرى من الدراسة، ويكثر من حشد من الشواهد ما يجعله يكتفي بالتحليل العميق للشاهد الأول في القضية، وتعليقات مقتضبة على الشواهد اللاحقة.

أما الثبيتي، فكان لا يبتعد عن فضاء النص، وتقريب دلالاته الممكنة، ولا يشتط به التحليل إلى فضاءات بعيدة أو استدعاءات لمخزونات التراث الأدبي، أو الدرس النقدي، وتغلب على تحليلاته الانطباعية والعفوية، تتجلى عبر أحكامه الذوقية (من عيون الشعر/ نص بديع/ غاية الروعة ... ومثلها)، ويهتم كثيرا بالصور البلاغية، فكانت لغته قريبة المنال لشرائح القراء المختلفة، كما ينحو إلى تركيز شواهده الشعرية، فلا يورد إلا ما يراه كافيا للصورة التي يتغيّا إيضاحها، وهذا ما وضّحه الجدول في كثرة شواهده الشعرية المشتركة (المنقوصة) عما وردت عليه في كتاب (الشخصية) الأصل المتفق عليه في الجدول، وقلة (التطابق) مع الشواهد التي أوردها القرشي، ومن كثرة اقتصاد الثبيتي في شواهده، نجد بعض تحليلاته تذكر معلومات قرأها في المصدر، والشاهد الماثل أمامنا لا يحويها كما مر بنا قبل قليل.

وعلى هذا، فلم تجد الدراسة تقاطعات يعتد بها في طرائق التحليل والنظر إلى النصوص، فلكل مؤلف طريقته في استدعاء الشاهد، وتحليله أو التعليق عليه، أما تقارب موضوعات النظر، أو العنوان الجانبي الذي دفع المؤلف إلى إدراج الشواهد تحته؛ فالمادة الشعرية المتوفرة لكلا المؤلفين في (معجم السالمي) هي الموجِهة، خاصة إذا علمنا أن السالمي صنّف شواهده في المعجم تحت موضوعات متعددة، لا يخفى أثرها في تقسيمات المؤلفَين، ولا شك أن وفرة شواهد ذكر المكان . مثلا . تقتضي أن يبني المؤلف مبحثا عن المكان، ووفرة شواهد تشبيه الطائف بالمرأة، تحث المؤلف على تتبعها والاشتغال عليها في مبحث مستقل، وقس على ذلك.

واعتمادا على ما سبق، وبمساعدة أدوات البيليوغرافيا التكوينية[١]، فإن الدراسة تتمثل هذه الصورة عبر البيليوجرام (مخطط علاقات النصوص)، وستصور العلاقة بين الكتابين بالبيليوجرام التشجيري "الذي يمثل علاقة تشجيرية بين النص الأصلي، ونصوص تتفرع عنه"[٢] وأفضل أنواعه في هذه الحالة البيليوغرام التشجيري البسيط، إذ سيكون (معجم

---

[١] ـ العلاقات والعمليات التكوينية في تأليف النص، وعلاقات النص بنصوص أخرى، سواء في مرحلة ما قبل وجود النص، أو ما بعد وجوده. نقلا (العلاقات بين النصوص في التأليف العربي، د. كمال عرفات نبهان، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص ٤٢).

[٢] ـ العلاقات بين النصوص في التأليف العربي، ص ٦٤.

السالمي) هو المصدر الرئيس، تتفرع عنه كتابا (الشخصية/ والأبعاد) حسب الشكل الآتي:

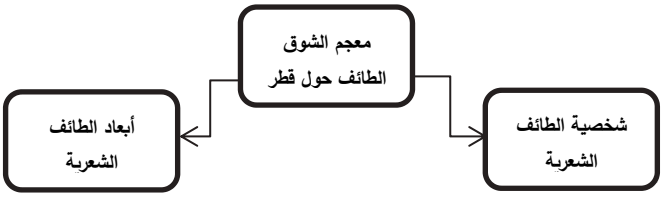

فيكشف الببليوغرام التشجيري، أن معجم السالمي لن يضيق عن أن يكون مصدرا لدراسات عدة تعتمد في تناولها على مادته الشعرية المتعلقة بالطائف، في موضوعات وتناولات مختلفة.

ثالثا ـ الموازنة:

بعد استعراض الخصومة، وظروف تأليف الكتابين، وتوصيفهما من الخارج، والداخل، والاطلاع على تفاصيلهما الدقيقة، نصل أخيرا إلى القول الذي يجب أن يبتغي العلمية والموضوعية سبيلا، ويتجرد من كل شوائب العاطفة كما تقدم ذكره في مهاد الدراسة، وهذا واجب كل باحث، سواء أكان في مثل هذه القضية أم في سواها، فالموضوعية والعلمية هي سبيل الحق.

الكتابان يخدمان مدينة (الطائف) ويقدمانها إلى القارئ من خلال المدونة الأدبية، ولا تثريب أن يؤلف وقس على ذلك الكثير من المؤلفات العربية التي تطرُق موضوعا واحدا، سواء في التحقيق، أم الترجمة، أم الكتابة عن عصر أو مكان أم موضوع أو شاعر أو أي شخصية كانت، وبعنوان مطابق أحيانا، والفيصل في كل هذه المؤلفات هي زاوية النظر، أما العناوين والمادة الشعرية فلا حكم للمؤلف عليها إلا بتأملاته، وطريقته في النظر والتحليل، المهتمون كتبا كثيرة عن موضوع واحد، حتى لو تزامن إصدار الكتب في عام أو شهر واحد، فالموضوعات مشتركة، ووجهات التأليف مشتركة، ومواد الدراسات (المصادر) مشتركة، لا يختلف في هذه الحال إلا زوايا نظر الباحثين في فضاء هذا الاشتراك الشامل، وهذا الاشتراك يبرر التقاطعات التي استعرضتها الدراسة بين الكتابين من الخارج والداخل، وجرى تفصيل القول في توصيفهما في موضعه.

ولعل من نافلة القول تذكير القارئ بأمثلة من تراثنا العربي، فلم يعِب العلماء على شُراح القصائد الطوال الجاهلية (المعلقات) قديما ولا حديثا، فلم يلغِ المحدثون جهد المتقدمين، ولم يمنع المتقدمُ المحدثين من التأليف في ذات الموضوع، والمكتبة العربية زاخرة بمؤلفاتهم، فتجد الشروح بين (السبع والعشر) قريبا مما يلي: (شرح المعلقات العشر للتبريزي/ شرح المعلقات العشر للزوزني/ شرح المعلقات العشر للشنقيطي/ شرح المعلقات السبع لابن الأنباري/ شرح المعلقات العشر للدكتور ياسين الأيوبي والدكتور صلاح الدين الهواري/ شرح المعلقات العشر للدكتور يحيى شامي).

وقدراته في استنطاق النصوص، أو تفجير معان أو قضايا لم يستطعها غيره، ولولا ذلك لجمدت المعرفة، وهذا ما تصوره الدكتور كمال عرفات نبهان في كتابه المهم في بابه (العلاقات بين النصوص في التأليف العربي)، إذ يقول: "يشكل التأليف النصي في بعض جوانبه نشاطا حيويا يشبه تجديد الخلايا في الكائن الحي، مع الاحتفاظ بصفاته الأساسية في بعض

الأحيان، أو إدماجه في دورة تالية من دروات الطبيعة واستخدام عناصره في تكوين جديد ... وهذا ما نسميه اليوم (إحياء التراث) وكمثال لذلك نجد واحدا وعشرين شرحا لحماسة أبي تمام، ونجد أكثر من خمسة وخمسين عالما قاموا بشرح أو خدمة كتاب سيبويه، ولمؤلف واحد هو الشريشي ثلاثة شروح على مقامات الحريري، وذلك بالإضافة إلى ما ذكر من قبل حول الجامع الصحيح للبخاري، وألفية ابن مالك، وتفسير الزمخشري... الخ"[١].

ولعله من السانح ذكر ما حدث لي شخصيا، فقد سجلت موضوع رسالتي للماجستير (الغراب في الشعر الجاهلي)[٢] وقبل أن أنجزه، وجدت الباحث علي عبدالعزيز أبو سنينة من فلسطين، قد سجّل ذات الموضوع في جامعة النجاح، وبذات العنوان حرفيا، ولا ضير في ذلك التشابه في العنوان، وإن كنتُ عدت أنا وهو إلى ذات المادة الشعرية من مصادرها في شعر ما قبل الإسلام، وإلى المراجع المتفرعة عن تلك المصادر، فلن تكون زوايا نظرنا، ولا طرائق تحليلنا متطابقة، وهذا ما وجدته عند قراءة بحثه، وقد أثبتُّ عنوان رسالته في هوامش رسالتي، وأشرت إليها، لربما يجد القارئ لديه فائدة لم يجدها في بحثي.

تقاطعات الكتابين:

▪ تظهر التقاطعات بين كتابي (الشخصية/ والأبعاد) في عدد من الموضوعات، وهذه التقاطعات، ومبرراتها معروفة لدى المؤلفين في فضاء التناص، خاصة ما سمّاه جيرار جينيت (جامع النص) وهو "مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدة"[٣]. وستظهر الدراسة التقاطعات بين الكتابين في الوقفات الآتية:

▪ **وجهة التأليف:** كلا المؤلفين اتجها بالتأليف إلى استجلاء مدينة الطائف في المدونة الأدبية.

▪ **العنوان؛** لأن وجهة التأليف واحدة، ومادة الدراسة هي الأدب، فتقارُبُ العنوانين لا يُعدّ مشكِلا، فالعنوان وسم يُقصد به أن يكون مفتاحا للقارئ، فاشتراكهما في كلمة (الطائف) مبرر؛ لأنها وجهة التأليف، واشتراكها في كلمة (الشعرية) مبرر؛ لأن مادة البحث في المدونة الشعرية غالبا، أما كلمتا (الشخصية/ والأبعاد) فمختلفتان لفظا، قريبتان معنى.

▪ **المصدر المشترك:** معجم (الشوق الطائف حول قطر الطائف) لمؤلفه حماد السالمي، كان محط نظر القرشي لأكثر شواهده الشعرية، ومصدرا شبه وحيد لدراسة الثبيتي، وعلى هذا فلا تثريب مطلقا على اعتماد المؤلِفين والباحثين على مصدر واحد في مئات المؤلفات، فما بالك إن كان معجما جمع فيه مؤلفه مئات المواد من مصادر وأزمنة شتى ووفرها في كتاب واحد، وبوّبها في موضوعات مختلفة تيسيرا على الباحثين والقراء، فالمعاجم وسائط متاحة لكل الباحثين، فما يزال الموضوع كما رأى الناقد حسين بافقيه [٤]، يتسع لدراسات كثيرة.

▪ **مؤسسة إصدار الكتابين:** كلا المؤسستين في الطائف، هيئة التنشيط السياحي أصدرت كتاب (الشخصية)، وأصدر النادي الأدبي الثقافي بعدها بستة عشر عاما كتاب (الأبعاد) للثبيتي.

---

[١] ـ العلاقات بين النصوص في التأليف العربي، ص ٤٠٩ .

[٢] ـ الغراب في الشعر الجاهلي ـ الرؤية والتشكيل، أحمد بن عيسى الهلالي، نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٤٣٥هـ. ورسالة الماجستير (الغراب في الشعر الجاهلي)، للباحث علي عبدالعزيز أبو سنينة، جامعة النجاح، فلسطين، ولا أعلم هل طبعها أم لا.

[٣] ـ مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦م، ص ٨١.

[٤] ـ سبقت الإشارة إليه في التمهيد.

▪ **الشواهد المشتركة بين الكتابين:** حسب نتائج الإحصاء فقد رصدت الدراسة شواهد الشعر في كتاب (الشخصية) فكانت مئة وثمانية عشر ١١٨ شاهدا شعريا، وجرى استقصاء تلك الشواهد في كتاب (الأبعاد) فلم يشترك المؤلفان سوى في ثلاثة وعشرين شاهدا، تطابق منها ثلاثة فقط، وجاء منقوصا أربعة عشر شاهدا، وستة شواهد مزيدة، أي أن الاشتراك في شواهد الكتابين جاء بنسبة ١٩,٤%، ويجدر بالذكر أن جميع الشواهد المشتركة كان مصدرها كتاب (الشوق الطائف حول قطر الطائف) عدا شاهدين جاءا من معجم البلدان للحموي حول تاريخ الطائف.

تفرد كل كتاب:

١ . **كتاب (الشخصية)** حظي بالسبق التأليفي، واستمر يحظى بذلك السبق حتى صدور كتاب (الأبعاد)، فقد كان أول كتاب يطرق هذه الوجهة التأليفية، كما تفرد بالتناول الأكاديمي الذي أعطاه حق الرواج بين المتخصصين، كون مؤلفه نهج النهج الأكاديمي في النظر إلى المادة الأدبية المتوفرة له، وتفرد كذلك بالناشر، فالهيئات السياحية لا تعنى كثيرا بالآداب، لكن مستوى الكتاب الذي يعرّف بمدينة عريقة في تاريخ السياحة العربية سوّغ لهذه الجهة أن تعنى بطباعة الكتاب ونشره.

ولعل من المزايا التي حظي بها كتاب الشخصية انفتاحه على المدونة الأدبية (شعرا ونثرا)، فمؤلفه لم يقتصر على معجم (الشوق الطائف حول قطر الطائف) مصدرا وحيدا، وهذا الانفتاح زاد الكتاب ثراء، ووسع مساحات التلقي، وهو بذلك يفتح ذهنية المتلقي على جميع الأنواع الأدبية، ويوسع إدراكه في أن الشعرية لا تقتصر على الشعر فقط، بل للمكان سلطته الشعرية أيضا في الفنون الأدبية الأخرى كالقصة والرواية.

ولم يقتصر تفرد كتاب الشخصية على اللغة العلمية المتجلية في ثناياه، التي تلاحق المعاني الأدبية في كل اتجاهاتها، وتبحث في ظلالها، بل تعدى ذلك إلى اللغة الشعرية التي كانت تتسرب خلال تعبيرات المؤلف أثناء التحليل، وكأنها تفصح عن تأثره الوجداني بالمعاني المنثالة من الشواهد الأدبية، فتفيض بها روحه، وكل ذلك يفصح عن شدة تعلقه بالمكان وانتمائه العميق إليه.

٢ . **كتاب الأبعاد:** تفرد بجدته بعد نفاد نسخ كتاب الشخصية، ويحمد له أنه حرّك القرشي إلى إصدار الطبعة الثانية من كتابه، هذا من ناحية عامة، أما من الناحية الخاصة، فإن الكتاب قريب من القارئ العادي، فلغته (البيضاء) كما وصفها الثبيتي تجعله رائجا بين القراء بمختلف مستوياتهم، ذلك أنه لا يوغل في المصطلحات النقدية، ولا يجترح مفردات شعرية قد يشقى بتأويلها المتلقي العادي.

ومن المزايا التي تفرد بها رغم تأخر تأليفه واعتماده الرئيس على معجم (الشوق الطائف حول قطر الطائف)، إلا أنه لم يقع في تكرار واسع للشواهد الشعرية التي جاءت في كتاب الشخصية، فلم يقع التكرار إلا بنسبة ١٩,٤% أي أقل من الخُمس بقليل، ورغم ذلك التكرار فقد كان تحليل المؤلف ينفي التكرار بأسلوب تناوله المختلف للشواهد عن سابقه، كما استطاع أن يثري المتلقي بمادة جديدة حول الطائف، وقارئ الكتابين لن يشعر بسأم التكرار وهو يتنقل بين الكتابين.

ثم تفرد كتاب الأبعاد بفصله الخامس (البعد الاحتفائي) فهذا البعد لم يرد في كتاب الشخصية، فلأن الطائف كانت عاصمة صيفية للحكومة

السعودية من عهد المؤسس حتى عهد الملك خالد يرحمهم الله، فقد كان الشعراء يستقبلون الملوك فيها وتظهر الطائف ببهجتها وجمالها في مدائحهم للملوك، وأشواقهم إليهم.

وكذلك تفرد كتاب الأبعاد بذكر بعض شعراء الطائف المعاصرين مثل الشاعر أمين العصري، في إشارة إلى أن المدونة الشعرية حول الطائف ما تزال تتسع بشعراء لم تحط بهم دراسة القرشي، ولا معجم السالمي، وتفرد كذلك بطباعته في مؤسسة ثقافية (النادي الأدبي الثقافي بالطائف)، فقرب الناشر من الوسط الثقافي والأكاديمي يتيح انتشار الكتاب، ويسهّل تبادله مع مؤسسات ثقافية مماثلة على امتداد الوطن، ويقدم الطائف كما تغيّا المؤلف.

ختاما

تمنيت لو أن الثبيتي أشار إلى جهد سابقه القرشي، فذلك يثري الكتابين والطائف والمتلقي، لكنه لم يفعل، وربما يلتفت إلى ذلك حين يصدر طبعة ثانية من الكتاب، وعلى كلٍّ، فالكتابان خدما مدينة الطائف، وأظهرا شخصيتها وأبعادها الشعرية في المدونة الشعرية والأدبية، وهما كتابان زاخران بما يثري عن هذه المدينة، يتكاملان ولا ينقض أحدهما الآخر أو يقصيه، ولم يشتركا إلا في عدد قليل من الشواهد، ولو اشتركا في أكثر؛ فإن لكل مؤلف طريقته في انتقاء الشواهد وتوظيفها وتحليلها، والتوسع في المدونة الأدبية أو الاقتصار على جنس منها، وما يزال المجال رحبا يتسع للمزيد من الكتب عن مدينة الطائف، فالمكان له سلطانه على وجدان المؤلفين، ولا تثريب إن تقاطعت مؤلفاتهم، شرط انتفاء السرقة العلمية لجهود الآخرين وحقوقهم الفكرية.

ملحق الصور:

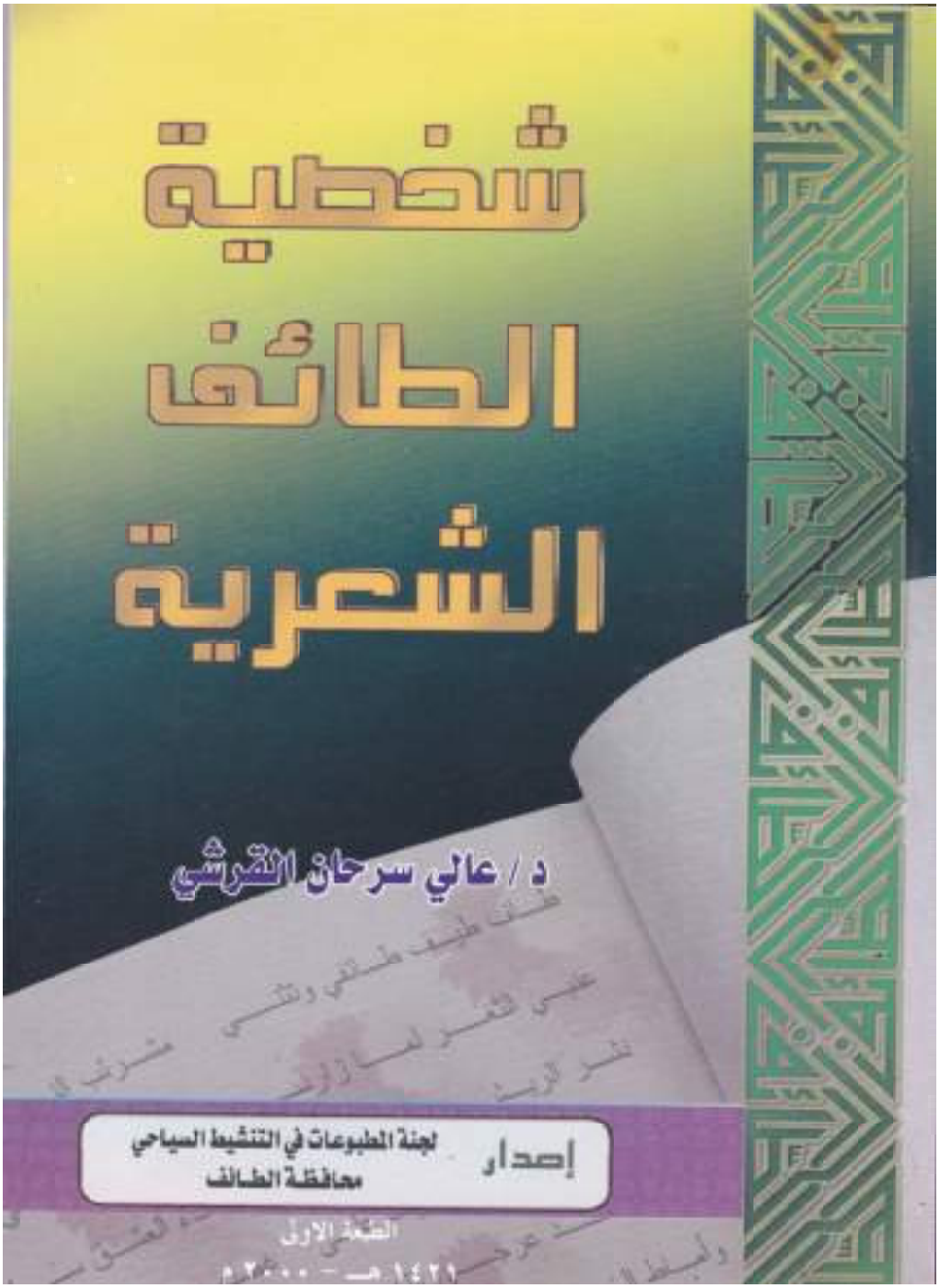

الغلاف الأمامي لكتاب شخصية الطائف الشعرية (١)

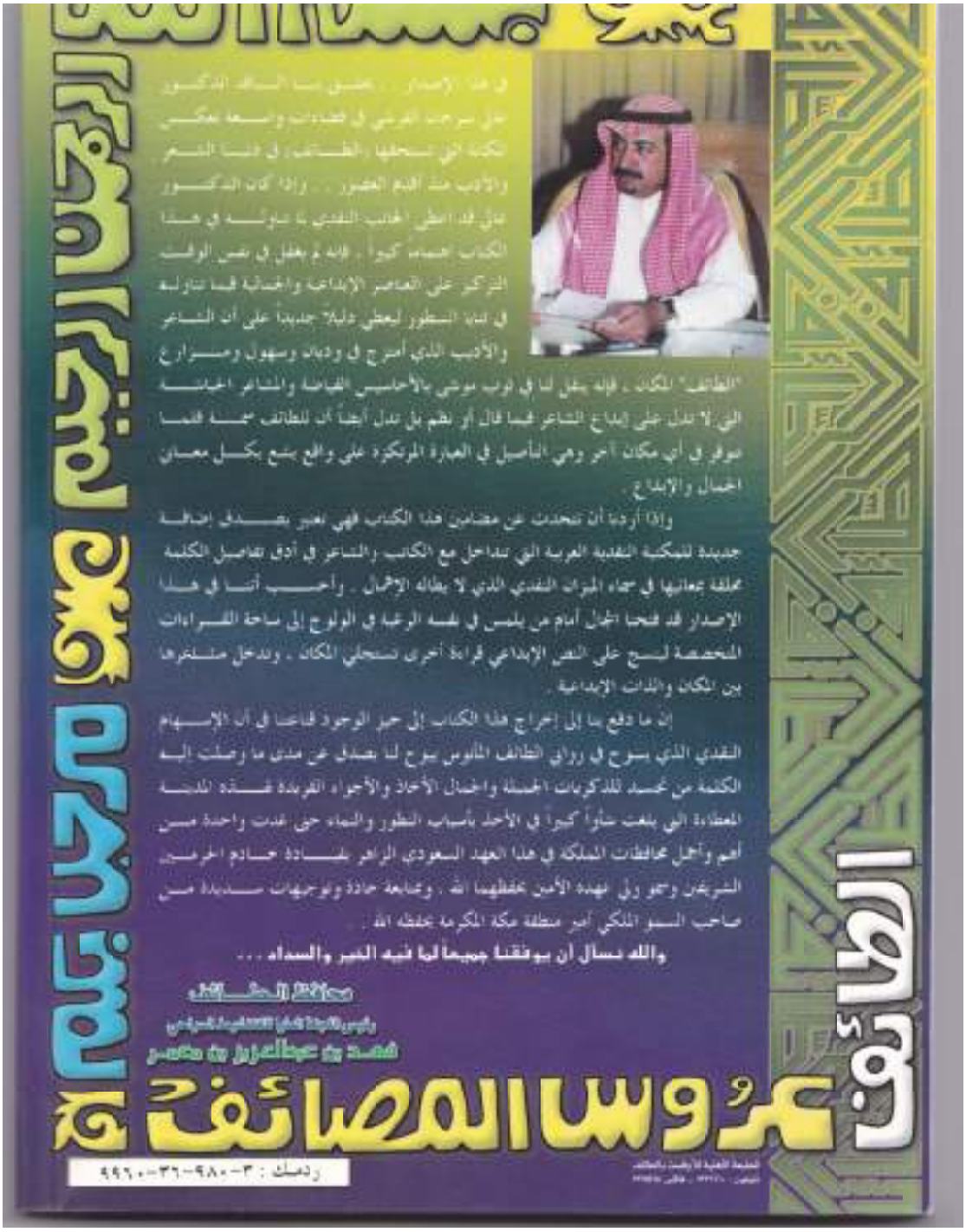

الغلاف الخلفي لكتاب شخصية الطائف الشعرية (٢)

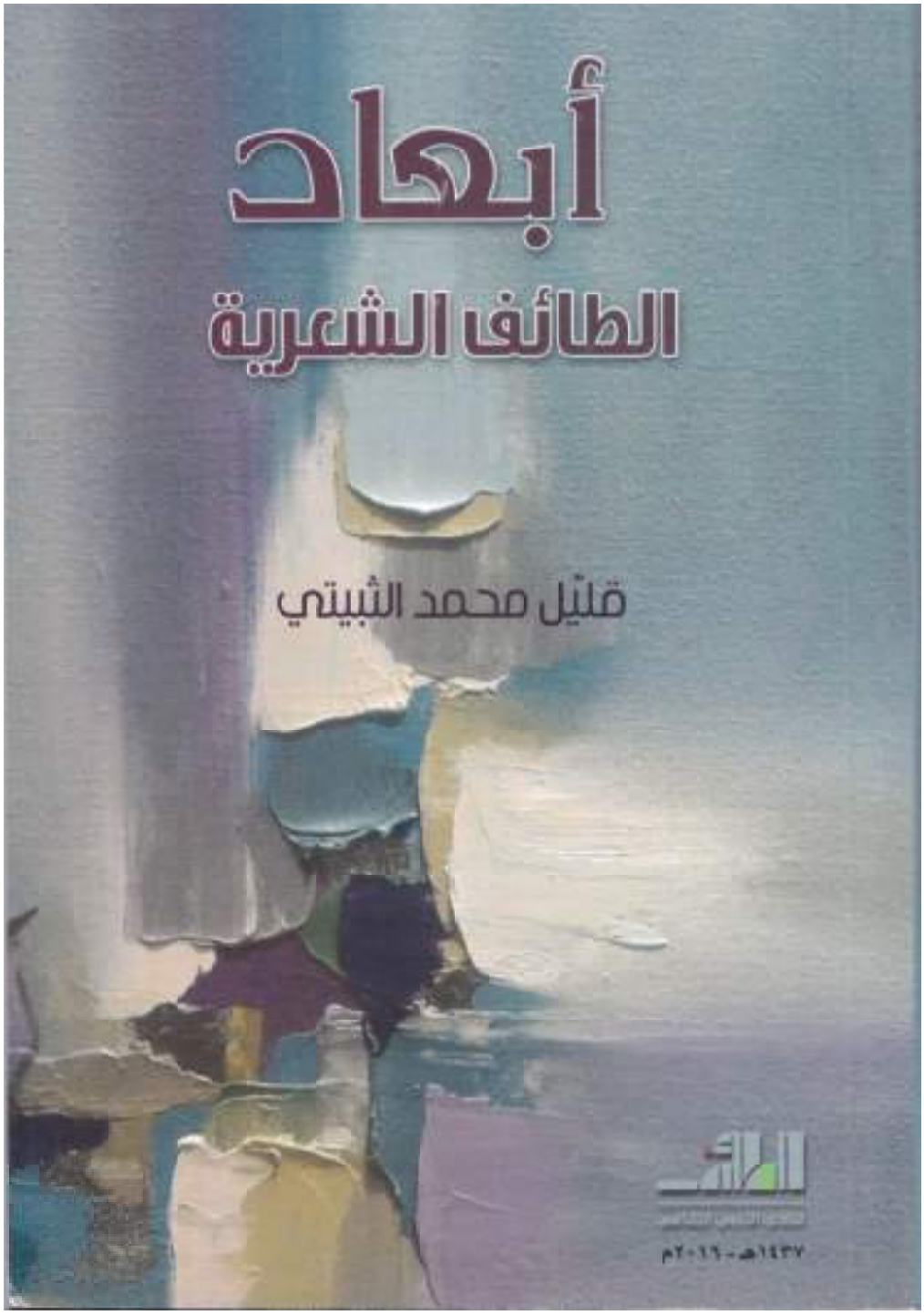

الغلاف الأمامي لكتاب أبعاد الطائف الشعرية (١)

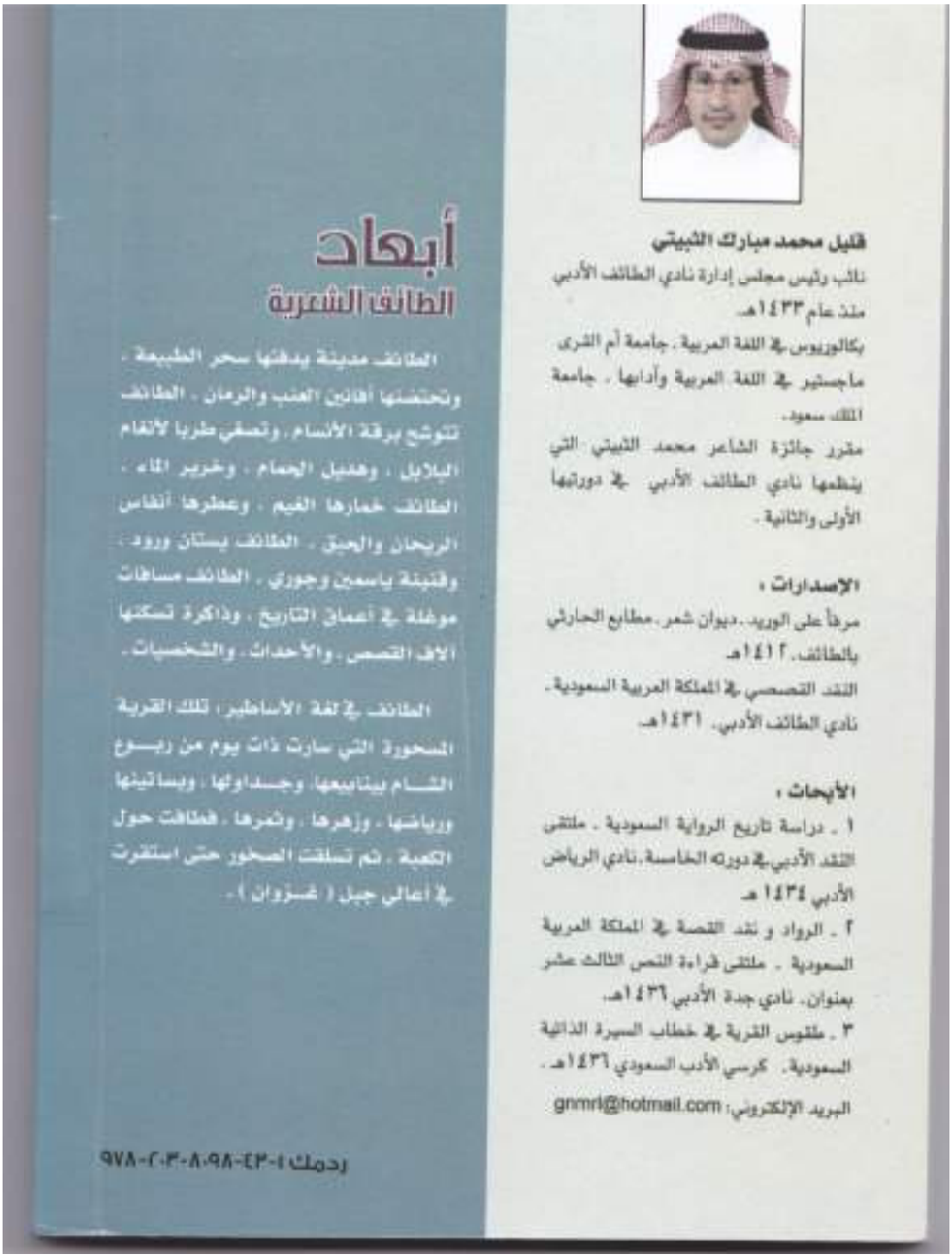

أبعاد
الطائف الشعرية

الطائف مدينة يدفئها سحر الطبيعة ، وتحتضنها أفانين العنب والرمان . الطائف تتوشح برقة الأنسام ، وتسقي طربا لأنغام البلابل ، وهديل الحمام ، وخرير الماء . الطائف خمارها الغيم ، وعطرها أنفاس الريحان والحبق . الطائف بستان ورود ، وقنينة ياسمين وجوري . الطائف مساقات موغلة في أعماق التاريخ ، وذاكرة تسكنها آلاف القصص ، والأحداث ، والشخصيات .

الطائف في لغة الأساطير ، تلك القرية المسحورة التي سارت ذات يوم من ربـــوع الشـــام ببنابيعها وجـــداولها ، وبساتينها ورياشها ، وزهرها ، وثمرها ، فطافت حول الكعبة ، ثم تسلقت الصخور حتى استقرت في أعالي جبل (غزوان) .

ردمك ١-٤٣-٨٠٩٨-٦٠٣-٩٧٨

قليل محمد مبارك الثبيتي

نائب رئيس مجلس إدارة نادي الطائف الأدبي منذ عام ١٤٣٣هـ.

بكالوريوس في اللغة العربية ، جامعة أم القرى.

ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة الملك سعود.

مقرر جائزة الشاعر محمد الثبيتي التي ينظمها نادي الطائف الأدبي في دورتيها الأولى والثانية .

الإصدارات :

مرفأ على الوريد . ديوان شعر . مطابع الحارثي بالطائف . ١٤١٢هـ.

النقد التصحيحي في المملكة العربية السعودية . نادي الطائف الأدبي . ١٤٣١هـ.

الأبحاث :

١ . دراسة تاريخ الرواية السعودية . ملتقى النقد الأدبي في دورته الخامسة . نادي الرياض الأدبي ١٤٣٤ هـ.

٢ . الرواد و نقد القصة في المملكة العربية السعودية . ملتقى قراءة النص الثالث عشر بعنوان . نادي جدة الأدبي ١٤٣٦هـ.

٣ . ملتقوس القرية في خطاب السيرة الذاتية السعودية . كرسي الأدب السعودي ١٤٣٦هـ .

البريد الإلكتروني : gnmrl@hotmail.com

الغلاف الخلفي لكتاب أبعاد الطائف الشعرية (٢)

قائمة المصادر والمراجع

أولا ـ المصادر:

- الكتاب الأول: شخصية الطائف الشعرية، د. عالي بن سرحان القرشي، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي . محافظة الطائف، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.
- الكتاب الثاني: أبعاد الطائف الشعرية، قليّل محمد الثبيتي، النادي الأدبي الثقافي بالطائف، ط١، ١٤٣٧هـ . ٢٠١٦م.

ثانيا ـ المراجع:

١. العلاقات بين النصوص في التأليف العربي، د. كمال عرفات نبهان، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

٢. قاموس الأدب والأدباء بالمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ.

٣. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد منظور، بيروت، دار صادر، د ت.

٤. مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦م.

٥. معجم (الشوق الطائف حول قطر الطائف) حماد السالمي، لجنة المطبوعات في هيئة التنشيط السياحي بالطائف، دار الشريف للطباعة والنشر، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م.

٦. المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٧. المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٧م.

٨. معجم المصطلحات الأدبية، إعداد إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، طبع التعاضدية العمالية، صفاقس، الجمهورية التونسية، ط١، ١٩٨٦م.

٩. معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، عبدالقادر عياش، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

١٠. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق محمد صقر، طبعة دار المعارف، مصر ١٩٦١م.

الدوريات:

١. جريدة الثورة الإلكترونية، تصدر عن مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، دمشق.

٢. جريدة أم القرى، العدد ٣٩٥٩ .

٣. صحيفة إشتار الإلكترونية.

٤. صحيفة الرياض السعودية.

٥. صحيفة الوطن السعودية.

٦. صحيفة أنحاء الإلكترونية.

٧. صحيفة عكاظ السعودية.

A comparaive study of Two Scholars from Taif

Dr. Ahmad Al-Hilali

*Abstract***.** this study is about a literary dispute between two Saudi scholars from Taif, a dispute much discussed in the Saudi press. In 2000 Prof. Äli Sarhan Al-Qurashi published a book entitled *The Poetic Personality of Taif.* Sixteen years later, Mr. Qulayyil Muhammad Al-Thubaiti published his own book, *The Poetic Dimensions of Taif.* Al-Qurashi was miffed by this publication because Al-Thubaiti completely ignored his predecessor's book. The annoyance morphed into a dispute, and the Saudi press jumped into the fray. Later on, the dispute developed into a lawsuit when Al-Qurashi lodged a complaint with the Ministry of Culture and Information, as it was called then.

The goal of this study is to examine both books very carefully in order not only to point to the reader the deep roots of the scholarly dispute, but also to outline the similarities and differences between the two books. This is done with a view to judging them objectively. It is hoped that this study of an important scholarly dispute has been guided by the rules of neutrality, objectivity, and academic disinterestedness.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ١٧١- ١٩١ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-3.7

عبدالرزاق بن سعود المانع (١٣٥٦-١٤٣٨هـ/١٩٣٧-٢٠١٦م) حياته وأدبه

د.عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري
أستاذ الأدب المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية بالرياض . قسم الأدب

مستخلص. يؤرّخ هذا البحث لحياة الأديب عبدالرزاق بن سعود المانع (١٣٥٦-١٤٣٨هـ/١٩٣٧-٢٠١٦م) الذي عاش شطرًا كبيرًا من حياته في مدينة الزبير في العراق حيث ولد ونشأ وتعلم، وعمل مدة طويلة في مجال التعليم في الزبير وفي البصرة حتى تقاعده في عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ثم عودته إلى وطنه الأم المملكة العربية السعودية في عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م وحتى وفاته في مدينة الرياض في عام ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.
ويكشف البحث مضامين إنتاجه الأدبي في القصة والشعر والرواية، ويلقي نظرة تحليلية على هذا الإنتاج في أربعة مباحث، وهي: المبحث الأول: حياة عبدالرزاق المانع في الزبير وفي الرياض، والمبحث الثاني: عبدالرزاق المانع قاصًا، والمبحث الثالث: عبدالرزاق المانع روائيًا، والمبحث الرابع: عبدالرزاق المانع شاعرًا.
الكلمات المفتاحية: عبدالرزاق المانع، مدينة الزبير، الشعر السعودي، القصة في المملكة، الرواية السعودية.

المقدمة

هاجرت أسرة عبدالرزاق بن سعود بن عبدالعزيز المانع من محافظة الحريق جنوب مدينة الرياض إلى الزبير في العراق قبل نحو مئة وستين عامًا، وهناك ولد ونشأ وتعلم، وعمل مدة طويلة في مجال التعليم في الزبير وفي البصرة حتى تقاعده في عام١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ثم عودته إلى وطنه الأم المملكة العربية السعودية عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
وقد توفي والده سعود في عام ١٩٥٢م، وله أخوان، وهما: عبدالعزيز (ت١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، وعبدالكريم،

وهو على قيد الحياة ويعيش في الدمام، وله ولد واحد وهو رافع ويعيش في مدينة الرياض[١].

كتب وطبع معظم إنتاجه الشعري والقصصي خارج المملكة، ما عدا روايته "صخب الحياة" التي طبعت بعد عودته إلى المملكة؛ ومن هنا فقد غفلت عن إنتاجه كل البحوث التي درست الشعر السعودي، أو القصة القصيرة، وأما الرواية فهي جديدة، وربما تأخذ طريقها إلى الدراسة في البحوث القادمة التي ستدرس المنجز الروائي الجديد.

وهذا البحث ينهض بالتأريخ لحياة عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله، ويكشف مضامين إنتاجه الأدبي في القصة والشعر والرواية، ويلقي نظرة تحليلية على هذا الإنتاج في أربعة مباحث، وهي: المبحث الأول: حياة عبدالرزاق المانع في الزبير وفي الرياض، والمبحث الثاني: عبدالرزاق المانع قاصًا، والمبحث الثالث: عبدالرزاق المانع روائيًا، والمبحث الرابع: عبدالرزاق المانع شاعرًا.

المبحث الأول

حياة عبدالرزاق المانع في الزبير وفي الرياض

تذكر بعض المصادر التي أرّخت للصلة بين نجد ومدينة الزبير في العراق أن تأسيسها كان على يد أبناء نجد في عام ١٠٠٣هـ، وهي السنة التي أسّسوا فيها مسجدهم الجامع مسجد النجادة نسبة إليهم[٢]،

وكان لهذه الهجرة من نجد إلى الزبير أسباب، أبرزها: العامل الاقتصادي، والعامل الأمني والسياسي، والعامل الاجتماعي وتحسين الأحوال المعيشيّة، والعامل العلمي[٣]، واستمرت هجرات أهالي نجد إلى الزبير من "أواخر القرن العاشر الهجري حتى العقد الرابع من القرن الرابع عشر منه، وفي هذا العقد حصلت بدايات الهجرة المعاكسة لأهل نجد من أبناء الزبير إلى موطنهم الأصل المملكة العربية السعودية" [٤].

وقد تناقص العدد السكاني من أبناء نجد في بلدة الزبير بسبب الهجرة المعاكسة هذه، وكانت "بداية عودة الذين كانوا يحملون الجنسية السعودية، ثم عودة كليّة ما بعد عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م وبموجات متتابعة خاصة بعد صدور قرار مجلس الوزراء رقم ١٤٢١ في ١٣٩٣/١١/٢٠هـ بالموافقة على منح النجديين الزبيريين فرصة العودة إلى جنسية بلادهم الأصلية المملكة العربية السعودية..، فكانت عودة جماعية حتى لم يبقَ من أهل الزبير أبناء نجد إلا القليل والقليل جدًا الذين لم تسعفهم ظروفهم بالعودة إلى بلادهم" [٥].

ومن هؤلاء (القليل والقليل جدًا) الأديب عبدالرزاق بن سعود المانع الذي تأخرت عودته كثيرًا إذ لم يعد إلى بلده الأصل إلا في عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م[٦]؛ ربما

---

[١] ورقة بخط الأستاذ عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله، تاريخها ١٤٣٦/١١/٢هـ (٢٠١٥/٨/١٧م)، ومكالمة هاتفية مع أخيه الأستاذ عبدالكريم بن سعود المانع، تاريخها ١٤٤٠/١٠/١٢هـ (٢٠١٩/٦/١٥م).

[٢] **الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي**، عبدالعزيز بن إبراهيم الناصر، الطبعة الأولى، الرياض: وهج الحياة للإعلام، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٢٤.

[٣] **المرجع نفسه**، ص١٧.

[٤] **المرجع نفسه**، ص٢٣.

[٥] **المرجع نفسه**، ص٨٥.

[٦] معلومة زوّدني بها ابنه رافع في تواصل هاتفي، تاريخه ١٤٤٠/١٠/١٣هـ (٢٠١٩/٦/١٦م).

بسبب ارتباط أبنائه بالدراسة، أو انشغاله بالعمل، أو لوجود مصالح تجارية لديه، أو غيرها من الأسباب.

وعندما استقر به المقام في مدينة الرياض أصبح يرتاد النادي الأدبي بالرياض، ويحضر بعض الفعاليات [١]، وجدّد صلته بالمجلات الثقافية والصحف اليومية، ونشر بعض قصائده في جريدة الجزيرة وفي مجلة الفيصل، ونشر في جريدة الرياض مقالة في عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م عن بلدته (الزبير) عنوانها "مدينة الزبير واللمسات الحانية للقيادة السعودية"، ومما قال: "كانت نظرة القيادة السعودية إلى هذه الهجرة وإلى المنطقة التي استقروا فيها وعمروها – مدينة الزبير– وإلى أولئك المهاجرين الذين دفعتهم الظروف إلى النزوح غير بعيدين عن نجدهم وعن ذويهم، كانت النظرة الحكيمة، متمثلة أولاً بالمغفور له العاهل المؤسس الملك الراحل (عبدالعزيز آل سعود) رحمه الله الذي كان يمنح مدينة الزبير وأهلها النجادة نظرة خاصة واعتبارات تنطوي على الديمومة في الوشائج، والاتصال الروحي عبر القنوات العائلية وصلة الرحم"[٢].

ويشير المانع في هذا المقال المهم إلى أن الملك سعود رحمه الله زار (مدينة الزبير) مرتين، وأدرك الأخيرة منها، وروى تفاصيلها كما شاهدها عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، يقول عن الزيارتين: "الأولى كانت في حياة والده الراحل رحمه الله، يوم أن كان وليًا للعهد، والأخرى (في عام ١٩٥٧م) بعد أن تولى الأمر ملكًا على البلاد. وقد التقى فيهما بأهل المدينة من النجادة، ويومها لبست المدينة وأهلها حلة زاهية من الفرحة والابتهاج، وخرج الجميع لاستقبال الملك القريب إلى نفوسهم الذي تربطهم به أواصر المنشأ والقربى والرحم، وكان العاهل الراحل رحمه الله، يستقبلهم ويرحب بهم، يتحبب إلى صغارهم ويرحب بكبارهم الذين رأوا فيه صورة موطنهم الأم ومدارج الآباء والأجداد،.. كما رأوا في زيارة العاهل الكريم رحمه الله لمدينتهم، تأكيدًا لأواصر الصلة التاريخية، واعترافًا بأنهم إن بعدوا عن نجدهم ومملكتهم فإنهم يظلون ضمن دائرة التأثر والتأثير، وأن امتداد التواصل الاجتماعي والولائي، في جانبيه: الشخصي والعام، يبقى ثابتًا، تعكسه المواقف وينفعل معه الإنسان. وهذا يفسر الحفاوة الكبيرة، والاندفاع الذاتي اللذين استقبلت بهما المدينة زائرها الكبير والمشاعر الطيبة والفرحة الطاغية التي تطفح بها وجوه أهلها ونفوسهم"[٣].

ويصف عبدالرزاق المانع وقع هذه الزيارة على نفسه، وكان وقتها في عمر العشرين تقريبًا، يقول: "كنت يومها في مقتبل العمر، أذكر كيف كان الكبار والصغار يهرعون إلى الشوارع حيث يمر الموكب الكريم، وأذكر ذلك الفرح الحقيقي لأهلنا في مدينة الزبير، بمقدم الملك الراحل سعود بن عبدالعزيز رحمه الله، وأذكر أنني رأيت جلالته وهو يبتسم

---

[١] أكد ذلك صديقه الروائي عبدالجبّار الخليوي، والدكتور سلطان القحطاني في الندوة التي نظّمها النادي بعنوان **"عبدالرزاق المانع: قاصًا وروائيًا"** عام ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، والندوة موجودة على (اليوتيوب).

[٢] **جريدة الرياض**، ع ١٤٧٨٠، ١٤٢٩/١٢/١٣هـ (٢٠٠٨/١٢/١٧م).

[٣] **جريدة الرياض**، ع ١٤٧٨٠، ١٤٢٩/١٢/١٣هـ (٢٠٠٨/١٢/١٧م).

ابتسامته العريضة، ويلوّح بيده، ويرد على تحيات أهلنا الذين كانوا يحيونه بحماس، كنت أعتقد ساعتها، وما أزال، أن العاهل الراحل يبادل الجموع من المستقبلين نفس المشاعر وأنه كان بمثل فرحتهم وسعادتهم به، ومن مظاهر الاحتفاء الشعبي والفرح العام، انتشار الفرق الشعبية مثل (فرقة العرضة النجدية) وفرق الأهازيج الشعبية، ترحب بالزائر الكريم وتثني عليه بما هو أهله، كما أُلقيت القصائد الشعرية في احتفال مهيب حضره جمع غفير من النجادة أهل مدينة الزبير في بناية (مدرسة طلحة)، فكان يومًا مشهودًا وفرحًا شعبيًا، ما يزال أهلونا هنا يذكرونه بفخر واعتزاز"[١].

وقد أرّخ لهاتين الزيارتين عبدالعزيز الناصر صاحب كتاب "الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي"، وذكر أن الزيارة الأولى للملك سعود للزبير كانت في عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م[٢].

وقد عرفت الأستاذ عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله شخصيًا في مدينة الرياض إذ كان يتردد على النادي الأدبي بالرياض، ويحضر بعض الفعاليات، ثم عرض على إدارة النادي طباعة روايته "صخب الحياة" فرحب النادي بذلك وطبعت روايته، ثم نظّم النادي بعد وفاته في عام ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م فعالية عرضت لإنتاجه القصصي والروائي، بعدها بدأت الأوساط الثقافية في المملكة تتعرف عليه رحمه الله.

وفي إحدى اللقاءات معه في النادي الأدبي بالرياض عام١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، وبحكم اهتمامي بالشخصيات الأدبية السعودية، طلبت منه كتابة تعريف بنفسه كي أستفيد من ذلك في بحوثي عن الأدب السعودي، فكتب لي ورقة فيها بعض مراحل حياته بخط يده ومجالات إنتاجه الأدبي، وهي من مصادري في هذا البحث.

ولد عبدالرزاق بن سعود بن عبدالعزيز المانع في مدينة الزبير في عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، ودرس الابتدائية في مدرسة النجاة الأهلية، ثم درس المتوسطة في الزبير، وتخرّج في ثانوية فيصل الثاني عام ١٩٥٥/١٩٥٤م[٣]، وتدرّج في الوظائف من مدرس أولاً، ثم مشرف تربوي، ثم عُيّن مدير الإشراف التربوي لكامل محافظة البصرة، ثم أُحيل على التقاعد في عام ٢٠٠٠م[٤].

وأثناء العمل أكمل المانع دراسته الجامعية في جامعة بيروت العربية بلبنان، ونال الشهادة الجامعية بتقدير جيّد جدًا، وكان تخرجه في عام ١٩٥٨م، وكان لهذه التجربة الدراسية أثر كبير في تشكّل مواهبه الأدبية، وعن أثرها في أدبه نراه يقول: "بعد أن التحقت بجامعة بيروت العربية لنيل البكالوريوس فقد أنضج

---

[١] **جريدة الرياض**، ع ١٤٧٨٠، ١٤٢٩/١٢/١٣هـ (٢٠٠٨/١٢/١٧م).

[٢] **الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي**، ص٦٣١.

[٣] كتب في الورقة تاريخ التخرج في الثانوية عام ١٩٥٨/١٩٥٧م، وكتب كذلك تاريخ تخرجه في الجامعة بعام ١٩٥٨م، فسألت أخاه عبدالكريم عن صواب تخرجه في الثانوية فقال: الأرجح أنه عام ١٩٥٥/١٩٥٤م.

[٤] ورقة بخط الأستاذ عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله، تاريخها ١٤٣٦/١١/٢هـ (٢٠١٥/٨/١٧م).

ذلك توجهي الأدبي، وقويت قافيتي الشعرية، واتسع خيالي في كتابة القصة والمسرحية"[١].

وقد ذكر في مقدمة ديوانه "قصائد لكل الناس" جوانب من تعلّقه بالقراءة فقال: "منذ نعومة أظفاري كنت شغوفًا بالقراءة، وكانت بداياتي مع كتاب (المطالعة) وما يضم من حكايات وقصص، كان ذلك في سن الابتدائية حيث كنت خطيبًا للمدرسة في مناسباتها واحتفالاتها الدورية التي تعوّدتها مدرسة النجاة الأهلية في حينها"[٢].

وزادت وتيرة حب القراءة لديه بعد ذلك إذ نراه يقول: "في المتوسطة ازداد شغفي بالقراءة من كتب مترجمة ومؤلفة، وكانت البدايات مع روايات الجيب (أرسين لوبين)، و(درماند) وأمثالهما، كما قرأت مجلتي الهلال والمختار..، وجمعت منها الكثير" [٣].

كتب ونشر في أكثر الصحف والمجلات العربية، وفي مقدمتها (الآداب) البيروتية، و(البيان) الكويتية[٤]، وفي مجلات سعودية وإماراتية، وكان مولعًا بالمسرح، وكتب مسرحيات، ولكنها لم تطبع[٥].

وسبب تعلقه بالمسرح يعود إلى ما كان يسمعه من مسرحيات إذاعية منذ أواسط الخمسينيات من إذاعة القاهرة تحديدًا، كتب بعدها مسرحيات، ومثّلت، وقدّم له تلفزيون البصرة تمثيلية إذاعية تحت اسم (المحموم والموسم الجديد) في السبعينيات، وقبلها تمثيلية (الولادة) التي قدمها تلفزيون الكويت في الستينات[٦].

انتقل إلى رحمة الله في مدينة الرياض في شهر صفر من عام ١٤٣٨هـ (نوفمبر ٢٠١٦م)[٧]، عن عمر ناهز الثانية والثمانين عامًا رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وقد نظّم النادي الأدبي بالرياض يوم الأحد ١٤٣٨/٣/٢٦هـ (٢٠١٦/١٢/٢٥م) ندوة عن أدبه: القصصي والروائي، وعنوانها "عبدالرزاق بن سعود المانع قاصًا وروائيًا"، شارك فيها الدكتور معجب بن سعيد العدواني بورقة عن روايته "صخب الحياة"، والدكتوره هيفاء الفريح بورقة عن مجموعته القصصيّة "ذات صباح ربيعي"، وحضرها عدد من الأدباء والمثقفين وأسرة الأديب، وتابعت الصحافة السعودية هذه الندوة وكتبت عنها[٨].

المبحث الثاني

عبدالرزاق المانع قاصًا

تفتحت مواهب عبدالرزاق المانع الأدبية وهو في العشرينات من العمر، وربما تكون بدايات النشر عنده في مجال القصة القصيرة، وقبل الشعر، ويذكر أن للمكتبة العامة دورًا مهمًا في صقل مواهبه الأدبية، وأن الصحف اليومية والأخبار السياسية لم

---

[١] **قصائد لكل الناس** (ديوان)، عبدالرزاق بن سعود المانع، الطبعة الأولى، (د.ت)، ص ٥.

[٢] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص ٣.

[٣] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص ٣.

[٤] وجدت له قصة في العدد الثاني من مجلة البيان الكويتية، مايو ١٩٦٦م، وقصيدة في مجلة البيان عام ٢٠١٠م، وقصيدتين في مجلتي: الفيصل والفيصل الأدبية عامي ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، و١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

[٥] ورقة بخط الأستاذ عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله، تاريخها ١٤٣٦/١١/٢هـ (٢٠١٥/٨/١٧م).

[٦] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٤و٥.

[٧] **جريدة الرياض**، ١٤٣٨/٢/٢هـ (٢٠١٦/١١/٢م).

[٨] **جريدة الرياض**، ع ١٧٧١٧، ١٤٣٨/٣/٢٧هـ (٢٠١٦/١٢/٢٦م)، و**جريدة مكة** ١٤٣٨/٣/٢٨هـ (٢٠١٦/١٢/٢٧م).

تكن تشدّه بقدر ما كانت تشدّه المجلات الشهرية التي تضمّ قصصًا قصيرة لكتّاب عرب كبار، كما أن الدراسات التي تضم نقدًا لهذه القصص أسهمت في إنضاج مفهومه لهذا اللون الأدبي كما يذكر[١].

وقد نُشرت أول قصة له، وعنوانها "الأيدي الخشنة" في مجلة الآداب البيروتية، وكان ذلك في نيسان/أبريل ١٩٦٥م[٢]، وأصبح معروفًا في بلدته وبين الشباب وهو في العشرينات من العمر[٣].

وكانت مجلة الآداب قد درجت على نشر نقد للنصوص المنشورة فيها يتولاها ناقد متخصص، وتُنشر في العدد التالي، وكلّف بنقد القصص المنشورة في عدد أبريل الدكتور أحمد كمال زكي، فوجّه نقدًا قاسيًا للمانع، ووصف القصة بأنها "من النوع التهذيبي" المرتبط بالبدايات في الكتابة، ثم استدرك في نهاية نقده، وأشاد ببعض الجوانب في القصة، ومما قال عنها: "كان عبدالرزاق المانع ناجحًا في عملية السرد، وأحسب أن نجاحه هذا هو وحده ما حفّز الدكتور سهيل إدريس إلى أن يقدمها للقراء"[٤].

ومع ما سببه هذا النقد من ألم للمانع، فإنه لم يسكت، بل بعث تعقيبًا على نقد زكي، ونُشر في العدد التالي تحت عنوان "شكر..وعتاب"، وفيه عاتب الناقد على هذه القسوة التي قد يكون أثرها سيئًا على كل أديب شاب، وقد تكون معول هدم لقلمه وسببًا لتوقفه، وأشار في نهاية تعقيبه إلى وصف قصته بالتقليدية، وتساءل هل ستعجبه القصة لو أنها ملئت بالرموز وحمّلت بعض التعابير الغريبة حتى تستحيل إلى أحلام أو كوابيس؟[٥].

ويبدو أن المانع أخذ موقفًا من مجلة "الآداب" فلم ينشر فيها شيئًا بعد "الأيدي الخشنة"[٦]، وبحث عن منفذ آخر للنشر، وكانت مجلة "البيان" الكويتية التي أرسل لها قصته "المحموم والموسم الجديد" فنشرتها في العدد الثاني عام ١٩٦٦م[٧].

وتدريجيًا توسعت علاقات عبدالرزاق المانع وصلاته بعدد من الأدباء العرب بدليل صلته بمجلتي: الآداب والبيان، وبمنظمي احتفالية نزار قباني في دمشق عام ٢٠٠٦م، ووجود قصائد في ديوانه تؤكد صلته بالشاعر عبدالعزيز بن سعود البابطين[٨]، كما نجد الأديب الكويتي الدكتور سليمان بن علي الشطي[٩] يقدّم لمجموعته القصصيّة "ذات صباح ربيعي"[١٠].

وقد طبعت هذه المجموعة في الكويت عام ٢٠٠٥م، وجاءت في مئة وتسع عشرة صفحة من القطع دون

---

(١) **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص ٣ و٤.

(٢) **مجلة الآداب** (تصدر في بيروت)، السنة ١٣، العدد الرابع، نيسان/أبريل ١٩٦٥م، ص٤٩.

(٣) **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٤.

(٤) **مجلة الآداب**، السنة ١٣، العدد الخامس، أيار/ مايو ١٩٦٥م، ص١٠. و(سهيل إدريس) هو مؤسس مجلة الآداب ورئيس تحريرها.

(٥) **مجلة الآداب**، السنة ١٣، العدد السادس، حزيران/ يونيو ١٩٦٥م، ص٧٤.

(٦) تصفحت جميع الأعداد الصادرة في المدة من ١٩٦٦-٢٠٠٠م، ولم أجد له أي نص.

(٧) **مجلة البيان** (تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين)، العدد الثاني، مايو ١٩٦٦م، ص٢٤.

(٨) **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص ٢٢و٢٨و٨٠.

(٩) من مواليد الكويت عام ١٩٤٣م. حاصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة عام ١٩٧٨م، له عدد من المؤلفات، منها: الصوت الخافت (مجموعة قصصيّة)، والرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ، والشعر في الكويت، وغيرها. (يُنظر: **معجم تراجم أعضاء رابطة الأدباء الكويتيين**، إعداد: طلال الرميضي وأبرار ملك، الطبعة الأولى، الكويت: رابطة الأدباء الكويتيين ومنشورات ذات السلاسل، ٢٠١٥م، ص٩٧).

(١٠) **ذات صباح ربيعي** (مجموعة قصصيّة)، عبدالرزاق بن سعود المانع، الطبعة الأولى، الكويت شركة سيتي جرافيك، ٢٠٠٥م (تقديم: د.سليمان الشطي)، ص٣-٨.

المتوسط، وضمّت اثنتي عشرة قصة قصيرة، وهي: الأيدي الخشنة، والمحموم والموسم الجديد، وذات صباح ربيعي، والجوع، ومن أجل الأيام القادمة، والموت يخترق المدينة، وقبر على قارعة الطريق، وليس الحب وحده، وضياع داخل الذات، والشاعر وتاجر الحمام، ومخالب الدم، وكانت امرأة أخرى[١].

وعندما نتوقف عند مقدمة الدكتور سليمان الشطي نجد أنها كانت قراءة معمّقة للمجموعة، وجاءت في نحو ست صفحات، وفيها كشف عن أهمية التيار الواقعي في القصة القصيرة، وقال: "هذه المجموعة واحدة من التجارب التي تُلامس الواقع، وتخترق حاجب الظواهر عند البشر؛ لتغوص في أعماقهم، وتنفذ إلى مناطق لا يصل إليها إلا الفنّان المبدع القادر على تجلية خفايا النفس، فيسجّل لنا بعض تقلبات أحوال البشر في هذه الحياة وجوانبها الداخلية التي لا تحد أغوارها..، فوراء كل عين بشرية تختفي أكثر من حكاية، وفي مكنونات الصدور تسكن عشرات القصص..؛ لذا ظلت التجربة الواقعية ونماذجها البشرية تمثّل تجربة من أميز التجارب في تاريخ القصة"، وألمح إلى أن القصص جميعًا "منتزعة من الواقع، رتب أسلوبها، وقام بناؤها ليخدم هذه الرؤية، واعتمدت على تمثّل نماذج بشرية نعايشها وتعايشنا، نلتقي بها كتفًا بكتف"[٢].

وقد قدّمت الدكتوره هيفاء الفريح ورقة عن هذه المجموعة في الندوة التي نظمها النادي الأدبي بالرياض بعد رحيله، ومما قالت عن تجربته القصصيّة: "إن مجموعة عبد الرزاق المانع "ذات صباح ربيعي" تضم بين دفتيها: اثنتي عشرة قصةً تحكي عذابات الأفراد العاديين، لحظة أزمة. إنها قصص لا تتبع حيواتهم من المنبع حتى المصب، وإنما تقتنص الدوامة التي في نهر تلك الحيوات التزامًا بما تقتضيه أصول كتابة الأقصوصة". وأضافت: "إنه إكمالاً لمسيرة (جوجول) الذي خرج القُصّاص من معطفه؛ بتسليطهم الضوء على الشخصيات المسحوقة فقرًا وهمًا وظلمًا وإن المانع حوّل تلك العذابات، وفنية التركيز على لحظة كاشفة عنها" [٣].

ونلحظ أن مسرح العديد من القصص في مدينة الزبير حيث ولد وعاش الكاتب، ومن ذلك هذا المقطع من قصته "ذات صباح ربيعي"، يقول: "في مدينتنا الصحراوية (الزبير) وريثة البصرة القديمة (البصرة العمرية) حيث تقبع بيوتها الطينيّة المتشابهة حول بعضها، تمتد أزقتها الطويلة الضيّقة أذرعًا حانية تحتضن المدينة ليلاً، وتتفتح مع أول خيوط الشمس حيث تدب فيها الحركة، حركة الناس البسطاء الذين أسّسوا لأنفسهم نظام حياة.." [٤].

كما نلحظ حضور المرأة في معظم قصص المجموعة، ومن ذلك القصص التالية: ذات صباح ربيعي، والجوع، ومن أجل الأيام القادمة، والموت يخترق المدينة، وضياع داخل الذات، وغيرها [٥]،

---

[١] **ذات صباح ربيعي**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١١٩.

[٢] **ذات صباح ربيعي**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٣ و٤، (تقديم الدكتور سليمان الشطي).

[٣] **جريدة الرياض**، ١٤٣٨/٣/٢٧هـ (٢٠١٦/١٢/٢٦م).

[٤] **ذات صباح ربيعي**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٢٧.

[٥] **ذات صباح ربيعي**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٢٧و٣٣و٥٣وو٦١و٨٩.

وهو حضور تظهر فيه المرأة مظلومة في الغالب ومسحوقة ومضطهدة.

وقد استوقفت المجموعة الناقد مصطفى راضي فكتب عنها دراسة جيّدة نشرت في جريدة اليوم، وفيها لاحظ اختلاف المستوى الفني بين القصص، يقول: "يبرز هذا التفاوت أحيانًا واضحًا للمتخصص، ويتخفى أحيانًا أخرى، فقصص مثل (الأيدي الخشنة، والمحموم والموسم الجديد) مثلاً، وهي من أوائل ما نشر، تختلف من حيث أسلوب المعالجة وطبيعة المضمون والتعامل معه، عن قصص أخرى مثل: (ضياع داخل الذات، وقبر على قارعة الطريق، ومخالب الدم)، ففي المثال الأول يتناول القاص موضوعات اجتماعية تنطبع بطابع تربوي، ولغتها أقل مستوى في جانبها الفني من تلك الأخرى في المثال الثاني، حتى لكأنك، أحيانًا، أمام كاتبين وليس كاتبًا واحدًا" [١].

وأرجع ذلك إلى التفاوت الزمني في كتابتها ونشرها فقال: "تعليلي لكل ذلك، هو أن حزمة من السنوات تفصل بين قصصه القديمة . في الستينات من القرن الماضي، وبين الأخرى التي كتبها، على ما أظن، بعد هذا التاريخ بسنوات ليست قليلة، بعد توقف عن الكتابة فرضتها ظروف الكاتب الخاصة"[٢].

ونوّه الناقد بما وجده في المجموعة من تنوع الموضوعات "وتعدد الزوايا التي سلط منها الكاتب الأضواء على شخوصه وعلى الأحداث، مع وحدة في الرؤى تجمع بينها لتشكل في النهاية رؤية واحدة، في الجانب الإنساني والروحي، بمعناها البعيد المتجذر في أعماق الشخوص والأحداث، والمتصاعد في حالات نادرة، بانفعالية توشك أن تعرضها إلى درجة الانكشاف الوعظي".

وتوقف راضي عند شخصيات المانع فوصفها بأنها كانت "حية نامية وكاملة النمو والأبعاد والحركة منذ الوهلة الأولى التي نلتقيها، وهذا أمر حتمي في القصة القصيرة، فهي ليست كشخصيات الرواية التي نشهد نموها وتطورها خلال الأحداث والزمن الطويل ومن خلال المواقف، وشخوص (المانع) تنحدر من فئات اجتماعية مختلفة، منهم: الفلاح والكاتب الأديب والأمي.. ومنهم الشباب والشيوخ ومنهم الطيبون وآخرون غير ذلك وهم مختلفون أيضًا من حيث تكوينهم النفسي ومستواهم العلمي والاجتماعي، وتحتشد من خلالهم تقاليد ونوازع وطباع المجتمع الذي يعيشون فيه، وبخاصة تلك الشخوص التي تحمل تقاليدها ذات الإيقاع الهادئ المحتشم والتي تخص مدينة الزبير حيث ينتمي أكثر شخوص المجموعة" [٣].

ويبدو أن المانع انصرف عن القصة القصيرة بعد إنجاز هذه النصوص في وقت مبكّر إلى الشعر، ثم الرواية لاحقًا؛ لأننا لا نجد له نصوصًا حديثة في القصة القصيرة، في حين وجدنا له ثلاث قصائد

---

[١] "قراءة في مجموعة المانع القصصية "ذات صباح ربيعي"، مصطفى راضي، **جريدة اليوم**، ١٤٢٨/٥/٢٨هـ (٢٠٠٧/٦/١٤م).

[٢] **جريدة اليوم**، ١٤٢٨/٥/٢٨هـ (٢٠٠٧/٦/١٤م).

[٣] **جريدة اليوم**، ١٤٢٨/٥/٢٨هـ (٢٠٠٧/٦/١٤م).

منشورة في جريدة الجزيرة في الأعوام ١٤٢٨و١٤٢٩و١٤٣٣هـ (٢٠٠٨و٢٠١٢م) [١]، وقصيدتين تنشران في مجلتي: الفيصل، والفيصل الأدبية عامي ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، و١٤٣١هـ/٢٠١٠م [٢]، وقصيدة في مجلة البيان الكويتية عام ٢٠١٠م[٣].

المبحث الثالث

عبدالرزاق المانع روائيًا

كتب عبدالرزاق المانع القصة القصيرة والقصيدة الشعرية منذ وقت مبكر، في الستينات الميلادية من القرن الماضي، ولكنه لم يطرق باب الرواية إلا في سنوات عمره الأخيرة، ويبدو أنه كان متهيبًا كتابتها بدليل قوله: "لم أجرؤ على كتابة الرواية إلاّ مؤخرًا"[٤].

وقد أنجز روايته، وعنوانها "صخب الحياة"، ودفع بها إلى النادي الأدبي بالرياض الذي احتفى بها، وطبعها بالشراكة مع المركز الثقافي العربي في بيروت عام ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، وجاءت في مئة وست وعشرين صفحة من القطع دون المتوسط.

وتطرح هذه الرواية موضوعًا لم تتناوله الرواية السعودية إلا بشكل محدود جدًا، وهو هجرة قسم من أهالي نجد إلى جنوب العراق قبل أربعمائة سنة، وكيف عاشوا، وإلى أي حد تأثروا بمحيطهم، أو أثّروا فيه، وما الأسباب التي دعتهم إلى ترك (الزبير) التي عاشوا فيها ردحًا من الزمن والعودة إلى بلد المنشأ والأصل [٥].

وفي قالب روائي مشوق، تعرض هذه الرواية لحياة ثلاثة أشخاص من أهل مدينة الزبير في أواسط نشأتها قبل تسعين عامًا، بوصفهم نماذج تمثل مجموع الشرائح الاجتماعية من أهلها (النجادة، أي أصولهم من نجد) بمستوياتهم المعاشية المتباينة: (مؤذن وصاحب بسطية لبيع الخضروات، وسائق سيارة حمولة، امتلكها بعد جهد جهيد، وصاحب متجر لبيع المواد الغذائية والحبوب بالجملة والمفرد)، وشخصيات الرواية الرئيسة هم أولاد أصحاب المهن المذكورة آنفًا.

ومع أن "صخب الحياة" التجربة الأولى للمانع في مجال الرواية، فإنها جاءت خلاصة لتجاربه في الحياة، وتتويجًا لتجاربه الأدبية والكتابيّة، وتكشف الرواية عن ثقافة واسعة، ولغة جيدة، أسعفته لإدراك القالب الصحيح الذي تكتب من خلاله الرواية، مع تأثر واضح بالعديد من الأعمال الروائية العربية الجيدة.

ويمكن تصنيف الرواية بأنها "تاريخيّة"؛ لأنها موثقة بتواريخ صحيحة تؤرخ لحقبة تاريخية مهمة في حياة شريحة من النجديين في العراق، وترصد أهم

---

[١] **جريدة الجزيرة**، ع ١٢٨٧٨، ١٤٢٨/١٢/٢٣هـ (٢٠٠٨/١/١م)، و**جريدة الجزيرة**، ع ١٣٠٦٢، ١٤٢٩/٦/٢٩هـ (٢٠٠٨/٧/٣م)، و**جريدة الجزيرة**، ع ١٤٤٠٧، ١٤٣٣/٤/١٦هـ (٢٠١٢/٣/٩م).

[٢] **مجلة الفيصل**، ع ٣٩٥و٣٩٦، الجماديان ١٤٣٠هـ (مايو/ يونيو ٢٠٠٩م)، و**مجلة الفيصل الأدبية**، مج ٦، ع ٣و٤، جمادى الأولى ـ شوال ١٤٣١هـ (أبريل ـ أكتوبر ٢٠١٠م).

[٣] **مجلة البيان**، العدد ٤٨١، أغسطس ٢٠١٠م، ص ١١٠.

[٤] ورقة بخط الأستاذ عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله، تاريخها ١٤٣٦/١١/٢هـ (٢٠١٥/٨/١٧م).

[٥] تُنظر: **جريدة الشرق الأوسط**، ١٤٣٧/٢/٢٧هـ (٢٠١٥/١٢/١٠م).

الأحداث السياسية بعد القضاء على الحكم الملكي، ومن هنا نجد أن العمل تتشابك فيه الحقائق بالخيال، يقول في جزء من الرواية: "انتقل أحمد وعبد القادر لاحقاً لإكمال دراستهما الثانوية في البصرة، وتخرجا فيها بتفوق في عام ١٩٥٨م. وفي ذلك العام، وفي شهر تموز- يوليو- وفي الرابع عشر منه، وقع حادث جلل رجّ البلاد والعباد، ووضع العراق مشرع الأبواب والشبابيك أمام عواصف شتى تجتاح ساحاته، تتحرك وتندفع وفق تخطيط مدروس، رسمته هيئات ومؤسسات خارجية، تمكنت من اختراق غالبية التنظيمات والأحزاب ذات النشاط السياسي،...فساد روح الانتقام السياسي والتهديد بالعنف والتصفيات، وخلال عام واحد فقط من حدوث الانقلاب العسكري في شهر تموز (يوليو) عام (١٩٥٨م) وإسقاط الحكم الملكي"[١].

وفي موضع آخر نراه يقول: "كانت الانقلابات سمة الحياة السياسية بعد انقلاب تموز في عام (١٩٥٨م) بعد حياة الكبت والمنع أيام الحكم الملكي، وعمت ثقافة الترويع والصوت الواحد بعد الانقلاب المذكور بأشهر قليلة، وفي تلك الفترة عانى الناس من التضييق على حركتهم ونشاطاتهم، وأصبح (القابض على دينه وقوميته كالقابض على الجمر) كما ورد في خطاب استقالة (فائق السامرائي) وزير الثقافة في وزارة عبد الكريم قاسم، وهو من قيادات حزب الاستقلال. وكانت سياسة الترويع وكبت الأصوات التي مارسها الشيوعيون في عام ١٩٥٩م تستند إلى ثقافتهم العنيفة وإلى تجارب الأحزاب الشيوعية في العالم" [٢].

ويقص ما جرى بعد ذلك من أحداث، ومن أهمها استيلاء حزب البعث على الحكم فيقول على لسان أبطال روايته: "نشط البعثيون وتحملوا الكثير من سخط أقرانهم الشيوعيين وأذاهم، إلى أن تمكنوا من خلال تنظيمهم السري في القوات المسلحة من تحقيق انقلابهم في شباط (فبراير) حيث صادف في شهر رمضان في عام ١٩٦٣م، وقد مارس البعثيون مع مناوئيهم ذات الأسلوب العنيف، وبخاصة مع الشيوعيين والإسلاميين وملأوا السجون ونشروا الرعب بمليشياتهم (الحرس القومي) إلى أن أطاح بنظامهم العقيد عبد السلام عارف في عام (١٩٦٤م)، ولكن حكمه لم يستمر طويلاً، حيث عاد البعثيون في عام (١٩٦٨م) ولأعوام طويلة مارسوا أعمال العنف والقمع مع الآخرين، ولكنهم هذه المرة (حكومة، ودولة) وليسوا حزبًا يقمع الآخرين كما فعل أقرانهم الشيوعيون، ونادوا بنظام الحزب القائد، وسُجّل لهم أنهم تمكنوا من النهوض بالبلد اقتصاديًا في جانبيه: (النفطي والزراعي)" [٣].

وهكذا نجد أن الرواية ترصد أحداثًا حقيقية في قالب روائي، وتأتي هذه المعلومات في سياق حوار بين

---

[١] **صخب الحياة** (رواية)، عبدالرزاق بن سعود المانع، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي بالشراكة مع المركز العربي الثقافي ببيروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٢٤.

[٢] **صخب الحياة**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٢٥.

[٣] **صخب الحياة**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٢٧.

الأصدقاء الثلاثة الذين يحملون أسماء متخيّلة، وقد تكون رموزًا لأسماء حقيقية.

ونظرًا لأن الروائي ولد وعاش في مدينة الزبير، فإننا نعثر على وصف دقيق لكل الأماكن التي عرفها وخبرها، ومن ذلك هذا الوصف لرحلة الطلاب من البيت إلى المدرسة: "كانت الطريق إلى متوسطة الزبير من (الزهيرية) حيث يسكن أحمد النشواني وعبدالقادر العتبان في الأحوال العادية، طويلة إذ يتوجب على الصديقين أن يسيرا معًا كل يوم متجهين غربًا مخترقين سوق (الجت) ومنه إلى سوق الخضار والفواكه، والحصر..مرورًا بجامع الزبير بن العوام، ثم ينحرفان يمنة إلى سوق الحزم صعودًا إلى شارع مديرية الناحية من خلال شارع (السويلم)، ومنه إلى مديرية الناحية حيث يصلان في نهايته إلى متوسطتهم، وهم يسلكون هذا الطريق مرتين يوميًا في الدوام الصباحي ودوام ما بعد الظهر، عدا يوم الخميس إذ يقتصر فيه الدوام على الفترة الصباحية" [١].

وفي قراءة للرواية، وصف الدكتور معجب بن سعيد العدواني "صخب الحياة" بأنها "من روايات الشتات النجدي المتواتر، الذي عانته عائلات نجدية كثيرة منذ أكثر من أربعة قرون مبينًا أن تلك العائلات من أواسط الجزيرة العربية، لتستقر في البلدان المجاورة كالعراق والبحرين والكويت، وكانت مدينة (الزبير) موقعًا ملائمًا لأغلبها، وحقق أولئك المهاجرون نجاحات كبيرة في ميادين الحياة المختلفة، لكنهم عانوا من ويلات الهجرة، وآلام الشتات" [٢].

وأشار العدواني إلى أن الجيل الجديد الذي تشرب الفن الروائي وعى هذه الظاهرة "فكتبوا عنها أعمالًا روائية، وفي هذا السياق تأتي رواية المانع موضوع الدراسة، ومن الذين كتبوا عن التجربة من الخارج نشير إلى منجز الروائي البحريني أحمد جمعة في روايته "يسرا البريطانية"، وتشكل هذه الأعمال التي اهتمت بمدينة الزبير نواة تيار روائي جسّد كتابة المنفى، لكنها لم تستثمر بعد في الدرس النقدي"[٣].

المبحث الرابع

عبدالرزاق المانع شاعرًا

كان المانع مولعًا بالشعر، وبدأ كتابته ـ كما ذكر في الورقة ـ وهو دون العشرين، وكان يعرض إنتاجه الشعري في حينها على الدكتور يعقوب الباحسين[٤]، وكان يوجّهه حول بعض الأمور المتعلقة بالوزن، ومنه تعرف على بحور الشعر، وتوسّع في معرفتها، ومن شواهد اهتمامه بالشعر، تقديمه لديوان زميله علي بن يوسف العنيزي (ت١٤١٨هـ/١٩٩٧م) المطبوع في عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م[٥].

---

[١] **صخب الحياة**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٣٤.

[٢] **جريدة الرياض**، ١٤٣٨/٣/٢٧هـ (٢٠١٦/١٢/٢٦م).

[٣] **جريدة الرياض**، ١٤٣٨/٣/٢٧هـ (٢٠١٦/١٢/٢٦م).

[٤] هو يعقوب بن عبدالوهّاب الباحسين، من مواليد عام ١٩٢٩م. رحل من الزبير إلى الرياض في عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، والتحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية (فرع الدراسات الإسلامية) عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. (موسوعة ويكيبديا العالمية، و"الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي"، ص٦٢٧).

[٥] **الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي**، ص٤٤٥.

وقد أشار إلى أن لديه ديوانًا متكاملاً بالقصيدة العمودية وبالقصيدة الحرة [١]، وصدر الديوان بالفعل، وعنوانه "قصائد لكل الناس"، ولكن لم يؤرّخ لصدوره، ويتوقع أن يكون صدوره في عام ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م؛ لأنه عندما كتب الورقة تعريفًا بحياته وإنتاجه الأدبي عام ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م كان ذلك قبل أن يصدر الديوان، في حين وافته المنية في عام ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.

ويكشف الديوان الذي جاء في مئة وإحدى وأربعين صفحة عن علاقة قديمة للمانع بالشعر، وعن مشاركات له في بعض المحافل المهمة، وفي المقدمة: مهرجان المربد عام ١٩٦٩م[٢].

كما شارك المانع بعد ذلك في مهرجانات ومحافل شعرية أخرى، ومنها: احتفالية الشاعر نزار قباني في دمشق بسوريا عام ٢٠٠٦م[٣]، وفي الأمسية الشعرية التي أُقيمت على هامش حفل تدشين معجم البابطين لشعراء القرنين: التاسع عشر والعشرين في دولة الكويت عام ٢٠٠٨م[٤].

وقد ضمّ الديوان أربعين قصيدة، منها: في ذكرى نزار قباني، والرشيد أمام المنطقة الخضراء، والمجد للأفعال المجيدة، وكبرياء الجرح، ومدينة الزبير، وعلى حافة الأصيل، وعندما يهفو الفؤاد، وغيرها[٥].

ويُتوقع أن تكون معظم القصائد سبق نشرها في الصحف والمجلات العربية، غير أنني بعد البحث في مجلة الآداب اللبنانية، ومجلة البيان الكويتية، وفهارس المجلات والصحف السعودية لم أجد إلا خمس قصائد منشورة له، وهي على النحو التالي:

١. قصيدة "طيف الحبيبة"، نُشرت في جريدة الجزيرة عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م[٦].

٢. قصيدة "من أجل أن تلتئم الجراح"، نُشرت في جريدة الجزيرة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م[٧].

٣. قصيدة "مجرد أرق"، نُشرت في مجلة الفيصل عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م[٨].

٤. قصيدة "كسرتُ عنق الزجاجة"، نُشرت في مجلة "الفيصل الأدبية" عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م[٩]، وفي مجلة البيان الكويتيّة في أغسطس عام ٢٠١٠م[١٠]، ولم تُنشر في ديوانه؛ والأرجح أنه نسيها عندما جمع مادة الديوان.

٥. قصيدة "القوارير"، نُشرت في جريدة الجزيرة عام ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م[١١].

أما القصائد المرتبطة بمناسبات فهي ثلاث قصائد، وهي:

١. قصيدة "تحية إلى مؤتمر الشعر العربي في المربد". وقد كتب المانع في الحاشية: "شاركتُ بهذه

---

[١] ورقة بخط الأستاذ عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله، تاريخها ١٤٣٦/١١/٢هـ (٢٠١٥/٨/١٧م).

[٢] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١٧.

[٣] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٢٢.

[٤] **جريدة الراي الكويتيّة**، ٢٠٠٨/١١/١م، ص٢٢.

[٥] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١٣٨.

[٦] **جريدة الجزيرة**، ع ١٢٨٧٨، ١٤٢٨/١٢/٢٣هـ (٢٠٠٨/١/١م).

[٧] **جريدة الجزيرة**، ع ١٣٠٦٢، ١٤٢٩/٦/٢٩هـ (٢٠٠٨/٧/٣م).

[٨] **مجلة الفيصل**، ع ٣٩٥ و٣٩٦، الجماديان ١٤٣٠هـ (مايو/ يونيو ٢٠٠٩م)، ص٤٠.

[٩] **مجلة الفيصل الأدبية**، مج ٦، ع ٣و٤، جمادى الأولى ـ شوال ١٤٣١هـ (أبريل ـ أكتوبر ٢٠١٠م).

[١٠] **مجلة البيان**، العدد ٤٨١، أغسطس ٢٠١٠م، ص ١١٠.

[١١] **جريدة الجزيرة**، ع ١٤٤٠٧، ١٤٣٣/٤/١٦هـ (٢٠١٢/٣/٩م).

القصيدة في أول مهرجانات المربد في عام ١٩٦٩م. وقد حضر المهرجان وشارك فيه نخبة من ألمع شعراء العراق والعرب"، وأصدرتْ إدارة المهرجان كتيبًا أعده العوضي الوكيل عرض فيه للقصائد التي أُلقيت في المهرجان فوصف المانع بأنه "أعطى الكلمة الشاعرة قدرها ومنحها ما تستحق من تقدير" [١].

٢. قصيدة "في ذكرى نزار قبّاني"، وبهذه القصيدة شارك المانع في "احتفالية دمشق الكبرى إحياءً لذكرى الشاعر العربي الكبير نزار قبّاني" بدعوة من وزارة الثقافة السوريّة عام ٢٠٠٦م [٢].

٣. قصيدة "المجد للأفعال المجيدة". وقد شارك المانع بهذه القصيدة في الأمسية الشعرية التي أُقيمت على هامش دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين: التاسع عشر والعشرين في دولة الكويت عام ٢٠٠٨م[٣].

وهناك قصيدة له جاءت معارضة لقصيدة أخرى، وهي قصيدته "طيف الحبيبة" التي نشرتها جريدة الجزيرة، وفيها عارض قصيدة عبدالعزيز بن سعود البابطين "عند البحيرة"[٤]، وعند إعادة نشر القصيدة في الديوان حذف هذه الإشارة.

مضامين شعره:

بإلقاء نظرة على ديوان المانع بقصائده الأربعين نجد أنه طرق أغراضًا عديدة، وهي: المديح، والرثاء، والغزل، والشكوى والتأمل والحنين، وهي تعدّ من الأغراض الشعرية القديمة، كما نجد أن "الشعر السياسي" وهو غرض جديد يأخذ حيزًا لا بأس به من الديوان.

ويمكن تصنيف قصائد الديوان على النحو التالي:

١. القصائد الغزلية والعاطفية، وهذه تمثل الجزء الأكبر من الديوان، وعددها ثلاث عشرة قصيدة.
٢. القصائد السياسية، وعددها سبع قصائد.
٣. قصائد التأمل والشكوى، وعددها ست قصائد.
٤. قصائد المديح، بما فيها مديح الرسول صلى الله عليه وسلم، وعددها أربع قصائد.
٥. قصائد الرثاء والتأبين، وعددها ثلاث قصائد.
٦. وله في الحنين قصيدة، وفي الهجاء قصيدة.

ولعل أهم غرضين يمكن التوقف عندهما: الشعر العاطفي، والشعر السياسي، وهو ما سنعرض له ببعض الشواهد.

أولاً: الشعر العاطفي/ الغزل:

أهمل المانع تواريخ نظم قصائده، ولم نعرف السياق الزمني لها إلا من بعض المناسبات المرتبطة بها مثل قصيدته التي ألقاها في مهرجان المربد، أو في ذكرى الشاعر نزار قبّاني، أو تاريخ نشرها في الصحف والمجلات قبل جمعها في الديوان.

وبقراءة قصائد الغزل في الديوان يتضح إلى حد كبير أنها من بواكير شعره في الجملة، ونظمها في سن الشباب، باستثناء قصيدته "طيف الحبيبة" التي كانت

---

[١] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١٧.
[٢] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٢٢.
[٣] **جريدة الراي الكويتيّة**، ٢٠٠٨/١١/١م، ص٢٢.
[٤] **جريدة الجزيرة**، ع ١٢٨٧٨، ١٤٢٨/١٢/٢٣هـ (٢٠٠٨/١/١م).

معارضة لقصيدة ونُشرت قبل سنوات قليلة في الصحف، ومن أبرز القصائد الغزلية: الذكرى ماتزال تنزف، ووفاء للإباء، والقوارير، وسلوها، وبانتظار إطلالة الشمس، وحبيبتي، ومكاشفة، وبانتظار المطر، وعندما يهفو الفؤاد[١]، وغيرها.

ويرسم المانع الحبيبة غالبًا في صورة فتاة تتمنّع وتدل بجمالها، وهو ما يمكن الوقوف عليه من خلال قصيدته "طيف الحبيبة"، وفيها يقول:

يـا عشـقَ دنيـايَ الوحيـدَ ومنيتـي ... هـــلاّ رفقـــتِ بقلبـــيَ المتوجّـــعِ؟
كـــي أســـتريحَ ســـويعةً مـــن لـــوعتي ... وتخـــفَ نيـــرانٌ تحـــرّقُ أضـــلعي
يـا ويـحَ قلبـي كـم تحمّـلَ مـن أسـى ... ومـــن الجفـــاءِ ولـــم يَـــبحْ أو يـــدّعي
إنْ قلـــتُ يومًـــا ســـامحي أو تســـامحي ... باعـدتِ عنـي الخطـوَ كـي لا تسـمعي![٢]

وتولد القصيدة العاطفية معه مرتبطة بالذكريات العذبة، ويعود منكسرًا يبحث عن سلوته بين قلمه وأوراقه:

إذا ذكرتـكِ مـاجَ الشـوقُ فـي كبـدي ... ورحـــتُ أعتصـــرُ الأوراقَ والقلمـــا
حبـــي إليـــكِ مديـــدٌ دونمـــا أمـــلٍ ... أعـــيشُ ذكـــراكِ مفجوعًا..ومنهزمـــا
إليـــكِ منـــي تحيـــاتٍ معطّـــرةً ... قـد شـاخَ دهـري وظـلَ الشـوقُ محتـدما[٣]

لكنه في قصائد أخرى قد يخرج من هذا الإطار، فنراه يعاند ويتمسك بالصبر مع ما يخفيه من "حرق التلهف"، ويهتف: "لن أستكين"[٤]، ويصف نفسه في موضع آخر بأنه "صامدٌ أشمّ"[٥]، وعندما عادت إليه الحبيبة بعد جفاء عاتبها في قصيدته "كبرياء الجرح":

أتيتِ أخيرًا

.....

ويخفقُ قلبي

سأنسى عذابات ليلي

ودمعي وذلي

وأشواق روحي..انكساري

فتزجرني صحوةٌ في الدماءِ

حذارِ!

فأرتدُ عنكِ وأبكي[٦]

وفي قصيدة أخرى عنوانها "لقاء" يصف لقاءه بالحبيبة، وكيف كانت فرحته ولهفته بهذا اللقاء، ولكنّ الفرحة لا تكتمل إذ كان اللقاء مجرد حلم لذيذ![٧].

ثانيًا: الشعر السياسي:

قضى عبدالرزاق المانع شطرًا من حياته في العراق، وعاصر معظم المحن التي حلت بهذا البلد العربي، وأدرك النكبات التي مُنيت بها الأمة العربية بشكل عام، ومنها نكبة فلسطين والنكسة وغيرها، ولم يجد بدًا من التفاعل مع هذه الهموم السياسية، مع استدعاء لبعض الأحداث التاريخية القديمة، وسنحت له فرصة تأمل واقع اليهود المعاصر مع حادثة قديمة ترتبط بالسموأل الذي يُضرب به المثل في الوفاء بالعهد، فرأى أن يتناول قصة السموأل بمنظار آخر يرى أنه لا يمكن لليهود أن يكتسبوا صفة حسنة، وكتب قصيدة عنوانها "السموأل يسلّم ولده للموت"، وفيها يرى أن حب السموأل للذهب والمال

---

[١] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، الصفحات: ٣٩ و٤١ و٤٤ و٥٠ و٥٣ و٥٥ و١٣٥.
[٢] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٣٣.
[٣] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٤٠.
[٤] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٤٣.
[٥] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٤٩.
[٦] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٧٥.
[٧] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١٢٦.

استحوذ على نفسه فضحّى بابنه مقابل الاحتفاظ بالوديعة:

أمام العصور
أمام الرجال
وفي حضرة الشعرِ
قلْ يا سموأل
لقد فُكّ ذاك الحصارُ
ومات امرؤ القيس
.....
أين الوديعة؟
رأيتكَ تحتال للأمرِ عند انبلاجِ الضياء
فتصحو يهوديةٌ فيكَ للمالِ تصحو
فتلبسها حلةً من وفاء
وتضحية قلّ أمثالها في العصور
فقدّمتَ للموتِ ابنك
لكي ما تفوز بمجدِ العصور
ولكنه المالُ مالُ الوديعة
أهمُّ وأغلى! [1].

ويستدعي في قصيدته "الرشيد أمام المنطقة الخضراء" الخليفة العبّاسي ومقولته "أمطري حيث شئت..."، ويتحسّر على حاضر العراق وحاضر الأمة العربية:

قائمًا
أرقبُ امتدادَ المدى
ولفحَ الرياحِ
يائسًا
أُلوّح للغيمةِ البكرِ تنأى بعيدًا
خلال الدخان الثقيلِ
وقصف المدافعْ:
أينما تمطري
فلن يأتي خراجكْ[2].

ولا ينفكّ المانع من الاتكاء على التاريخ لتفسير بعض الظواهر السياسية المعاصرة والهزائم المتكررة والإحباطات في الأمة العربية والإسلامية، وهو ما تناوله في قصيدته "مجرد أرق"، وفيها يذكّر بقصة آخر ملوك غرناطة الذي بكى في حجر أمه بعد فوات الأوان:

أرقتُ
أُناجي على البعدِ بوحَ الصدى
ونجمًا أفلْ
وأستفُ همي
أحاور ليلاً ثقيلَ المطايا
ينوءُ
بكلكله كالجبلْ

وفي نهاية القصيدة يستدعي قصة الخليفة الصغير فيقول:

فيبكي (الصغيرُ)
كما طفلةٍ ضاعَ منها الطريقُ
فتصفعه الأحرفُ الراعفاتُ:

---

[1] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٣٠.

[2] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٣٧.

"ابكِ مثلَ الصغار ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثلَ الكبارِ"[١].

ويتألم لواقع العراق المر فيصرخ:

حـــزنٌ ألـــمَ بأرضـــنا فمـــا بقـــاؤك يـــا حَـــزَنْ؟
مـــا هـــانَ شـــعبكَ يـــا عـــرا قُ إذا انتخيـــتَ ولا وهَـــنْ
إنْ لـــم نحقّـــقْ زحفَنـــا مـــنْ ذا يُحقّقـــه إذنْ[٢]

وهكذا نجد أن ديوان المانع يحفل بكثير من النصوص السياسية التي عالج من خلالها أحداث الحاضر باستدعاء أحداث الماضي.

ظواهر في شعره:

ربما من أهم الظواهر في شعر عبدالرزاق المانع كتابته الشعر على نمطين: الشعر العمودي التناظري، وشعر التفعيلة، مع اختلاف بيّن في المستوى اللغوي وفي التراكيب بين القصائد العمودية وقصائد التفعيلة، وهناك تناسب في العدد تقريبًا بين هذه القصائد وتلك، فعدد القصائد العمودية ثلاث وعشرون قصيدة (٢٣)، في حين بلغت قصائد التفعيلة ثماني عشرة قصيدة (١٨) [٣]، ويعود السبب في ظني إلى أن المانع (ولد١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) واكب نهضة الشعر العربي الحديث وعاش معظم حياته في العراق، وكان متصلاً كما مر بنا في المبحث الأول ببعض المجلات العربية، ومن أهمها (الآداب) التي كانت تحتفي بنشر العديد من القصائد لنزار قباني ونازك الملائكة والسياب وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرهم، كما أن بيئة العراق تحديدًا كانت خصبة في المجال الشعري، وشهدت أهم التجارب في تجديد الشعر العربي، وكان فيها من كان يمسك براية الشعر العمودي في أنضج صوره على يد الجواهري وغيره، كما كان المانع . كما يتضح من نصوصه - مشدودًا إلى الشعر القديم في عصوره الزاهية؛ ومن هنا جاءت تجربة المانع الشعرية متأثرة بكل هذه التيّارات المختلفة.

ولعلنا لاحظنا بوضوح اختلاف اللغة لديه بين العمودي والتفعيلة، وهذا ربما يعود لكتابته العمودي تحت تأثير نصوص مشابهة في القديم أو المعاصر، وكتابته للتفعيلة تحت تأثير نصوص جيّدة من شعر التفعيلة، وربما تكون معظم نصوصه العمودية مرتبطة بمرحلة من حياته مبكّرة، في حين ارتبطت تجاربه في شعر التفعيلة بالنصوص الأخيرة.

ومن التراكيب والألفاظ التي نجدها في شعره العمودي: "نفسي الفداء"، و"ياحبذا نفحات"، و"صلّى عليكَ إله الكون"[٤]، و"ما ارعوى القلبُ أو ندمْ"، و"لحا الله دهرًا"[٥]، وغيرها من التراكيب والألفاظ ذات النزعة التراثية الواضحة.

أما في معظم شعر التفعيلة لديه فنجد لغة حديثة مختلفة تمامًا عن لغة الشعر العمودي؛ مما يؤكّد أثر القراءات فيه، ومن ذلك الكلمات التالية: "ويُعلن ميلادها العبقري"، و"في جرأة المبدعين"، و"تُصافح

---

[١] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٦٢.
[٢] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٩١.
[٣] بإضافة قصيدة "كسرتُ عنق الزجاجة"، وهي من شعر التفعيلة، ونُشرت في **مجلة البيان**، العدد ٤٨١، أغسطس ٢٠١٠م، ص ١١٠.
[٤] من قصيدته "يا سيدي يارسول الله"، **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١١.
[٥] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٤٧، و٥٨.

أرضًا علاها التصحرُ والقهر"، و"غاض فيه الفرح وشاختْ على مقلتيه القرون"، و"نسابقُ الفرحَ المجنّحَ لاهثيْن"[١]، وغيرها من الكلمات.

أما الظاهرة الثانية فهي ظاهرة التناص مع النصوص القديمة وتوظيفها ضمن نصوصه بمهارة في معظم الأحيان، وتأتي متسقة مع السياق ومع الفكرة، ونلحظ تفاوت التناص لديه من كلمة أو كلمات تذكّرنا ببيت شعر شهير، أو باقتناص بيت كامل أو إضافة كلمة، أو تعديل أخرى على بيت، ففي قصيدته "مجرد أرق" تحضر معلّقة امرئ القيس بطريقة غير مباشرة إذ يوظف بعض كلمات المعلّقة في سياق قصيدة تفعيليّة:

متى فجرنا، ليلنا، عشقنا ينجلي؟

.....

حشودٌ من الظلمة الموحشة:

(ألا أيها الليل هل تنجلي بصبحٍ)؟

به صبحنا يبزغ؟[٢]

وهذه المقاطع ولا ريب تُعيدنا إلى بيت امرئ القيس:

أَلا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ[٣]

وعندما نقرأ مطلع قصيدته "الخيل تعرف طريقها"، وهو قوله:

هل غادرتْ قيعانَها الدُّرُ أم هل تعرّى للأسى البحرُ[٤]

نتذكر على الفور مطلع معلّقة عنترة العبسي:

هل غادرَ الشعراءُ من مُتردَّمِ أم هل عرفتَ الدارَ بعد توهّمِ[٥]

على أنه قد يأخذ نحو شطر من قصيدة قديمة فتدخل في نسيجها ممتزجة معها ومع سياقها، وموضوع القصيدة الشكوى، وعنوانها "لهفة"، وفيها يقول:

أُكفكفُ همّي في الصباحِ تجمّلاً وأثوي إذا حلّ المساءُ وأرقدا
(نهاري نهارُ الناسِ حتى إذا أتى الليلُ) عادتني همومي مجدّدا[٦]

فالشطر الأول من البيت الثاني مأخوذ معظمه من بيت لقيس بن ذريح، ونصه:

نهاري نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ليَ الليلُ هزّتني إليكِ المضاجعُ[٧]

وهناك تناص مع الشاعر العرجي وبيته الشهير:

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ[٨]

ولكنه تناص غير مباشر، أو ما يمكن تسميته بالعميق إذ وظّف مفردة (أضاعوني) في طرح هموم سياسية، وعنوان القصيدة "الفاجعة"، وفيها يقول:

أضاعوني

وأحنى رأسه النخلُ

---

[١] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٢٢و٢٧و٣٨و٤٢.
[٢] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص٦٤و٦٥.
[٣] **شرح المعلّقات السبع**، أبو عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني (ت٤٨٦هـ)، الطبعة الرابعة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص٢٣.
[٤] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١٠٣.
[٥] **شرح المعلّقات السبع**، ص١١٦.
[٦] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١٠٩.
[٧] **ديوان قيس بن ذريح** (ت٦٨هـ)، اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي، الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٤٦.
[٨] **ديوان العرجي** (ت١٢٠هـ)، جمعه وحقّقه وشرحه الدكتور سجيع جميل الجبيلي، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م، ص٢٤٦.

.....

تقضُّ مضاجعَ الأعوام والحرفِ

أضعناه!

ويسري صوته الألمُ

جريحًا

عبر أيامٍ عجافٍ تُورثُ الندما

أضاعوني!

أضاعوني!

وأي (حمى) أضاعوا!! [١]

وهناك مواضع أخرى فيها تناص مع أبيات لشعراء آخرين، وهم: ديك الجن، وابن الرومي، والمتنبي، وغيرهم[٢].

وأخيرًا، فإن مما يؤخذ على المانع رحمه الله في هذا الديوان، خلو القصائد من التواريخ، وخلوها من الترتيب حسب الموضوعات، أو الأقدمية، أو بأي ترتيب يخدم النصوص والقارئ والباحث معًا.

الخاتمة

تصدى هذا البحث لأديب سعودي لا يكاد يعرف إنتاجه إلا قلة قليلة من المتخصصين في الأدب العربي الحديث، وهو عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله، وتناول البحث ثلاثة مجالات من عطائه الأدبي: في القصة القصيرة، والرواية، والشعر؛ مما يعني أننا أمام موهبة متعددة العطاء، وفرضت طبيعة البحث وكونه أُعد للنشر في مجلة علمية محكّمة أن يكون التناول موجزًا وغير مفصّل إذ الهدف من البحث التعريف بهذا الأديب وبمراحل حياته ومؤثرات أدبه، مع تناول أدبه القصصي والروائي والشعري بإيجاز في إطار المنهج التاريخي الذي يحفل برصد التجربة الأدبية وفق التاريخ، ويوصي البحث بأن يكون المانع مجال دراسة موسّعة في الدكتوراه تشمل كل إنتاجه الأدبي، أو في رسالة ماجستير تأخذ جانبًا واحدًا من منجزه الأدبي (القصة، أو الرواية، أو الشعر).

وآمل أن يكون هذا البحث قد مهّد الطريق للباحثين والباحثات في المستقبل لدراسة أدب عبدالرزاق بن سعود المانع باستفاضة وإحاطة.

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصادر:

١. **ذات صباح ربيعي** (مجموعة قصصيّة)، عبدالرزاق بن سعود المانع، الطبعة الأولى، الكويت: شركة سيتي جرافيك، ٢٠٠٥م (تقديم: د.سليمان الشطي).

٢. **صخب الحياة** (رواية)، عبدالرزاق بن سعود المانع، الطبعة الأولى، الرياض: النادي الأدبي بالشراكة مع المركز العربي الثقافي ببيروت، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٣. **قصائد لكل الناس** (ديوان)، عبدالرزاق بن سعود المانع، الطبعة الأولى، (د.ت).

---

[١] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، ص١١٨.

[٢] **قصائد لكل الناس**، عبدالرزاق بن سعود المانع، الصفحات: ٣٦ و٥٤ و٦٠.

٤. ورقة بخط الأستاذ عبدالرزاق بن سعود المانع رحمه الله، تاريخها ١٤٣٦/١١/٢هـ (٢٠١٥/٨/١٧م).
٥. مكالمة هاتفية مع عبدالكريم بن سعود المانع، تاريخها ١٤٤٠/١٠/١٢هـ (٢٠١٩/٦/١٥م).
٦. مكالمة هاتفية مع رافع بن عبدالرزاق المانع، تاريخها ١٤٤٠/١٠/١٣هـ (٢٠١٩/٦/١٦م).

ثانيًا: المراجع:

١. **ديوان العرجي** (ت١٢٠هـ)، جمعه وحقّقه وشرحه الدكتور سجيع جميل الجبيلي، الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م.
٢. **ديوان قيس بن ذريح** (ت٦٨هـ)، اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي، الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣. **الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي**، عبدالعزيز بن إبراهيم الناصر، الطبعة الأولى، الرياض: وهج الحياة للإعلام، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٤. **شرح المعلّقات السبع**، أبو عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني (ت٤٨٦هـ)، الطبعة الرابعة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
٥. **معجم تراجم أعضاء رابطة الأدباء الكويتيين**، إعداد: طلال الرميضي وأبرار ملك، الطبعة الأولى، الكويت: رابطة الأدباء الكويتيين ومنشورات ذات السلاسل، ٢٠١٥م.

ثالثًا: الدرويات:

١. **جريدة الجزيرة**، ع ١٢٨٧٨، ١٤٢٨/١٢/٢٣هـ (٢٠٠٨/١/١م).
٢. **جريدة الجزيرة**، ع ١٣٠٦٢، ١٤٢٩/٦/٢٩هـ (٢٠٠٨/٧/٣م).
٣. **جريدة الجزيرة**، ع ١٤٤٠٧، ١٤٣٣/٤/١٦هـ (٢٠١٢/٣/٩م).
٤. **جريدة الراي الكويتيّة**، ٢٠٠٨/١١/١م.
٥. **جريدة الرياض**، ع ١٤٧٨٠، ١٤٢٩/١٢/١٣هـ (٢٠٠٨/١٢/١٧م).
٦. **جريدة الرياض**، ١٤٣٨/٢/٢هـ (٢٠١٦/١١/٢م).
٧. **جريدة الرياض**، ١٤٣٨/٣/٢٧هـ (٢٠١٦/١٢/٢٦م).
٨. **جريدة الرياض**، ع ١٧٧١٧، ١٤٣٨/٣/٢٧هـ (٢٠١٦/١٢/٢٦م).
٩. **جريدة الشرق الأوسط**، ١٤٣٧/٢/٢٧هـ (٢٠١٥/١٢/١٠م).
١٠. **جريدة اليوم**، ١٤٢٨/٥/٢٨هـ (٢٠٠٧/٦/١٤م).
١١. **مجلة الآداب** (تصدر في بيروت)، السنة ١٣، العدد الرابع، نيسان/ أبريل ١٩٦٥م.
١٢. **مجلة الآداب**، السنة ١٣، العدد الخامس، أيار/ مايو ١٩٦٥م.
١٣. **مجلة الآداب**، السنة ١٣، العدد السادس، حزيران/ يونيو ١٩٦٥م.

١٤. **مجلة البيان** (تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين)، العدد الثاني، مايو ١٩٦٦م، ص٢٤.
١٥. **مجلة البيان**، العدد ٤٨١، أغسطس ٢٠١٠م، ص ١١٠.
١٦. **مجلة الفيصل**، ع ٣٩٥ و٣٩٦، الجماديان ١٤٣٠هـ (مايو/ يونيو٢٠٠٩م).
١٧. **مجلة الفيصل الأدبية**، مج ٦، ع ٣و٤، جمادى الأولى ـ شوال ١٤٣١هـ (أبريل ـ أكتوبر ٢٠١٠م).

Abulrazzaq Saud Al Mana (1937-2016) His life and Literature

Dr. Abdullah Abdulrahman Alhaidary
Associate Professor at Arabic College in Riyadh
Mohammed Bin Saud Islamic University

Abstract. this paper records the history of the writer Abulrazzaq Saud Al Mana (1937-2016) who spent a large portion of his life in Al-Zubair in Iraq where he was born, raised, studied and worked in education sector in Al Zubair and Basrah until he retired on 2000 and came back on 2002 to his country Saudi Arabia where he died in Riyadh city on 2016.

This paper unveil the contents of his literature works in story, poetry, and novel. This paper casts an analytical view on his production in four sections: first one is about his life in Al-Zubair and Riyadh, the second one is about him being a storyteller, the third one is about his being a novelist, and the fourth one is about him being a poet.

Keywords: Saudi poetry, Saudi novel, Saudi story, Al-Zubair city, Abdulrazzaq Al Mana.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ١٩٣- ٢١٥ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-3.8

الشهادة الأدبية وبناء صورة الذات الساردات السعوديات نموذجا

د. عبد الله بن حمود الفوزان

قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة القصيم.

مستخلص. يعد السرد النسوي السعودي علامة فارقة في تاريخ السرد العربي لقدرته في السنوات الأخيرة أن يكون محط أنظار المهتمين من نقاد ودور نشر ومترجمين. وقد ناقشت الدراسة طبيعة هذا السرد النسوي السعودي من منظور الشهادات الأدبية للساردات السعوديات التي حتما تعد نافذة معتبرة من نوافذ آليات كشف أسرار النص. وهو ما دفعها إلى تحديد الهوية الأجناسية للشهادة الأدبية، وبيان طبيعتها عند الساردات السعوديات. ثم بينت الدراسة الكيفية التي تعمل الشهادة الأدبية عبرها على بناء صورة الذات وعلاقة ذلك بالسيرة الذاتية للكاتبة. وتناولت أخيرا علاقة النص الشهادي بقضايا المجتمع.

تمهيد[١]

كعب عال واستلطاف جلي يحظى به النثر الأدبي في عصره هذا، روافده شتى وأحدها الشهادة الأدبية التي يكتبها المبدع حول عروشه الإبداعية، ورصده لمعانات الشعوب ومِحَنها، متجليا بسياق الحربين العالميتن، وبائنا بجلاء في الأدب الياباني، والفرنسي ممثلا ببعض ما جاد به الأديب الفرنسي جان جينيه Jean Genet في كتابه «صبرا وشاتيلا» وما أودعه الأديب الأسباني خوان غويتيسولو Juan Goytisolo

(١) شكر وتقدير لجامعة القصيم Qassim University ممثلة بعمادة البحث العلمي على دعمها هذا البحث.
Thanks to Qassim University for supporting this research.

عن سراييفو، وما سطّره الأدب الفلسطيني عن أدب الشهادة وخاصة ما نفثه غسان كنفاني في (أدب الشهادة) من متعة فنية عالية ساقته وسوقته عالميا، حيث كان شاهد فقدان لا شاهد عيان. وكذلك ما فاء به الأدب الأفريقي حول الشهادة كحرارة (الأشياء تتداعى) للنيجيري أتشوا أتشيبي Chinua Chinụalụmọgụ Achebe أو زفرات مواطنه وولي سوينكا Wole Soyinka في (مذكرات سجين). و(يوميات) للكاتب الجزائري مولود فرعون. وشهادات سمر يزبك السورية في كتابها (تقاطع نيران). ومن الأردن شهادة تيسير سبول في (أنت منذ اليوم) وشهادة غالب هلسا في (الكواليس والأحلام في روايات غالب هلسا) و (صورة غالب هلسا في رواياته) وكذلك مؤنس الرزاز في (حين تختفي الرواية ويحضر البطل، ليلة البطل). هذا الحضور الضافي حدا بمجلات عديدة إلى إفراد أعداد معينة لهذا المسار فكان منها مثلا مجلة (أوروبا) الناطقة بالفرنسية التي أصدرت عددا مزدوجا ل (الشهادة في الأدب) برقم ١٠٤٢.

ومما سلف يتأكد البوح بأنه وإن كانت الشهادات لاتروم عن مراوغات الأدب ونصه كي لا تكون حكما نهائيا قاطعا على الكاتب لكنها حتما تعد نافذة معتبرة من نوافذ آليات كشف أسرار النص. وتتأتى مكامنها وتتكشف عبر رصد محاور عدة: يمثل بناء الذات محورها الأول: إذ يعمد المبدع ملاطفة حروفه من أجل خلق صورة نموذجية تمثله أثناء العمل وتُجلّي ظهوره للمتلقي. أما المحور الثاني: فيرصد الذات إبّان تفاعلها مع قضايا المجتمع وتكشّفها ودورها أمام تلك القضايا، وكلا المحورين يعملان على قراءة خاصة موجهة للنص الأدبي.

ويتمظهر السرد النسوي السعودي كعلامة بائنة في مسيرة السرد العربي الحديث لتحليقه في السنوات الأخيرة وقدرته أن يكون محط أنظار المهتمين من دارسين ونقاد ودور نشر ومترجمين وإعلام واكب زخم الإنتاج مما حتّم وجود دراسة تناقش طبيعة هذا السرد النسوي السعودي من منظور الشهادات الأدبية للساردات السعوديات لتكون أكثر قربا لرصد الواقع من مؤمليه، محاولة هذه الدراسة تقريب الإجابة عن تساؤلات ملحة مثل:

- ما طبيعة الشهادة الأدبية التي تكتبها الساردات السعوديات؟ وهل هي مغايرة أم سائرة على ما هو سائد من شهادات الكاتبات في بلدان أخرى؟
- كيف تعمل الشهادة الأدبية على بناء صورة الذات وما علاقة ذلك بالسيرة الذاتية للكاتبة؟ وهل يمكن القول بأنها نوع أدبي له خصائصه أم أنها واقعة في دائرة " الكلام على الكلام"؟
- كيف رصدت الساردات السعوديات علاقة النص بقضايا المجتمع على مستوى الشهادة الأدبية؟

منهجية البحث:

يفترض البحث أن الشهادة الأدبية تمثل أهم ركيزة لكشف النص وإضاءته حيث تعد أداة مُلِحّة من أدوات تحليل النص الأدبي من زاوية المبدع الذي

يبوح لقارئه، إذ تتمظهر صورة الذات بشكل جلي في الشهادة الأدبية، وتنأى المثاليات لتتجلى حقائق الرسائل المقصودة وينفرج الأفق لاستيعاب أبعاد النص ومغازيه. وهذا داع مُلح وبُعد مقصود دَفَعَا بهذا البحث أن يتقوى بإجراءات منهج التلقي الذي يختبر الشهادة الأدبية بوصفها منجزا تفسيريا للساردات السعوديات، ويمثل هذا المنهج تجربة ووعيًا بأنّ نصوصهن قد تحتاج إلى ما يعضدها من آليات تعمل على تلقيها بشكل صحيح، فلا يختلط الأمر على القارئ حين اتكائه على عُرىً بائنة– وفقا لتصورات الكاتبات – بين ما هو ذاتي آني خاص، وما هو تخييلي حالم يحاول رسم صورة للمجتمع عن طريق مجموعة من الشخصيات والأدوات المعينة. وهو ما يعني أنّ التلقي الواعي لنصوصهن الإبداعية كفيل بأن تتشكل من خيوطه صورة الذات، ولسعة الشهادة فإنه يمكن أن يكون العكس صحيحا أيضا، وهو ما يستدعي بالضرورة معرفة كيف تلقى المجتمع القضايا المطروحة في النص الإبداعي، وما الدور الذي يمكن أن تقوم به الشهادة الأدبية بوصفها نشاطا تفسيريا للنص الإبداعي. يؤكد الربيعي هذا قائلا: "بأن الأديب يحتاج في أي مرحلة من مراحل عمره إلى المناخ والعلائق المتفاعلة التي تثري الحوار وتبلور التجارب وتوصل الغايات، إذ إن الكتابة رغم كونها عملا فرديا بحتا إلا أنها وبصورتها الأشمل فضاء اجتماعي وصوت يعمل مطلقه على أن يكون مسموعا ومجديا ومشتركا"([٢]). وبالتالي الخلوص بأن بناء صورة الذات في الشهادة الأدبية يتشكل من الذات المنتجة والذات المستهلكة، وأن الجدل بينهما هو جوهر التجربة أو ربما أداة الوعي، ودور الشهادة الأدبية يكمن في القرب من إدراك المغزى وما يترتب على أفق التوقع أو الترقب أو الانتظار بين الذاتين المنتجة والمستهلكة، وهو ما حدا بالدراسة أن تركز على البعد السوسيولوجي في تلقي الشهادة الأدبية[٣].

ويبقى التساؤل مفتوحا:

هل يمكن أن تكون للشهادة الأدبية خصائصها النوعية التي تجعل منها نوعا أدبيا خالصا؟ أم تظل الشهادة الأدبية لونا من ألوان تفسير النص الأدبي؟

<u>الشهادة الأدبية وقضية النوع الأدبي:</u>

يتجلى للراني في نقدنا العربي القديم أن مقولات المبدع حول نصه كانت هي فاصلة القول في دلالات النص فقد ظلت مقولات الشعراء حول شعرهم تتصدر أحكام المشهد النقدي في خطوه الأول، ثم مع ظهور القارئ الفاحص في النقد المعاصر، واتساع الاهتمام به في المناهج الأدبية، تفلتت تلك السلطة الأحادية للمبدع وأُشرع السجال بين الناقد والقائل في أحقية تفسير النص. وربما انعكس مردود النص الإيجابي على القارئ أكثر منه على المنتج

([٢]) الشهادة الأدبية والتجربة الإبداعية:عبد الرحمن مجيد الربيعي أنموذجا، مولود مرعي حسن، المنهل، ٢٠١٤. ص: ١٢.

([٣]) انظر: في الأطر النظرية للتلقي: مدارات القراءة تفسير القراءة من مداخل العلوم الإنسانية، محمد مريني، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٥م. ص: ٢١١ ومابعدها.

كما يشير لهذا بجلاء واعتراف الكاتب إدواردو غاليانو Eduardo Galeano عن كتابه: (مرايا) الذي نشر بالأسبانية، والذي يرى أن مدخراته قليله. يقول غاليانو: " افترض (خورخي فونيسيلا) أن الكتاب لايمكن توفره بسهولة في (بنما) لأنه سيكون متداولا حول العالم من قارئ إلى آخر. ورغم أن مدخراته لم تكن كبيرة فقد قام برحلة واهمة، استغلها كلها لشراء نسخ (مرايا) ووضعها بشكل فج في المقاهي والمتاجر والأكشاك وصالونات الحلاقة وفي كل مكان. لقد استدرج بها جميع الأشخاص"([٤]). وحول تباين التفسير وسعة الاحتفاء بالنص واستيعابه بشكل أوسع من قبل المتلقي. يقول غاليانو عن كتابه (كرة القدم في الشمس والظل) أردت به أن يفقد محبو القراءة خوفهم من كرة القدم وأردت أيضا أن يفقد محبو كرة القدم خوفهم من الكتب، ولم يخطر ببالي ألبتة شيء غير هذا، لكن عضوا سابقا في الكونغرس المكسيكي (فيكتور كوينتانا) بلغ به تأثير هذا الكتاب أن أنقذ حياته ممن اختطفوه عام ١٩٩٧م وهناك كان الأثر الآخر([٥]).

النصوص الإبداعية المقصودة تتوزع بين فنون السرد من رواية وقصة قصيرة وأشكال أخرى تندرج بينهما مثل القصة القصيرة جدا. والشهادة الأدبية هي نص نثري كتبه مبدع يمتلك مهارة الحكي، وما يلازم هذه المهارة من قدرة على التشويق عن طريق الحذف أو الحركة، وعن طريق تقديم بعض الشخوص على مسرح الشهادة أو تأخيرها، وعن طريق إبراز المكان البطل أو الحدث الشخصية أو غير ذلك حيث يورد السيرة الذاتية، ويمرر اليوميات، ربما طغى أحيانا الريبورتاج الصحفي واستدعاء التاريخ ومع هذا هناك بروز لعلاقة هذا النوع بالواقع وكتابة التاريخ. إذ " تمثل الشهادة الأدبية التي يقدم فيها الأديب سردا سيريا في طبيعة وظروف وحالات منتجه الإبداعي"([٦]). مما أدى إلى ظهور اختلاف مقبول بين تصورات الباحثين، وفقاً لمنظور تلقيهم للنماذج السائدة من الشهادات الأدبية. وهو ما تحاول هذه الدراسة استجلاءه والغور فيه في الفقرات القادمة.

تنطلق الرؤى الأولى من تصور نظري يعتمد التجنيس الأدبي، وتمييز الأشكال الأدبية ضرورة علمية وقيمة منهجية ملحة تعتمد في هذا على نهج مُنَظّرها الأول أرسطو، وليس من سبيل إلى غير ذلك، إذ يستلزم فيها توافر شروط الإبداع المتحقق في كتابة نصوص تجمعها عدد من الخصائص التي تشكل ماهيتها، وتؤدي وظائف عبرها، وتُنتخب لها لغة خاصة تتناغم عادة مع ذائقة المهتمين بمثل تلك النصوص؛ أي يمكن أن تتدرج في صلب نظرية

([٤]) حياة الكتابة، مقالات مترجمة عن الكتابة، إعداد وترجمة عبدالله الزماي، مسكيلياني، تونس، ٢٠١٨م. ص: ١٢.

([٥]) انظر المرجع السابق، ص: ١١. وبقي الفارق واضح بل بعيد جدا بين النص الشعري وإشارات الشعراء حول الشعر، فقد توزعت الإشارات بين أمرين: الأول نشاط تفسيري كاشف عن أبيات محددة، والثاني: مقولات شعرية داخل النص الإبداعي نفسه. وهو ما يعني بالضرورة عدم وجود ما يدعو إلى البحث عن تجنيس هذه الإشارات الشعرية.

([٦]) نقد السرد السير ذاتي والقصصي والروائي: دراسة في الخطاب النقدي لمحمد صابر عبيد، نبهان حسون السعدون، المنهل، ٢٠١٧. ص: ٥٢.

الأدب، وهو ما يعني أن " بناء النظرية الأجناسية يعادل وفق هذا التصور بناء نظرية الأدب"[٧].

يبقى التساؤل مشروعا في ضوء ما قدمنا:

ما الخصائص التي ميزت الشهادة الأدبية بوصفها نوعا أدبيا في تصور بعض الباحثين؟

تجلى للبحث في ضوء ما طاله وفحصه من دراسات أنّ هناك تفاوتاً شديداً في تحديد وسم الشهادة بصفة الأدبية أو الإبداعية. فمن النقاد من يذهب بعيدا، ويرى في كل شهادة يكتبها شاعر أو عالم أو فنان تشكيلي أو ناقد عن ناقد أو أي شخص نوعا إبداعيا، وهو أمر يقوم على افتراض أن البشر يعيشون في عالم من المجازات، ويتحدث جميعهم بالمجاز، وبالتالي يفترض بالضرورة أن كل النصوص العلمية والأدبية ذات طابع جمالي وذات طابع عقلاني، وتتفاوت النصوص في مقدار حظها من البعد الجمالي أو البعد العقلاني لكنها جميعا تحمل صبغة سردية. يقول إبراهيم درغوثي: " إن النص الإبداعي الحديث نص مغامر بطبعه، لن تكتب له الحياة والدوام إلا إذا خرج عن المألوف والمكرر وضرب بعيدا في أقاصي الإبداع "[٨]. بهذا التصور الذي ربما كان واسعا؛ سعى الباحث أيمن تعيلب إلى رصد ما يسميه "بلاغة الشهادة الإبداعية نحو تأسيس لجنس أدبي جديد". ويحدد النص الشهادي بأنه: " تشكيل سردي جامع بامتياز يتسم بالإشكال والتشعيب والترامي والتداخل، فالشهادة الإبداعية [...] موقف نقدي جمالي ثقافي نضالي من الإبداع والثقافة والذات والنص والواقع والتاريخ؛ أي تقع هويتها البلاغية على تخوم جميع الحدود السردية السائدة "[٩]. يعضد هذا ماورد في أبحاث (الشهادات) الإبداعية التي تضمنها كتاب ملتقى الرواية العربية والتي كان من ضمنها على سبيل المثال شهادة إدوارد الخراط ([١٠]). كما مال لهذا الاتجاه ولكن بدرجة أقل تعميما إبراهيم نصر في تقديمه لكتاب (مرايا التذوق الأدبي)([١١]).

وهو تصور واسع في تقديري وربما تآلف مع مقولة إمبراطورية البلاغة؛ أي إنه استظل بمظلة البلاغة بوصفها خطاب الخطابات، كما يراها محمد مشبال ([١٢]). كما أن أيمن تعيلب رصد ما أسماه شهادة إبداعية، وجعلها جنسا أدبيا جديدا. وهو تصور يبدو غير مكتمل النمو إذا نظرنا إلى المنطلق الأساسي لبناء نظرية أجناسية تبحث عن حدود مائزة لها وظائف وماهيات، وتمثل الأداة فيها عنصرا جوهريا في رصد فنون الإبداع كافة.

([٧]) من الإنشائية إلى الدراسة الأجناسية، أحمد الجوة، قرطاج للنشر والتوزيع، صفاقس، إبريل ٢٠٠٧م. ص: ١٥.

([٨]) خارج حدود السرد: شهادات أدبية: قراءات في المشهد الإبداعي وحوارات، إبراهيم درغوثي، دار المنهل، ٢٠١٣. ص: ١٠.

([٩]) بلاغة الشهادة الإبداعية نحو تأسيس لجنس أدبي جديد، أيمن تعيلب، دار العلم والإيمان، كفر الشيخ، ٢٠١٥. ص١١.

([١٠]) انظر: سلسلة أبحاث المؤتمرات ١٧، ملتقى القاهرة الثاني للإبداع الروائي العربي، الرواية والمدينة، دورة إدوارد سعيد، الشهادات، مجموعة مؤلفين، إشراف علي أبو شادي، ٢٠٠٨، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة. ص: ٤٥.

([١١]) انظر: مرايا التذوق الأدبي: دراسات وشهادات، خليل إبراهيم، دراسات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥. ص: ٧-٨.

([١٢]) انظر: في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٧م. ص: ١٥ وما بعدها.

ويصرح محمد صابر عبيد بأن الشهادة الأدبية مظهر من مظاهر السيرة الذاتية في كتابه (تمظهرات الشكل السير ذاتي)؛ لذلك يجعل صفة الذاتية تالية للموصوف الشهادة وسابقة على صفة الأدبية لتكون (الشهادة الذاتية الأدبية)، ويعرفها بأنها:

" سرد نثري سيرذاتي يتناول كيفية معيّنة في التجربة الأدبية للأديب تناسب المرحلة والمقام والمناسبة[...] ويعدّ هذا النوع السيرذاتي على درجة عالية من الحرية، يمنح الكاتب أكبر فرصة ممكنة لقيادة حركة السرد، وتقديم البيانات والأسانيد والرؤى التي تدعم مشروعه الكتابي المركّز والمتمحور حول مصطلح (الشهادة) التي يمكن وصفها بأنها ألصق السرود السيرذاتية بجوهر الحالة الإبداعية الذاتية – منهجاً وخبرة –. وغالباً ما يهتمّ الأديب في صياغة شهادته باللغة العارضة والمصوّرة والكاشفة والمحللة، ذات الفاعلية التركيزية والشعرية العالية، لأنها بذلك تحشد آليات جديدة في سياق الدفاع عن الأنموذج"[١٣].

ويفرق بينها وبين الشهادة الغيرية الأدبية [١٤]. على أساس الفرق في التجربة، فالذاتي يكتب فيه المرء عن ذاته، والآخر غيري يكتب فيه المرء شهادة عن غيره. فالشهادة الغيرية هي تلك التي: " يتحدث بها الآخر المطلع والعارف القريب من تجربة المبدع عن هذه التجربة فيصفها من الخارج ولكن هذا الوصف الخارجي يحمل معرفة خصبة وثرة تعكسها طبيعة التوجه نحو الإدلاء بشهادة مهمة عن تجربة أديب معين يستحق هذه التجربة"[١٥]. وأهم ما في تصور صابر عبيد أنه يؤكد فكرة ارتباط الشهادة الأدبية بالمناسبة بشقيها السابقين؛ أي إنها بالضرورة كتبت للإسهام في مناسبة قد تكون حلقة نقاشية أو ندوة أو مؤتمرا، وتفاوتها مرهون بتجربة المبدع نفسها. وهو وإن كان يفرق بينها وبين الخاطرة الذاتية فإن ربطها بالمناسبة يعني بالضرورة أنها لم تكتب تحت ضغط الإحساس بالحاجة إلى تأكيد فكرة أو تفسير نصوصه الأدبية أو غير ذلك. واقتصارها على المناسبة قد لا تؤيده الوقائع؛ لأن كثيرا من الصحف والمجلات تكتظ بالشهادات الأدبية التي يكتبها الكتاب طواعية أو اختيارا، وليس بالضرورة عن طريق مناسبة أو دعوة إلى الكتابة.

ويطرح محمد الصفراني تصورا يبدو قريبا من تصور صابر عبيد، وربما أنه لم يطلع عليه؛ لأن كليهما يرى أن الشهادة الأدبية ذات شقين أحدهما: ذاتي يكتب فيه المرء عن ذاته، والآخر غيري يكتب فيه المرء شهادة عن غيره، وإن كان الصفراني قد سعى إلى دمجهما في تعريف ثالث يجمع بينهما، بحيث

---

(١٣) تمظهرات الشكل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير الذاتية، محمد صابر عبيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م. ص١٤٢-١٤٣.

(١٤) انظر المرجع السابق: ص١٤٩. حيث يعرف السيرة الغيرية الأدبية بأنها: " سرد نثري سيرغيري ينهض به كاتب معيّن –تطوّعاً أو تكليفاً – لتقديم وجهة نظره في تجربة أديب منتخب "مؤبن أو مُكرّم أو مُحتفى به.. إلخ.."، يسعى فيه إلى حشد ما تيسّر من المعلومات عن أحد جوانب الإبداع الأدبية التي عُرف بها أو اشتُهر بها الأديب المنتخب، وربما شفع تلك المعلومات ببيانات شخصيّة له تكشف عن معرفته الخاصّة بتجربة الأديب، ورؤيته لإنتاجه الأدبي ومكانته الأدبية. وللشاهد السيرغيري الأدبي المزيد من الحريّة في إدارة دفّة السرد وإظهار براعته السردية، في تقديم المعلومات بأسلوبية توفّر للمتلقي –سامعاً وقارئاً –المتعة والفائدة في الوقت ذاته".

(١٥) تمظهرات الشكل السير ذاتي، محمد صابر. ص: ١٣٩.

يكون هناك تعريف خاص لكل منهما على أساس **تغيير كلمة الذاتي بالغيري**. أما الخصائص فهي واحدة لا تتغير، ويتخذ من كتابة الشهادة الأدبية المتعلقة بالأدب السعودي شعره ونثره مجالا تطبيقيا لهذا التصور النظري. وحتى يتضح هذا التصور ننقل هنا مقترحه لتعريف الشهادة الأدبية الذاتية – بما أنها الأقرب إلى دراستنا الحالية، وإن اختلف مجال العمل اتساعا وضيقا – يقول الصفراني إنه: " سرد نثري تذكري قصير صادق مدرك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يشهد به شخص واقعي على ذاته لإثبات حقائق أو رد دعاوى تتعلق بمسار حياته الذاتية الأدبية والعلمية والفكرية منتقيا من مراحل حياته الماضية أبرز الوقائع والمعلومات والتجارب والذكريات التي شكلت تجربته الأدبية، وسلكتها في مسارها ومستواها الأدبي الراهن مستدلا بها على ما يريد أن يشهد بها في زمن الشهادة، مستدعيا ما أمكن من البيانات والوثائق والأسانيد ما يؤكد صدق شهادته، وموظفا من فنيات السرد ما ينقل النص الشهادي من حيز التقريرية إلى آفاق الأدبية "([١٦]).

ويتبادر إلى الذهن أن مقترح الصفراني لتعريف الشهادة الأدبية الذاتية هو عين ما طرحه فيليب لوجون Philippe Lejeune لتعريف السيرة الذاتية في صورتها المثلى؛ أي التي تتوفر فيها الأركان الأربعة التي ترتفع بها درجة عن المذكرات والسيرة والرواية الشخصية، وتتمثل الركائز الأربعة في ([١٧]):

١- شكل الكلام: سرد نثري أدبي (غير تقريري).

٢- الموضوع: حياة الشخص الفردية.

٣- التطابق بين المؤلف والراوي.

٤- موقع الراوي: السرد التذكري من قبل الراوي المتطابق مع الشخصية الرئيسية.

وتجدر الإشارة إلى هذا الإلحاح على مفهوم الصدق، وهو وإن كان مفهوما قاراً في دراسات السيرة الذاتية إلا أن الإلحاح باستخدام عبارات ذات دلالة ضبطية مثل لفظ (الأسانيد) تكشف عن التوجه الإيديولوجي الذي يتوافق مع شخصية الكاتب المسلم الذي يعتمد النص الحقيقي غالبا، فصاحب الشهادة مثل كاتب السيرة " مصدق ومؤتمن فيما يحكيه؛ لأنه المرجع الأقرب، ولأنه مأمور بقول الحق، فإذا ما عاهد القارئ أو السامع على الصدق – كما يقع غالبا من كتاب السير – كان ذلك بحقه آكد وأوجب "([١٨]).

في طرح آخر يرى أحمد الحسيني – دون مواربة – أن الشهادة الأدبية هي شكل من أشكال السيرة الذاتية الفنية في دراسته الموسومة بـ" آليات السردية المقاومة في النص السير ذاتي النسوي – شهادة الكاتبة العربية نموذجا"، ويرى أنها نصوص تكتسب الخاصية السردية وفقا لتصور بارت الذي يرى في كل الأنواع حكاية كامنة، ويستعرض تعريفات السيرة

([١٦]) الشهادات الأدبية في السعودية: مقاربة سوسيو أدبية، محمد الصفراني الجهني، مجلة علامات في النقد الأدبي، ع٨٦، مارس ٢٠١٦م. ص٦٩١.

([١٧]) انظر: معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، تونس، ٢٠١٠م. ص: ٢٦٠-٢٦٣.

([١٨]) السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، أحمد علي آل مريع، سلسلة كتاب المجلة العربية رقم ١٧٨، الرياض، ١٤٣٢هـ. ص: ١٣٣-١٣٤.

الذاتية خاصة عند فيليب لوجون ليؤكد تطابق الشهادة مع جنس السيرة الذاتية، ويذهب إلى أن كتابة الشهادة من قبل الكاتبات هو نوع من أنواع المقاومة في مجتمع ذكوري مناهض، يقوم على تهميشهن وقهرهن. وهو ما أبرز مايسميه بالكتابة النسوية المؤنثة [١٩].

وقد نتفق مع فكرة المشابهة بين النص السير ذاتي والشهادة الأدبية، وقد نقول أيضا إن كتابة السيرة الذاتية الفنية قد تكون مجموعة من الشهادات نشرت فرادى ثم جمعها صاحبها في كتاب. لكننا نرى في دراسة الحسيني مراوحة بين إلحاق الشهادة الأدبية بالسيرة الذاتية – كما أشرنا في الفقرة السابقة – وبين القول بأن الشهادة نص أدبي غير مجنس، فهو يصرح في غير موضع أن للشهادة أثرًا لا يقل عن أثر السيرة الذاتية المجنسة [٢٠]. ونوافق الباحث أيضا في أن البيئة الاجتماعية لها دور في صنع آليات السرد في النص الشهادي / السير ذاتي لكن هل نستطيع أن نقول إنه نص كُتب لوظائف الحرية ومقاومة التهميش؟ ثم لو سلمنا بما فاء به الحسيني فلماذا يكتب الرجال شهاداتهم طالما هو نسوي؟ وماذا يمكن أن نقول عن المجتمعات التي لا تعاني ما يسميه الحسيني بالمجتمع الذكوري أو البنية البطركية. وإذا كانت كتابة نسوية فما الداعي إلى وصفها بالمؤنثة؟ وما الذي يميزها عن غيرها من القضايا المطروحة في الأدب النسوي أو النقد النسائي، فهل يقصد الحسيني تحولها من دور المتلقي إلى دور الفاعل، وهي على كل حال قضايا تنطلق من ميراث إنساني عام يجعل المرأة دوما في حالة سباحة ضد التيار فالأنثى تظل أنثى بفضل ما تفتقر إليه من خصائص، كما يؤكد أرسطو Aristotle. أو هي رجل ناقص كما يقول القديس توما الأكويني Thomas Aquinas [٢١]. أين خصوصية المجتمع هنا في سياق إنساني عام. أسئلة كثيرة تجعل طرح الحسيني حول الشهادة الأدبية في علاقتها بالسيرة الذاتية بحاجة إلى مراجعة. أما الأطر النظرية لأدب الشهادة وعلاقتها بالمقاومة فهي قريبة مما طرحه كارين كابلان Karen Kaplan 1992 _وإن لم يشر إلى ذلك الحسيني– في دراستها: (السيرة الذاتية المقاومة – الأنواع الأدبية الخارجة على القانون والذوات النسوية عبر القومية)[٢٢]. وهو كما يتضح يتعلق بمذكرات السجون النسائية بوصفها نوعا أدبيا خارجا على القانون.

---

(١٩) انظر: آليات السردية المقاومة في النص السير ذاتي النسوي – شهادة الكاتبة العربية نموذجا، أحمد عبدالقادر الحسيني، المؤتمر الدولي الثالث للدراسات السردية – السرد النسوي في الأدب العربي المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالإسماعيلية بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات السردية، الإسماعيلية، ٢٩-٣١مارس ٢٠١٠م. ص: ٣٣٧-٣٤٦.

(٢٠) انظر: نفسه. ص: ٣٣٩-٣٤٧.

(٢١) انظر: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة جابر عصفور، سلسلة آفاق الترجمة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م. ص: ٢٣٣-٢٣٤.

(٢٢) انظر: السيرة الذاتية المقاومة – الأنواع الأدبية الخارجة على القانون والذوات النسوية عبر القومية. مقال ضمن كتاب: النقد الأدبي النسوي، ترجمة وتقديم هالة كمال، مؤسسة المرأة والذاكرة، سلسلة ترجمات نسوية ٥، القاهرة، ٢٠١٥م ص: ٢٧٣-٢٨٥.

وهو ما يجعل دراستنا هذه تخلص أنّ مشروعية وسم " الشهادة الأدبية "بالنوع أو الجنس الأدبي– الذي هو أصلا محل نظر عند البعض ([٢٣]) – لم تتوفر له المقومات الحقة – على الأقل في ضوء ما اطلع عليه البحث من دراسات – وأنّ بيان ماهية الشهادة الأدبية وما قد يترتب عليها من وظائف لم تتبلور بشكل كاف. يبدو القول مفيدا بأنّ الخاصية الأساسية التي اتفقت فيها الدراسات حول الشهادة الأدبية أنها تعمل على بناء صورة الذات في الكتابة، وهو ما تحاول الدراسة إبرازه في الفقرات اللاحقة من البحث. يضاف إلى ذلك أن حصر الشهادة الأدبية في خانة ما يُكتب تحت (شهادة أدبية)، ويلقى في مؤتمرات أو يوضع في ملفات لبعض الدوريات مسألة غير دقيقة؛ لأننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك أيضا الحوارات التي تُجرى مع المبدعين، وتقدم فيها رؤى جد مهمة، وتستحق أن يلتفت إليها، ويمكن أن يضاف إليها المقابلات الخاصة التي يقوم بها بعض الباحثين عند إنجاز دراسات أكاديمية حول أعمال المبدعين من المعاصرين لهم. إن كل ما سبق يقدم شكلا من أشكال الشهادة لكنها تتفاوت في المسالك والغايات.

وقد يبدو مفيدا أن نقول إنّ الخاصية الأساسية التي اتفقت فيها الدراسات حول الشهادة الأدبية أنها تعمل على بناء صورة الذات في الكتابة، وهذه الخاصية وحدها كفيلة أن تقدم لنا تصورا واضح الملامح عن الشهادات الأدبية، وهو ما نحاول بيانه في الفقرات اللاحقة من البحث في إطار نظري تطبيقي في آن عن الشهادات الأدبية للساردات السعوديات.

<u>بناء صورة الذات في الشهادة الأدبية:</u>

تشكل التجربة صورة الذات في الشهادة الأدبية، ووفقا لنظرية التلقي، تتجلى الذات في صورتين: منتجة ومستهلكة، وتشكل الصورتان الأثر الذي يحدثه فعل الكتابة؛ بمعنى أن تصبح التجربة – عن طريق اللغة – فعلا مشتركا بين الذاتين لتتحول من الذاتية الفردية إلى الذاتية الاجتماعية حيث تجمع الطرفين تلك العلاقات والوشائج النفسية القادرة على كشف الظواهر كما يراها: إيرينا مكاريك IRENA Makaryk خاضعة تحت مصطلح <u>Intersubjectivity</u> Intersubjectivity is a key term in phenomenological([٢٤]). ويتحقق هذا التحول مع قدرة الذات المنتجة على شرح تجربتها.

كما يتحقق هذا التحول أيضا عبر عملية الوعي، وهو وعي لا بد أن يمر بمراحل منها: أن تدرك الذات نفسها بوصفها آخرا تتحاور معه. يصدق في ذلك قول محمود درويش: " أن تسمع صوتك المبحوح يعني أن آخرك قد سامرك، وأسر لك بأخبارك الشخصية، في غرفة كلما ضاقت اتسع ما وراءها، واحتضنت العالم بشغف المصالحة. وأنت إذ

([٢٣]) انظر: التحولات في الرواية العربية، نزيه أبو نضال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦. ص: ١٩.

([٢٤]) Encyclopedia of Contemporary Literary Theory, Approaches, Scholars, Terms. IRENA R. Makaryk, University of Toronto Press, Canada, 1995. 3/568. وتجد الإشارة إلى أن الموسوعة قد تمت ترجمتها كاملة إلى اللغة العربية بواسطة الدكتور حسن البنا عز الدين في المركز القومي للترجمة بمصر في ثلاثة مجلدات.

تغني لا تغني لتقاسيم الليل مع أحد، ولا تغني لتقيس إيقاع وقت بلا إيقاع أو علامة، بل تغني لأن الزنزانة تغريك بمناجاة الخارج" ([٢٥]). ويستشعر هذا التناغم إخلاص عطا الله بقوله: "... وثمة رباط مقدس بيني وبينها"([٢٦]).

وهو ما يعني أن تتخلص الذات من الانكفاء على ذاتها، وتتحول من كونها ذاتا مستهلكة إلى ذات منتجة تستطيع أن تقدم تجربة ناضجة؛ لأن " الانكفاء على الذات والتطابق معها لا يضمن لها وحدة أو كيانا مستقرا أو اتساقا مع ذاتها، ولا يجعل منها ذاتا متيقنة من ذاتها، عارفة بها، مهيمنة عليها وعلى عالمها. إن الوعي يدفع بالذات خارج ذاتها، متخذة منه موضوعا للإدراك والمعرفة والفهم " ([٢٧]). لعله من المفيد أيضا الإشارة إلى أن انتقال الذات من الفردية إلى الاجتماعية تعني فيما يتعلق بالشهادة الأدبية انتقال من مرحلة الحديث عبر (الذاكرة) إلى الحديث عبر (الوعي). الذي يعتمد على مصادر جماعية وبالتالي هو "صورة من صور الاعتراف بالآخر"([٢٨]).

يتيح هذا الشرح للذات فرصة التعبير عن نفسها في موقف محدد أو في تجربة محددة تضيء للقارئ جانبا من جوانب عمله، وغالبا ما تطلب من المبدع مشروطة بالحديث عن زاوية محددة، ويمكننا أن نمثل هنا بملف الرواية والمدينة الذي ضم مجلدا كاملا لشهادات الروائيين العرب حول تجربة المدينة في سردهم، وسأحاول أن أقتطف نموذجا من شهادة الروائي يوسف المحيميد: " أشعر أن للمكان سطوة ما على نصي الروائي، حتى لولم يكن حضورا علنيا، فهو حضور ضمني عبر الشخوص والعناصر والفضاء ذاته. وأحيانا يمكن القبض على روح المدينة (الرياض) مثلا في رواية (فخاخ الرائحة) ورواية (لغط موتى) كما أنني لا أحب تصنيفي كروائي مدينة، أو كاتب ريف، أو كاتب بحر أو صحراء، بل لقد كسرت كل هذه القيود – بقصدية واضحة – في رواية فخاخ الرائحة إذ حضرت المدينة برائحتها والصحراء بصمتها، والغابة بفخاخها، والبحر بقسوته وجبروته "[٢٩]

يلاحظ كيف حول المحيميد عبر الشهادة تجربته الذاتية إلى تجربة اجتماعية، وكيف استطاع أن ينفي عن نفسه فكرة التصنيف إلى كاتب ريف أو صحراء عبر قصدية واضحة في النص الروائي كما يشير، وإلى قصدية واضحة عبر الشهادة، ويظل مدار شهادته طالت أم قصرت، أوجزت أم أطنبت في إطار علاقته بالمدينة. كما استطاع الكاتب الروائي البرازيلي باولو كويلو Paulo Coelho أن يقتنص

([٢٥]) في حضرة الغياب، محمود درويش، دار رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٦م. ص٥٩.

([٢٦]) سلسلة أبحاث المؤتمرات ١٧، ملتقى القاهرة الثاني للإبداع الروائي العربي، ص: ٣٧.

([٢٧]) محاكاة الآخر وتشكيل الهوية قراءة في رواية ذنوب جميلة، شكري الطوانسي، أبحاث المؤتمر الدولي الخامس للدراسات السردية، الجمعية المصرية للدراسات السردية بالاشتراك مع مركز اللغة العربية والترجمة جامعة قناة السويس، ٢٠١٣م. ٢/٧.

([٢٨]) السرد التاريخي عند بول ريكور، جنان بلخن، المنهل، ٢٠١٤، ص: ٣٩.

([٢٩]) الحجر في يدي وسطح الماء يتحفز، يوسف المحيميد ضمن ملف الرواية والمدينة قسم الشهادات، سلسلة أبحاث المؤتمرات -١٧، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٨م. ص: ٥١٠.

فرصة الشهادة لينفي عن نفسه ما عرف عنه عالميا بأنه متفائل بدرجة عالية قائلا: " أنا واقعي أكثر من كوني متفائلا"([٣٠]). أما الكولمبي غابرييل غارسيا ماركيز Gabriel García Márquez فوجد في الشهادة نافذة يقدم عبرها اعترافه بأنه لم يجنح لبلد آخر هروبا من كولومبيا إنما الأقدار لها أحكام وبالتالي: " أنا لم أنس بلدي إنه كلام فارغ. وفي أي مكان أمارس فيه فعل الكتابة فأنا أكتب رواية كولومبية بلا شك"([٣١]). وعندما اتهم أحد أشهر موسيقيي القرن العشرين الأرجنتيني أستور بيازولا Astor Piazzolla بأنه حارب التانغو الكلاسيكية عبر مؤلفاته، عبّر بقوله من خلال الشهادة: "لا، ليس صحيحا، لست ضده. ببساطة أملك نظريتي الخاصة التي تتمثل في صنع موسيقى مختلفة. المشكلة في الأرجنتين يمكن أن تغير كل شيء عدا التانغو، كان التانغوا يعتبر بمنزلة الدين، تكرار دائم لذات الفعل ضمن حلقة مغلقة لا يمكن الخروج منها"([٣٢]).

ويمكننا أن نقول إن عددا ليس بالقليل من الكتب التي ناقش فيها الكُتّاب تجاربهم الإبداعية تسلك مسلك الشهادة الأدبية في إطار محدد هو علاقة الكاتب بجانب محدد من أنماط حياته؛ لذلك وصفها بعض الباحثين بسيرة ذاتية جزئية، تحمل عناوين: (أنا والشعر / أنا والنثر / في صالون العقاد كانت لنا أيام / قصة عقل / سيرة شعرية) وكلها تشير إلى وجه محدد من نصيب الذات ووجوه حياة الكاتب ([٣٣]). ولا مراء من تحقق استفادة الكتاب المعاصرين من تقنيات التواصل الاجتماعي التي استوعبت بُعد إضافيا من مراد كاتبها كالفيس بوك وتويتر، مما يعد نافذة مباشرة وسريعة التفاعل؛ لذا تنشط فيه أعمال بعض الروائيين ك باولو كويلو الذي يحظى بمتابعة عالية في العالم تبلغ عشرات الملايين وحينما سئل عن ذاك أجاب: " هي طريقة إضافية تمكن الكاتب من التواصل مع قراءه والاطلاع على وجهة نظرهم... فالكاتب سابقا كان يمرر أفكاره عبر الروايات فقط أما الآن فيستطيع ذلك عن طريق منشور قصير على مواقع التواصل الاجتماعي"([٣٤]). وما يعنينا ظهوره هو الدور الفاعل للذات؛ أي ذلك الحضور الطاغي لها. وفي السياق نفسه يؤكد غالب هلسا عدم إدراك النقاد للبعد الذاتي في نصوصه إذ أن حُلمه غير مفهوم غالباً لذا قال: " علينا أن نحرر أنفسنا من المواضعة الاجتماعية، ونترك تجربتنا تعبرعن نفسها... فداخلنا أغنى بكثير من فكرنا الواعي"([٣٥]). العوالم الجوانبية للشخصية تنبه لها نزيه أبو نضال حين قال: " نجدها دائما تأخذ شكل سيرة ذاتية لغالب نفسه... والسيرة هنا ليست مجرد سيرته الخارجية المعروفة، بل هي أساسا سيرته الجوانبية

([٣٠]) دردشة حوارات معلنة، إعداد وترجمة أمل فارس، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٨. ص: ٦٠.
([٣١]) المرجع السابق ص: ٨٦.
([٣٢]) المرجع السابق ص: ٩٦.

([٣٣]) في نظرية السيرة الذاتية (المصطلح، الأنواع، الحقيقة والخيال)، أحمد علي آل مريع، ضمن السيرة الذاتية في الأدب السعودي دراسات نقدية، تحرير صالح معيض الغامدي و عبدالله الحيدري، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ. ص: ٨٦-٨٩.
([٣٤]) دردشة حوارات معلنة ص: ٥٨.
([٣٥]) المرجع السابق ص: ٢٧٧.

سواء في عالم اللاوعي أو عالم الطفولة"([٣٦]). وربما رنى البعض إلى شخصيات قريبة من واقعه فتلبسها وألبسها أيضا واقعه ليرسم لقارئيه لوحة هي أكثر فتنة وسحرا. ويستجلب هنا ما أشار إليه خوسيه ساراماغو José Saramago حين تسلمه جائزة نوبل للآداب في ستوكهولم: "... كتبت هذه الكلمات منذ ثلاثين عاما تقريبا دون أي غاية أخرى سوى إعادة بناء وتسجيل لحظات من حياة الأشخاص الذين عملو على تربيتي، وكانوا الأقرب إليّ. خطر لي بأنني إذا ما سردت كل هذا سيكون كافيا دون الحاجة إلى أية إضافات أخرى لكي يتمكن الآخرون من معرفة أصلي ومن أين جئت ومن أي معدن صنع هذا الشخص الذي أصبحت عليه اليوم"([٣٧]). أما عن صورة الذات التي بناها هذا البرتغالي فيمكن اختصارها من بعض ماكتبه: "يمكنني القول إنني رحت أغرس حرفا حرفا، وصفحة وراء صفحة، وكتابا تلو الآخر في الرجل الذي كنته جميع الشخصيات التي خلقتها. وأعترف بأنني من دونها ماكنت الشخص الذي أنا عليه اليوم"([٣٨]). حتى على مستوى الكتابة العلمية تبقى صورة الذات حية حين تبنى بين أضلع الشخصيات الأخرى وبالتالي يتنفسها الآخر وتظهر للقارئ مع كل نَفَسٍ يمر من تلك الأضلع كما بدا جليا في كتاب (شهادات ومتابعات)([٣٩]). وفي كتاب (حوارات في الرواية العربية) تؤكد الروائية اللبانية علوية صبح في روايتها (اسمه الغرام) "... لكني بالتأكيد لا أفكر أثناء الكتابة بالقارئ، أنحاز فقط إلى التعبير عن ذاتي بصدق وحقيقة من دون أن أرتهن لا إلى القارئ ولا إلى الأفكار والخطابات المسبقة..."([٤٠]).

ويبقى التساؤل: لماذا يلجأ المبدعون إلى شرح تجاربهم؟ أليس هذا عمل النقاد؟ ولماذا لا يتركونها شوارد يسهر الخلق جراها ويختصموا؟!

مؤكد أنّ بناء صورة للذات يقتضي أرضية معرفية مشتركة بين الذات المنتجة الفردية والذات المستهلكة الجماعية؛ بمعنى أن بناء صورة ذات يقتضي ترسيخ مجموعة من العوامل المشتركة، وهذه العوامل قد تصيبها بعض التشويش نتيجة لسوء قراءة – في تقدير الذات المنتجة – من قبل المستهلكين، ومرد هذا منطقا طبيعيا تتمايز فيه التراكمات الثقافية وأبعاد التجربة الشخصية بين المستهلكين؛ لذا صار الإدلاء بالشهادة الأدبية من شأنها أن تقيم علاقة تفاعلية تزيل اللبس، وتعيد العلاقة بما يستوجب أحيانا إبرام وثيقة تؤكد فيها الذات المنتجة عدم خرقها ل (منطقة الأعراف المشتركة)، مع إمكانية تغيير الوثيقة وفقا لرؤية الطرفين لثبات هذه الأعراف وتحولاتها. وأحيانا يُمنح النص مساحة تلتغي تلك الحدود معها ليكتسب القدرة على النفاذ لأبعاد هي أشمل من منطقة

([٣٦]) المرجع السابق ص: ٢٧٧.
([٣٧]) دردشة حوارات معلنة. ص: ٣٢.
([٣٨]) المرجع السابق ص: ٣٢-٣٣.
([٣٩]) انظر: مداخلات لغوية، شهادات ومتابعات، أبو أوس إبراهيم الشمسان، الرياض، ١٤٣٦هـ. ص: ١٣ وأجزاء متعددة من الكتاب.
([٤٠]) حوارات في الرواية العربية، طامي محمد السميري، دار أثر للنشر والتوزيع، الدمام، ١٤٣٣هـ. ص: ٥٢.

الاتفاق، حيث يتسع الأفق حينها لاكتشاف ماوراء ظاهر الأشياء متحديا طمأنينة الاتفاق، وهنا ربما يتلقفها أحد الطرفين بالرضى التام حيث يعدها مكافأة في النهاية.

وليس أدل على ذلك من تلك القراءات النقدية (المستهلكة) للسرد الحديث، فقد مال عدد ليس بالقليل إلى عقد قران بين صورة البطل وكاتب النص؛ أي التماهي بين المؤلف والراوي البطل أو إحدى الشخصيات، ويزداد هذا التماهي كلما قلّت التجربة الإبداعية من أحد الطرفين؛ وهكذا صارت الشخصية في النص السردي التخييلي محاسبة أمام المجتمع، ولم تعد الأقوال السردية هنا إلا أفكارا تعمل على خدمة المجتمع أو هدمه. وهو ما دفع الكثير من الروائيين السعوديين – على نحو ما يشير الغامدي – إلى كتابة شهادات أدبية لتبرئة ساحاتهم، أو بعبارة أخرى عملت الذات المنتجة إلى كتابة من شأنها نقل تجربتها الذاتية بصورة أخرى حتى تستعيد علاقتها التفاعلية مع الذات المستهلكة، هكذا يقول محمد علوان واصفا عمل نقاده: " قراءة اجتماعية في جسد المؤلف بدلا من قراءة نقدية في جسد النص " ([٤١]).

وأن تواجه الكاتبة السعودية هديل محمد وهي تدلي بشهادتها حول نص إبداعي مُحدد، هو روايتها: (ذاكرة السرير) بهذا التساؤل: الاغتراف من السيرة الذاتية في السرد إلى أي حد كان، بمعنى كيف كان انضباطك في الالتزام بما هو سيرة ذاتية وبين ما هو متخيل؟ وتكون إجابتها يغلب عليها الطابع الانفعالي التبريري نحو: "لم أكن بحاجة لانضباط لكوني غير ملزمة بأمانة النقل، نعم أُصول روايتي مستمدة من الواقع لكني بعد رصده أضفت وعدلت واستبدلت بعض الأمور" ([٤٢]).

فإذا أردنا أن نمعن النظر إلى طبيعة هذه العلاقة في ضوء شهادات الساردات السعوديات سنتبين أن هناك مرحلتين أساسيتين؛ هما: البحث عن هوية، ثم القضايا المتعلقة بالذات.

المحور الأول – البحث عن هوية /الشهادة الأدبية ولعبة التخفي

وأرمي هنا أن الساردات أو بعضهن كن يتخفين في أسماء مستعارة، كقنطرة تمر بها الكاتبة في بداية رحلتها ليس فقط في الوطن العربي بل حتى في العالم الغربي حيث نتذكر حال الكاتبات الإنجليزيات والفرنسيات في القرن التاسع عشر كالشاعرة والروائية جورج إليوت George Eliot و روبرت غالبريث Robert Galbraith والأخوات برونتي The Brontë Sisters والروائية الفرنسية جورج صاند George Sand. وهو ما يتماشى مع حال كثير من الكاتبات

([٤١]) راجع: السيرة الذاتية في الأدب السعودي دراسات نقدية، تحرير صالح معيض الغامدي، عبدالله الحيدري، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ. ص: ٢٣٦-٢٣٩. ويؤكد هذا إرنست همنغواي Ernest Miller Hemingway بقوله: " هناك ترابط وثيق بين حياة الكاتب وأعماله الفكرية، إذ لا بد من أن لها أو من ورائها في هذه الحالة صلة ما بمعايشات الكاتب أو قراءاته أو تهويماته... من هنا فإن التجربة الأدبية انعكاس لحياة الكاتب كليا أو جزئيا". كيف كانوا يكتبون، تجارب الكتاب في كتاباتهم من شكسبير إلى هاروكي موراكامي، ترجمة عادل العامل، دار الكتب العلمية، العراق، ٢٠١٨. ص: ٥.

([٤٢]) حوارات في الرواية العربية، ، ١٤٣٣هـ.ص٢٤٧.

السعوديات " اللائي يردن بالكتابة الخروج من مكمن المرأة إلى الصدراة.. وإنجاب أدب التحدي"([٤٣]). أو يتخفين عن عين الرقيب في سردهن، عندما كان ظهور المرأة على الساحة غير معتاد، مثل أعمال سميرة خاشقجي التي كتبت تحت مسمى بنت الجزيرة. وهو ما يمثل إشكالية كيف تبني الذات صورتها في ظلال التخفي؟. لعبة الأسماء المستعارة لعبة منتشرة عند العرب وغيرهم من الأمم، وقد ازدهرت لأسباب كثيرة في الأدب العربي الحديث، وشكلت ظاهرة في الأدب السعودي الخاص نتيجة مجموعة من العوامل، يحصرها المطوع في: الباعث الذاتي النفسي، والباعث الأدبي، وباعث اضطراي، وباعث مادي، وباعث مزاجي ذوقي، وباعث يتعلق بتوجيه القارئ إلى المكتوب وليس إلى شخصية الكاتب ([٤٤]).

ويمكننا أن نناقش صورة الأسماء المستعارة من واقع شهادات الساردات، وتبدو الملاحظة الجوهرية أن الاسم المستعار لم يكن دوما وسيلة التخفي، فمن الساردات من تشير إلى طرق أخرى للتخفي عن عين الرقيب بحيث تستطيع أن تتمرد على النصوص، تقول ليلى الأحيدب: " هذا التمرد الذي وجدته في قصائد غيداء، وما كنت أقرأه من روايات وقصص مترجمة، خلق لدي تمردا نصوصيا، وجعلني أبتكر لنصوصي لغة سردية تتجاوز عين الرقيب "([٤٥]).

ومن الساردات من تخشى ذكر اسمها المستعار، وهي في شهادتها أي بعد أن صار لها اسما معروفا؛ لأنه منع صاحب الاسم المستعار بعد ذلك من النشر، تقول شريفة الشملان: " مرة واحدة في أواخر الثمانينات كتبت قصة قصيرة باسم مستعار... وهي المرة الأولى والأخيرة التي عملتها.. وكنت أخاف من مغبة نشرها، وعندما نشرت جاء أمر بمنع الكاتبة من الكتابة، عندما أبلغني رئيس التحرير ذلك، قلت له ببساطة: خلاص لن تكتب بعد اليوم "([٤٦]).

ومن الساردات من نوّع في الأسماء المستعارة فاستعار أكثر من اسم كما فعلت حكيمة الحربي التي كتبت باسم: زهرة الوادي، ولميس منصور. وتحرص في الوقت نفسه عبر المواقع الإلكتروتية أن تشير إلى اسمها المستعار لميس منصور. تقول: " وأجدت لعبة التخفي خلف الأسماء المستعارة، ما لبثت حتى أدمنتها ولم أستطع أن أغادرها إلا بصعوبة، فقد حكمت على نفسي بالسجن دون أن يفرض علي. بدأت بـ(زهرة الوادي) وانتهيت بـ (لميس منصور) "([٤٧]).

([٤٣]) تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩. ص: ٢٣٣.

([٤٤]) الأسماء المستعارة عند الأدباء في المملكة العربية السعودية دراسةٌ في دلالات المضامين والأبنية، إبراهيم المطوع، مجلة كتابات، إصدار خاص، الجمعية المصرية للدراسات السردية، أكتوبر– نوفمبر ديسمبر ٢٠١٢م. ص٨-١٠.

([٤٥]) القصة القصيرة السعودية، شهادات ونصوص، في السرد والسراد، شهادة ليلى الأحيدب، جمع وإعداد خالد اليوسف، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ، ص١٦٩.

([٤٦]) المرجع السابق، ص: ٩٠.

([٤٧]) أبحاث ملتقى القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا في الأدب السعودي - الذات والطريق الحلم – حكيمة الحربي، تحرير صالح معيض الغامدي و حسين المناصرة، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ ج٢ ص٤٥٧.

يبدو مؤكدا أن الشهادات التي بين أيدينا كتبتها روائيات أو قاصات بأسمائهن الصريحة؛ أي إنّ هذه الشهادات كتبت في ظل وعي بحضور المرأة في المجتمع بوصفها شريكا فاعلا في المجتمع. ويبقى التساؤل حول رؤيتهن للعبة التخفي أو الأسماء المستعارة بوصفها كاشفة عن بناء صورة الذات بالمعنى الذي قدمنا له.

تضع حكيمة الحربي عنوانا لافتا لشهادتها هو (الذات وطريق الحلم)، وتكشف فيه أولا اللوم الذي واجهته عندما كتبت قصيدة، وهي صغيرة في السن، تعبر فيه عن لواعج الحب، وكيف كان أثر هذه الحادثة في تقمصها التخفي بالأسماء المستعارة، وتبدو حكيمة الحربي مترددة بين القول إنها هي التي ورطت نفسها في هذا الأمر دون أن يطلب منها ذلك، وبين إلقاء الذنب على القبيلة. والحق أنها ورطت نفسها لا غير في ذلك؛ لأن الشعر بطبيعته غنائي، ويحمل في الغالب صوتا فرديا. أما السرد فهو متعدد الأصوات، ومن ثم فإمكانية التخفي عن عين الرقيب كما تقول ليلى الأحيدب ممكنة. وأجابت الشاعرة (قناديل نجدية) عن سؤال حول حاجتها إلى الاسم المستعار فقالت: " الأسماء المستعارة تناسب المرأة لأنها معه تكتب بكل راحة وتلقائية..."([٤٨]). ويظل البحث عن توحد صورة الذات / القبيلة مسألة مهمة لتحقيق الحلم، وإن تعثر فليس من سبيل إلا لعبة التخفي؛ لأن " القبيلة مؤسسة اجتماعية تشتغل بوصفها نظاما رمزيا يحفظ تاريخ وأعراف المجموعة البشرية التي تنضوي تحتها، ويحكم علاقات الأفراد. ووظيفة القبيلة في الظاهر الحفاظ على تقاليد المنتسبين إليها. لكن لها غاية مضمرة حيث تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية "([٤٩]).

إذن لعبة التخفي كان لها دور مهم لكن دورها اختفى مع التحولات المجتمعية والتشكلات المدنية التي تعزز دور المرأة في المجتمع. كما أن للنزوح المدني تجاه المدن دور جلي ساعد على إبراز معالم قوى المرأة وقللت من حجم السلطة القبلية حيث ينشط هذا الدور عبر أبطال الروايات السعودية. كما لم يعد هناك حرج بأن يقرن الاسم بالقبيلة؛ أي استعادة الهوية. حيث كان دور الأب أو الزوج غالبا هو المحرك سلبا أو إيجابا. يقول الفوزان: إن السلطة القوية للأب وموقعه المؤثر في الأسرة العربية، وفي الأسرة السعودية خاصة؛ إما مثبط أو داعم تجاه التحول الإيجابي للحرية الفكرية، والانفكاك الاجتماعي، حيث تقدم بعض الروايات عددا من المشاهد المتناقضة لدور الأب في شأن التحول الفكري البناء، والواقع الاجتماعي المنشود، وغالبا ما تكون المدينة حاملة للقرار الإيجابي تجاه دور المرأة أكثر من السلبي سواء كان هذا القرار من جهة الأب أو المجتمع كما في رواية أنثى العنكبوت للكاتبة قماشة العليان.

([٤٨]) الكتابة والمتخيل، المهجرية الجديدة، الأدب النسوي، أحمد الزعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨م. ص١١٧.

([٤٩]) الذات الشاعرة والقبيلة بوصفها مؤسسة اجتماعية، حمد السويلم، مؤتمر الأدباء السعوديين الخامس، وزارة الثقافة والإعلام، السعودية، ٢٠١٦م. ٤٩/٢.

"The strong power of the father and his influential position in the Arab family, and in the Saudi family as an example, is either an inhibitor, or supportive towards a positive some transformation in intellectual freedom novels that presents the positive role of the father in constructive intellectual transformation… Ahlam, the main heroine of the novel ʹUnthā Al-ʻankabūt, who has become able to run and manage her own businesses in the city and to write under her real name"([٥٠]).

كما يؤكد (الأمين) أن المجتمع السعودي بطبيعته أبوي للغاية، حيث الأدوار الرئيسية للمرأة هي دور الأم والزوجة والإبنة، في حين أن دور الرجل الأساسي هو دور العائل:

"Saudi Arabian society is very patriarchal in nature, where a woman's primary roles are those of mother, wife, and daughter, whereas man's primary role is that of the breadwinner" ([٥١]).

وقد تكون القبيلة تستفيد من احترام الإسلام لوضع الوالدين، لكن بعض الآباء ذهبوا بعيداً في هذا الصدد، لدرجة استغلال هذه المكانة بالأذى. ولم يجمح هذه السلطة إلا النزوح تجاه المدن وما تحتويه من فروقات لحياة الفرد فيها والتي بالتأكيد أعطت ضوءا وانفراجا. حيث يرى الفوزان: أن امتداد سكنى المدن كانت منفسا ومساحة لانعتاق الفرد من بعض قيود القبيلة السلبية التي كانت سلطتها أحيانا تتجاوز سلطة الدين. ولقد كانت هجرة رسولنا محمد وتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بمثابة التأسيس المباشر لحضارتها وتنميتها وتنوع الأطياف الاجتماعية فيها وبناء الذات وتنمية الفرد والحرية ومساحة الاختيار بطرق عديدة، وكان من أهم الإنجازات وضع حد لما كان قائماً فيما يتعلق بالسيادة الفردية، وهيمنة سلطة القبيلة، والعقل الجمعي، وإلغاء الذات والانكفاء القسري في القبيلة، فكان التحول إلى مساحة حضرية في حمى المدينة تكفل تحقيق مبتغى الفرد.([٥٢]). لذا نجد أن المرأة المدنية المعاصرة على وعي بحقها الاجتماعي والذاتي السليم، حيث مرحلة ترسيخ الوجود. تشير لهذا أمينة الجبرين بقولها: " وها تحن نجد المرأة المعاصرة تطرق مرحلة جديدة من الوعي الرامي إلى استعادة الذات" ([٥٣]). ولم يقتصر الأمر على السرد متعدد الأصوات بل امتد إلى الشعر ومنه الغنائي، وبات مقبولا أن تنشر المؤسسة الحكومية دواوين تحمل انتقادا موجها من الذات إلى القبيلة وإن كان على سبيل المجاز، بديلا عن البحث في توحد الذات مع القبيلة، كما في صوت هند المطيري: ([٥٤]).

الله واحد
والعمر واحد
والقلب واحد
ويح القبيلة

(٥٠) The City and Social Transformations in Arabic Literature: (1980-2011) The Saudi Novel as Case Study( ), Abdullah H A Alfauzan, for the degree of Doctor of Philosophy, University of Leeds. 2013. P: 146, 257.

(٥١) Elamin, A. M. O. Katlin 2010. "Males' Attitudes towards Working Females in Saudi Arabia". Business and Economics-Management, vo1. 39. 746-766. P: 754.

(٥٢) انظر: المرجع السابق ص: ٦٢.

(٥٣) المقالة النسائية السعودية، دراسة أسلوبية، أمية الجبرين، كتاب العربية ١٣، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، ٢٠١١، ص: ٢١١.

(٥٤) الذات الشاعرة والقبيلة. ص٦٣.

كيف تفسد أرواحنا
كيف تسرق أعمارنا
كيف تقسم أحلامنا كالغنيمة

وهو ما يعني أننا لن نجد في شهادة الساردات ممن مارسن الكتابة في السنوات العشر الأخيرة حديثا عن الأسماء المستعارة، وأن التجارب التي خضنها ليست مشابهة لتجارب السابقات. حيث نجد تجربة خيرية السقاف و "أربعة عقود من الإنجاز الأكاديمي والإبداع الإداري والصحفي... عميدة لمركز الدراسات الجامعية للبنات لسبع سنوات. عبرت عن تجربتها الكتابية وارتباطها بالأرض... قادت ركب العشرات في العمل الصحفي النسائي الرائد"([٥٥]). تجربة فيها التباهي لحقيقة مكانة المرأة. ولعل هذا هو ما دفع ليلى الأحيدب أن تسأل " هل الجيل الذي تلانا كذلك؟ هل ينظرون لتجاربنا كما كنا ننظر لتجارب من سبقونا؟"([٥٦]).

المحور الآخر: حضور المرأة / الشهادة الأدبية والتمرد – القلق الأيديولوجي

يتصل هذا المحور بسابقه. حيث أن الساردات ومن خلال إبداعهن قد طرحن مجموعة من القضايا ذات صلة بعلاقة المرأة بمجتمعها وتقاليده وقيمه وأعرافه، وسياسته. خاصة ممن لم تستسلم ولم تؤمن أصلا بهيمنة الرجل وقدمت رؤيتها عبر إبداعها الأدبي. تشير لهذا الناقدة نورة الشملان بقولها: " إن سقف الحرية المتاح للمرأة لا يختلف عن سقف الحرية المتاح للرجل، من حيث مناقشة القضايا الحساسة، وخاصة القضايا الاجتماعية والسياسية"([٥٧]). وهو ما يجعل من شهادتها رؤية ذات خطر بالتطورات المجتمعية. وتحاول نورة القحطاني التطرق لهذا عبر رصد أقوال بعض النقاد في شأن استجابة القارئ واستقباله للنص ([٥٨]). ففي الوقت الذي كانت تبحث فيه الساردات عن الاسم/ الهوية، وطمس معالم الأسماء المستعارة تبقى إشكالية التلقي الإيديولوجي أو ما يمكن أن نطلق عليه التلقي للسرد النسوي، وهو صورة من صور بناء الذات أو هدمها. ومتى انفكت المرأة من لغة الجمع البكائية ضد الرجل واتجهت للغة الفن كانت استجابة التلقي أدعى كما يشير لذلك حسن النعمي ([٥٩]).

يمكن تبين خطورة هذا التلقي إذا أدركنا هذه الطفرة في الكتابة النسوية على مستوى (الكم)، ومشوبة بالضعف الفني على مستوى الكيف؛ لأن كثيرا من الساردات عبرن عن رفضهن لما يمثل خطورة على الذات الأنثوية في مقابل الهيمنة الذكورية، وهو رفض قد يكون له ما يبرره لكن المدهش أن الرائج إعلاميا هي فكرة الرفض في حد ذاتها، وانتقاد قيم المجتمع السعودي بشكل خاص، وهو ما لا يمكن قبوله من روايات ذات ضعف فني على نحو ما

([٥٥]) المرأة العربية والإعلام، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث - كوثر، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص: ١٢٢-١٢٣.

([٥٦]) في السرد والسراد. ص١٧٠.

([٥٧]) المرأة السعودية والكتابة، نورة الشملان، الفيصل، ع ٣٤٤، مارس/أبريل ٢٠٠٥م ص٧٥.

([٥٨]) انظر: مقال نورة القحطاني في : الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية، ملتقى الباحة الثقافي الثاني ١٤٢٨هـ، مجموعة كتاب، وزارة الثقافة والإعلام، النادي الأدبي بالباحة، ١٤٢٨هـ. ص:١٢٧.

([٥٩]) انظر: مقال حسن النعمي في المصدر السابق، ص: ١٤٩.

يمكن أن نشير إلى رواية بنات الرياض وما حققته من شهرة واسعة، واهتمام كبير، وفي الوقت نفسه هي عند أهل الاختصاص ليست من الروايات ذات التقنيات الفنية المحكمة. يقول الكردي عنها: " ليست رواية حقيقية فنية، بل يمكن إدراجها فيما يسمى بشبه الفن الروائي، فهي ليست إلا حكايات تقليدية جدا أو فضفضة جريئة أتيح لصاحبتها من خلال الإنترنت مالم يكن متاحا، ولو أنها ظهرت في بيروت أو دمشق أو الاسكندرية، لما أثارت مثل هذه الزوبعة"([٦٠]). يمكن أن نقول إن كثيرا من السرد النسوي تحقق فيه ما يسمى في نظرية التلقي بكسر أفق التوقع، فقد " خلخلت بعض الروائيات السعوديات أفق الانتظار من جوانب عدة، من بينها خاصة الجرأة الزائدة في طرق المواضيع المسكوت عنها، والتمرد على المجتمع، وعلى تقاليده، وعلى عقليته العامة، وغير ذلك من الجوانب التي أثارت القراء في تعاملهم مع هذه المدونة النسائية "([٦١]). التي ساقت بعض الأعمال الرجالية أن تركب موجتها وأن تغرق بيم الضعف كما في حال رواية (شباب الرياض ٢٠٠٦) و (سورة الرياض ٢٠٠٧) و (حب في السعودية ٢٠٠٦) وما نحى نحوها. هذا الانفجار السردي الروائي النسائي وما حواه من مضمون متشابه مع بداية ظهور التقنيات الرقمية الحديثة لم يكن دوما محل رضى حتى من قبل المرأة ذاتها حيث امتعضت بعض الناقدات السعوديات اللاتي بهتن من موجة التكرار والنمطية الواحدة التي سارت عليها الرواية النسائية تجاه وصم الرجل دوما بالقسوة والتسلط أو استجلاب الرومنسية الفجة. حيث تنتقد الناقدة منى الغامدي عمل الروائية سالمة المواشي وإنتاجها المحصور كله في البكائيات والرومانسيات الساذجة. ([٦٢]). وتصف زينب حفني بطل الرواية (الزوج) بالشيطان في روايتها (الشيطان يحب أحيانا ٢٠١٧) وفي المقابل هناك احتفاء بمن خرجن عن المسار الجمعي في الكتابة عن محيط الرجل. يتجلى هذا في ثناء الناقدة نورة القحطاني لرواية جاهلية حيث تُحبّر قائلة: " تعالج الكاتبة هنا حالات اجتماعية حساسة في رواية متميزة ومدروسة بعناية دون اللجوء إلى الفضائحية المنفرة أوالنياحة الأنثوية البائسة"([٦٣]).

وما أريد أن أقوله إن خوض غمار الشهادة كان يستدعي دوما عند الساردات هذا القلق الأيديولوجي من فكرة التصنيف إلى ذكر وأنثى، وما يستتبع هذا التصنيف من بيان الموقف من قيم المجتمع وتطلعات المرأة. وإن كان هذا التصنيف ربما يندثر تدريجيا مع ارتفاع نسبة الوعي وتحضر المجتمعات كما هو رأي الروائية زينب حفني ([٦٤]). يتضح هذا أيضا في شهادة الروائية السعودية أثير عبدالله مؤلفة رواية أحببتك أكثر مما ينبغي، عندما سئلت عن

([٦٠]) قراءة النص تأصيل نظري ودراسات تطبيقية، عبدالرحيم الكردي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر،٢٠١٣م. ص:٢٤١-٢٤٢.

([٦١]) تلقي الرواية النسائية السعودية ١٤٢٦-١٤٣٤هـ، هند بنت حابس الطويلعي، دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م. ص٩١.

([٦٢]) الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية، ص: ١٥١.

([٦٣]) المرجع السابق، ص: ١٣٦.

([٦٤]) المرأة وتطور السرد العربي، النسائية، النسوية، الأنوثة، محمد معتصم، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، ٢٠١٩. ص: ١٨٠.

تشابه بعض شخصياتها النسائية مع رواية بنات الرياض، ومفهوم قوة المرأة في روايتها، وكانت إجابتها: أن شخصيتها غرست في مجتمع يعتمد كلية على الرجل في تسيير نظام الحياة بما يوافق هواه ([٦٥]). وحين ترتكز الكاتبة على أرض واقعها فستجد ما آمنت به سمة مسلم بها عند البعض أيضا حيث يؤكد هذا الناقد صالح زياد بقوله: "إن حضور الواقع في قراءة الرواية السعودية يبدو طاغيا ومهيمنا"([٦٦]). بينما تؤكد زينب حفني أن الأدب النسائي السعودي أدبا ثوريا بامتياز، أثره في تغيير المجتمع يفوق أثر ما يكتبه الرجل. لكنها ومع هذا التميز لم تستطع كتابة السيرة الذاتية التي تحتاج لامتلاك جرأة واسعة وضمان اجتماعي([٦٧]). وهذا ربما جعل الشهادة الأدبية لدى قلم الكاتبة يعتريه شيء من الضعف بسبب ما تقدم.

وتحرص شريفة الشملان في شهادتها أن تبين الفوارق بين كتابة السرد وكتابة المقال، فالأول قد يمكن المرء من التخلص من القلق الإيديولوجي المصنف للمرأة بعكس المقال الذي يكشف كامل الوعي ويخضع للمساءلة الرقابية ([٦٨]).

الخاتمة

توصل البحث في ضوء فروضه النظرية وما قدمه من نماذج تطبيقية إلى عدد من النتائج التي لمسها القارئ الكريم بتفاصيلها مما سبق والتي من أبرزها:

١- أن الشهادة الأدبية لون من ألوان تفسير النص الأدبي.

٢- مسألة تجنيس الشهادة الأدبية بوصفها لونا أدبيا قائما بذاته مسألة تعوزها الدقة، لأن ماهية الشهادة الأدبية وما قد يترتب عليها من وظائف لم تتضح أو تتكشف بشكل كاف.

٣- وسم الشهادة الأدبية بالسيرة الذاتية له مايبرره، لكن الراني يدرك في الوقت نفسه أن الفروق بينهما كبيرة جدا.

٤- بناء صورة الذات هي الفكرة المحورية التي تلتقي فيها الشهادة الأدبية والسيرة الذاتية.

٥- بناء صورة الذات في الشهادة الأدبية تتم عبر عملية وعي ونقطة التقاء بين الذات الفردية والذات الجماعية.

٦- وقَفَتْ المرأة السعودية الساردة في شهادتها على القضايا الكبرى في المجتمع، وأظهرت مكنون بعض الزوايا التي غفل عنها الرجل.

٧- رصدت الساردات السعوديات في شهاداتهن أن أفق التوقع السلبي في مواقف المجتمع من مناقشة الساردات لقضايا تتعلق بالمرأة جعلهن يلجأن إلى لعبة الأسماء المستعارة.

٨- أظهرت الدراسة أن لعبة التخفي أو الأسماء المستعارة للساردات السعوديات لم تكن بواعثها وأهدافها واحدة ولذا صارت ظاهرت عالمية، تتعدد دوافعها بطبيعة الحال حسب طبيعة كل مجتمع.

([٦٥]) انظر: حوارات في الرواية العربية. ص١٩٤.
([٦٦]) الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية، ص: ٩٣.
([٦٧]) انظر: المرأة وتطور السرد العربي، ص: ١٨١-١٨٢.
([٦٨]) انظر: المرجع السابق، ص: ٩٠.

٩- ظهر من خلال ماسبق أن لعبة التخفي أو الأسماء المستعارة اختفت أو كادت.. مع التحولات المجتمعية الحديثة، وتعزيز دور المرأة في المجتمع.

١٠- الشهادات الأدبية عبرت عن القلق الأيدلوجي الذي تشعر به الساردات السعوديات.

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

المصادر والمراجع

أبحاث ملتقى القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا في الأدب السعودي - الذات والطريق الحلم - حكيمة الحربي، تحرير صالح معيض الغامدي و حسين المناصرة، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ.

الأسماء المستعارة عند الأدباء في المملكة العربية السعودية دراسةٌ في دلالات المضامين والأبنية، إبراهيم المطوع، مجلة كتابات، إصدار خاص، الجمعية المصرية للدراسات السردية، أكتوبر- نوفمبر ديسمبر ٢٠١٢م.

آليات السردية المقاومة في النص السير ذاتي النسوي - شهادة الكاتبة العربية نموذجا، أحمد عبدالقادر الحسيني، المؤتمر الدولي الثالث للدراسات السردية - السرد النسوي في الأدب العربي المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالإسماعيلية بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات السردية، الإسماعيلية، ٢٩-٣١مارس ٢٠١٠م.

بلاغة الشهادة الإبداعية نحو تأسيس لجنس أدبي جديد، أيمن تعيلب، دار العلم والإيمان، كفر الشيخ، ٢٠١٥م.

التحولات في الرواية العربية، نزيه أبو نضال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م.

تلقي الرواية النسائية السعودية ١٤٢٦-١٤٣٤هـ، هند بنت حابس الطويلعي، دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م.

تمظهرات الشكل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير الذاتية، محمد صابر عبيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

تهافت الأصولية: نقد فكري للأصولية الإسلامية من خلال واقعها المعاش، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩م.

حوارات في الرواية العربية، طامي محمد السميري، دار أثر للنشر والتوزيع، الدمام، ١٤٣٣هـ.

حياة الكتابة، مقالات مترجمة عن الكتابة، إعداد وترجمة عبدالله الزماي، مسكيلياني، تونس، ٢٠١٨م.

خارج حدود السرد: شهادات أدبية: قراءات في المشهد الإبداعي وحوارات، إبراهيم درغوثي، دار المنهل، ٢٠١٣م.

دردشة حوارات معلنة، إعداد وترجمة أمل فارس، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٨م.

الذات الشاعرة والقبيلة بوصفها مؤسسة اجتماعية، حمد السويلم، مؤتمر الأدباء السعوديين الخامس، وزارة الثقافة والإعلام، السعودية، ٢٠١٦م.

الرواية وتحولات الحياة في المملكة العربية السعودية، ملتقى الباحة الثقافي الثاني، مجموعة كتاب، وزارة الثقافة والإعلام، النادي الأدبي بالباحة، ١٤٢٨هـ.

السرد التاريخي عند بول ريكور، جنات بلخن، المنهل، ٢٠١٤م،

سلسلة أبحاث المؤتمرات ١٧، ملتقى القاهرة الثاني للإبداع الروائي العربي، الرواية والمدينة، دورة إداوارد سعيد، الشهادات، مجموعة مؤلفين، إشراف علي أبو شادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

السيرة الذاتية المقاومة – الأنواع الأدبية الخارجة على القانون والذوات النسوية عبر القومية. مقال ضمن كتاب: النقد الأدبي النسوي، ترجمة وتقديم هالة كمال، مؤسسة المرأة والذاكرة، سلسلة ترجمات نسوية ٥، القاهرة، ٢٠١٥م.

السيرة الذاتية في الأدب السعودي دراسات نقدية، تحرير صالح معيض الغامدي، عبدالله الحيدري، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ.

السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، أحمد علي آل مريع، سلسلة كتاب المجلة العربية رقم ١٧٨، الرياض، ١٤٣٢هـ.

الشهادات الأدبية في السعودية: مقاربة سوسيو أدبية، محمد الصفراني الجهني، مجلة علامات في النقد الأدبي، ع٨٦، مارس ٢٠١٦م.

الشهادة الأدبية والتجربة الإبداعية:عبد الرحمن مجيد الربيعي أنموذجا، مولود مرعي حسن، المنهل، ٢٠١٤م.

في الأطر النظرية للتلقي: مدارات القراءة تفسير القراءة من مداخل العلوم الإنسانية، محمد مريني، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٥م.

في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، دار كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٧م.

في حضرة الغياب، محمود درويش، دار رياض الريس، بيروت، ٢٠٠٦م.

قراءة النص تأصيل نظري ودراسات تطبيقية، عبدالرحيم الكردي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر،٢٠١٣م.

القصة القصيرة السعودية، شهادات ونصوص، في السرد والسراد، شهادة ليلى الأحيدب، جمع وإعداد خالد اليوسف، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ،

الكتابة والمتخيل، المهجرية الجديدة، الأدب النسوي، أحمد الزعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

المرأة العربية والإعلام، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث –كوثر، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

محاكاة الآخر وتشكيل الهوية قراءة في رواية ذنوب جميلة، شكري الطوانسي، أبحاث المؤتمر الدولي

الخامس للدراسات السردية، الجمعية المصرية للدراسات السردية بالاشتراك مع مركز اللغة العربية والترجمة جامعة قناة السويس، ٢٠١٣م.
مداخلات لغوية، شهادات ومتابعات، أبو أوس إبراهيم الشمسان، الرياض، ١٤٣٦هـ.
المرأة السعودية والكتابة، نورة الشملان، الفيصل، ع ٣٤٤، مارس/أبريل ٢٠٠٥م.
المرأة وتطور السرد العربي، النسائية، النسوية، الأنوثة، محمد معتصم، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، ٢٠١٩م.
مرايا التذوق الأدبي: دراسات وشهادات، خليل إبراهيم، دراسات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.
معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، تونس، ٢٠١٠م.
المقالة النسائية السعودية، دراسة أسلوبية، أمية الجبرين، كتاب العربية١٣، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، ٢٠١١م.
من الإنشائية إلى الدراسة الأجناسية، أحمد الجوة، قرطاج للنشر والتوزيع، صفاقس، إبريل ٢٠٠٧م.
النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة جابر عصفور، سلسلة آفاق الترجمة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥م.
نظرية السيرة الذاتية (المصطلح، الأنواع، الحقيقة والخيال)، أحمد علي آل مريع، ضمن السيرة الذاتية في الأدب السعودي دراسات نقدية، تحرير صالح معيض الغامدي و عبدالله الحيدري، كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ.
نقد السرد السير ذاتي والقصصي والروائي: دراسة في الخطاب النقدي لمحمد صابر عبيد، نبهان حسون السعدون، المنهل، ٢٠١٧م.

Alfauzan Abdullah H A, 2013. The City and Social Transformations in Arabic Literature: The Saudi Novel as Case Study (١٩٨٠-٢٠١١) for the degree of Doctor of Philosophy, University of Leeds.
Elamin, A. M. O. Katlin 2010. “Males' Attitudes towards Working Females in Saudi Arabia”. Business and Economics-Management.
IRENA R. Makaryk, 1995. Encyclopedia of Contemporary Literary Theory, Approaches, Scholars, Terms. University of Toronto Press, Canada.

Literary Recognition and Self-image Construction: Saudi Women Writers as an Example

Abdullah H. Alfauzan.
College of Arabic & Social Studies,
Arabic department. Qassim University,

*Abstract***.** Literary prose is one of the prevailing and widespread genre that writers and literary men deliberated on these days. Thus, literary appreciation, as an example, is looked upon as a remarkable link between readers and writers. In fact, it is considered an avenue of analyzing and revealing the secrets of the literary text, especially from the point of view of the creator, who seeks to reach his/her goal entirely to the reader's world. At this point, self-image is reflected in these appreciations that can be explained and interpreted via various approaches. In the first approach, the creator provides a typical picture of the self-image during work and after attending the conference. The second point involves when the female writer monitors the self and sees its interaction with the outside world. Actually, both approaches are methods for reading the literary text. The narrative approach of Saudi women is an important and vital milestone in the history of Arabic literature because it recently captivates the attention of many popular critics, publishing houses, translators and the media

Therefore, the study discusses the nature of the Saudi female narratives from the perspective literary appreciation which leads us to answer the following questions such as:

1. How does literary recognition build the image of the self and how it is related to the biography of the writer?
2. How did Saudi women writers monitor the relationship between the text and community issues at the level of literary recognitions?
3. Is there a significant difference between what Saudi women have recorded in the literary recognitions and what is in the literary text?

This research methodology will focus on the idea that literary recognition is an approach which considers the importance of the explanatory achievements of Saudi women writers and how the community received these explanations, presented in the creative text.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٣ ص ص: ٢١٧- ٢٤٨ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-3.9

التنظيم الانفعالي وعلاقته بدافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى

د. عبير محمد الصبان وأ. سماح عمر السلمي وأ. هبه عبد الحي الأنصاري

مستخلص. التنظيم الانفعالي وعلاقته بدافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى.
تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن مستوى التنظيم الانفعالي واستراتيجياته لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى. كما تهدف إلى التعرف على العلاقة بين التنظيم الانفعالي واستراتيجياته ودافع الإنجاز والكشف عن الفروق في دافع الإنجاز تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي. وتكونت عينة الدراسة من(١٤٧) طالبة من طالبات جامعة أم القرى بمختلف التخصصات. طبق عليهم مقياس التنظيم الانفعالي لجروس وجون (2003) Gross & John، ومقياس دافعية الإنجاز للسرحا (٢٠١٦). وأسفرت النتائج عن وجود مستوى متوسط من التنظيم الانفعالي لدى عينة الدراسة وكانت أكثر الاستراتيجيات شيوعاً استراتيجية إعادة التقييم يليها استراتيجية الكتمان. كما بينت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة احصائياً بين التنظيم الانفعالي واستراتيجياته ودافع الإنجاز. ووجود فروق دالة احصائياً في دافع الإنجاز وأبعاده تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي لصالح المستوى المرتفع. وفي ضوء تلك النتائج أوصت الدراسة بعدد من التوصيات.

المقدمة

على الرغم من الاهتمام القديم والمتجدد بدراسة الانفعالات في علم النفس، إلا أن البحث في مجال تنظيم الانفعال يعد حديثاً بعض الشيء، حيث تكاتفت الجهود للبحث في آلية تنظيم الانفعال التي بات من المعروف أنها تكمن وراء العديد من المشكلات ومنها المشكلات التعليمية والتربوية.

إذ يعتبر تنظيم الانفعال من المفاهيم الجوهرية وجزء مهم لتفسير الاستجابة الانفعالية المعقدة، فكل فرد له المهارات الانفعالية والمعرفية والسلوكية التي تنظم وتسيطر على الخبرات والمواقف والتعبيرات الناتجة من تفاعل الفرد مع محيطه (مظلوم، ٢٠١٧،). ويتضمن تنظيم الانفعال القدرة على التعديل والتأثير في الانفعالات والمشاعر وتوجيهها إلى الإنجاز والتفوق واتخاذ أفضل القرارات (Cisler& Olatunji, 2012).

وهذا ما أكده جولمان(٢٠٠٠،٢٥٧) في أن الصحة الانفعالية أساسية في فعالية التعلم، وأنها عنصر رئيسي لنجاح الطلاب في الدراسة، كما أن الافراد الذين لديهم القدرة على السيطرة على انفعالاتهم، وحسن إداراتها أكثر قدرة على التعلم والتفوق.

وتعد الدافعية للإنجاز أحد العوامل المهمة التي تؤدي دوراً فاعلاً في تعلم المتعلم، حيث أن لها أهمية في زيادة انتباه الطالب واندماجه في الأنشطة التعليمية، ويرجع نجاحه وفشله إلى عوامل داخلية، وسيطرته على العوامل المؤثرة في إنجاز مهمة التعلم، كما لها دور في رفع مستوى أداء الطالب وانتاجيته في مختلف المجالات والأنشطة الدراسية التي يواجهها (أحمد، ٢٠٠٥).

وفي السياق نفسه يعد تنظيم الانفعال من العوامل التي تؤثر في دافعية الفرد للإنجاز، وتعتبر حلقة الوصل بين التنظيم العقلي والذاتي، وهذا ما يبرز تفاعل الجوانب المختلفة في شخصية الفرد، ونظراً لمتطلبات وظروف العصر الذي نعيش فيه فإن ذلك يحتاج قدرات عقلية ومهارات انفعالية من الفرد لحل المشكلات التي تواجهه ومواجهة العقبات التي تقف في طريقه (سرحان، ٢٠١٥).

حيث أن تنظيم الانفعال يعلمنا كيف نغير من أنماط تفكيرنا ومن طريقة نظرتنا إلى العالم ويولد في أنفسنا مشاعر إيجابية تجاه الذات والآخرين، فنحن لا نستطيع أن نحدد متى نغضب ومتى نخاف ومتى نقلق ومتى نحب ولكننا نستطيع أن نحدد كيف نتعامل مع كل منها (مغربي، ٢٠٠٧)

وبذلك يمكن القول بأن تنظيم الانفعالات يؤثر في دافعية الطلاب للإنجاز وفي أدائهم وسلوكهم وقدرتهم على التحمل والمثابرة ومواجهة الصعوبات، وهذا ما أكدته دراسة Fried & Chapman (2012) التي توصلت إلى وجود علاقة ارتباطيه موجبة بين مستوى تنظيم الانفعالات ودافعية الطلبة.

وانطلاقاً مما سبق، فإن الدراسة الحالية تسعى لتقديم إضافة علمية جديدة من خلال تناولها موضوع تنظيم الانفعال وعلاقته بدافع الإنجاز لدى طالبات المرحلة الجامعية وهو من الموضوعات البحثية الجديدة التي لم تتناوله الدراسات العربية السابقة وذلك في حدود علم الباحثات.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

تعد الانفعالات من العوامل المؤثرة في حياة وسلوكيات الأفراد، فالانفعالات الجامحة قد تؤدي إلى

عدم التنظيم أو اضطراب العمليات النفسية وهي بدورها تؤثر على أداء وفعالية الفرد.

وهذا ما أشار إلية فيل Vail (2005, 32) في أن هناك العديد من الأسباب التي تجعل بعض الأفراد ناجحين في حين يفشل اخرون على الرغم من امتلاكهم المواهب والقدرات، ويتمثل الفشل فيما ينتابهم من انفعالات سلبية كالقلق، الخوف، عدم السعادة والغضب حيث يكون من أسباب الفشل عدم القدرة على تنظيم الانفعالات والاستفادة من الانفعالات السلبية وتوجيهها نحو الإنجاز و التفوق، أو عدم المعرفة بآلية التنظيم، فتنظيم الانفعالات يمكن الفرد من تحقيق الأهداف التي يسعى إليها كما يساعده على الإنجاز والتفوق بمختلف مجالات الحياة المختلفة ولا سيما في المجال التعليمي.

ويعد دافع الإنجاز للطلبة من أكثر العوامل أهمية في العملية التربوية حيث أنه يلعب دوراً حاسماً ومهماً في النجاح أو الفشل. فهي كما يرى موراي(١٩٨٨، ١٩٠) بأنها الرغبة المستمرة للسعي إلى النجاح وإنجاز الأعمال الصعبة والتغلب على العقبات بكفاءة وأقل جهد ووقت وبأفضل مستوى من التعلم.

وهي حالة داخلية مرتبطة بمشاعر الفرد وتوجه نشاطه نحو التخطيط للعمل وتنفيذه بما يحقق مستوى محدد من التفوق يؤمن به ويعتقد به لذلك تعتبر دافعية الإنجاز دافعاً يتولد لدى الفرد يجعله في موقف تنافسي (Albert, 2005) ومثل تلك الصفات لا يمكن التحلي بها وتنميتها دون فهم واعي لذاتنا بكل ما تتضمنه من مشاعر وانفعالات، وذلك لأن نجاح الإنسان في بيئته ترجمة لدافعية إنجازه بالصورة المطلوبة، وهي لا تتم بصورة فردية ولكن من خلال التفاعل المباشر مع جميع الأفراد، فهم مشاعرنا ومشاعر الآخرين وترجمتها إلى سلوكيات ومواقف مفيدة لجميع الأطراف المشاركة في العملية الاجتماعية (Alen, 2005).

لذلك يعتبر التنظيم الجيد للانفعالات من العوامل المؤثرة على دافعية الإنجاز، فمتى استطاع الطالب فهم وإدراك ذاته بسلبياتها وايجبياتها يوجه مشاعره وانفعالاته بالطريقة المناسبة لتعزيز أداءه وتحقيق أهدافه والتغلب على العقبات مما يعمل على ارتفاع دافعية الإنجاز لديه.

تساؤلات الدراسة

يمكن تحديد تساؤلات الدراسة كالتالي:

١. ما هو مستوى التنظيم الانفعالي واستراتيجياته لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى؟

٢. هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التنظيم الانفعالي ودافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى؟

٣. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط الدرجات الكلية لدافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى تعزى لمستوى التنظيم الانفعالي؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن:

١. مستوى التنظيم الانفعالي واستراتيجياته لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى.
٢. نوع العلاقة بين التنظيم الانفعالي واستراتيجياته ودافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى.
٣. الفروق في دافع الإنجاز تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى.

أهمية الدراسة

زاد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالتنظيم الانفعالي، وتستمد الدراسة الحالية أهميتها من خلال:

١. أهمية متغير التنظيم الانفعالي، نظراً لكونه من العوامل المؤثرة في الوظائف النفسية والاجتماعية والأكاديمية للفرد، وارتباطه بمخرجات الصحة النفسية والجسمية، والإنجاز والأداء، فضلاً عن كونه مكوناً أساسياً من مكونات الذكاء الانفعالي.
٢. توجيه انتباه الباحثين إلى الاهتمام بتوظيف استراتيجيات التنظيم الانفعالي داخل القاعات الدراسية لتحسين مستوى دافع الإنجاز لدى الطلبة وفقاً للتوجهات المعاصرة في علم النفس.
٣. الاستفادة من نتائج الدراسة في تصميم برامج إرشادية تسهم في تنمية تنظيم الانفعالات التكيفية، مما يساعد الطالبات على التخلص من التأثيرات السلبية لحدة الانفعالات، وهذا بدوره ينعكس بشكل إيجابي على أدائهم الأكاديمي، وعلاقاتهم الاجتماعية، وتوافقهم وصحتهم الجسمية والنفسية بشكل عام.
٤. أهمية الشريحة العمرية التي تتناولها الدراسة، المتمثلة في طالبات الجامعة، وهم ممن ينتمون إلى مرحلة المراهقة المتأخرة بضغوطها وتحدياتها، وتقلباتها الانفعالية، كما أنهن يكونون أكثر استهدافاً من غيرهم لضغوط متعددة المصادر، مما يؤثر في أدائهن الأكاديمي وتوافقهن الجامعي.
٥. إضافة بعض المعلومات والتفسيرات المرتبطة بالنتائج لنوع العلاقة بين تلك المتغيرات خصوصاً أن هناك قلة في الدراسات الأجنبية بصفة عامة والدراسات العربية بصفة خاصة التي بحثت في التنظيم الانفعالي وعلاقته بدافع الإنجاز (على حد علم الباحثات).

مصطلحات الدراسة

التنظيم الانفعالي: عرفه جروس وجون Gross & John (2003, 349) بأنه "العمليات التي تحدث عندما يحاول الفرد أن يؤثر في نوع أو كمية الانفعال الذي يخبره هو أو يخبره الآخرون من حوله وكيفية التعبير عن الانفعالات ".

ويعرف إجرائياً: بالدرجة الكلية التي تحصل عليها الطالبة على مقياس التنظيم الانفعالي المستخدم في هذه الدراسة اعداد (Gross & John, 2003).

دافع الإنجاز: عرّفها السرحا (٢٠١٦، ٢٩) بأنها: "تكوين افتراضي يتضمن الشعور المرتبط بالأداء في مواقف تنافسية تهدف لتحقيق معايير الامتياز والتفوق" .

وتعرف إجرائياً: بالدرجة التي تحصل عليها الطالبة على مقياس دافعية الإنجاز المستخدم في هذه الدراسة اعداد (السرحا، ٢٠١٦).

حدود الدراسة

الحدود الزمانية: العام الجامعي ١٤٣٩- ١٤٤٠هـ

الحدود المكانية: جامعة أم القرى بمدينة مكة المكرمة.

الإطار النظري

أولا: التنظيم الانفعالي Emotional Regulation

الحياة الإنسانية حقل غني بالخبرات والأحداث السارة التي تصاحبها انفعالات إيجابية تنشيطية تدفع الفرد للتفوق والإنجاز، الذي قد يتعرض لخبرات وظروف ضاغطة، وأحداث حياتية سالبة، تصاحبها انفعالات سلبية متباينة من حيث أنواعها وشدتها تعوق أداء الفرد وتترك تأثيراتها السلبية على صحته وشخصيته وعلاقاته الاجتماعية، ويحاول الفرد التخفيف من حدة الآثار السلبية للانفعالات من خلال إدارتها والتعبير عنها بشكل متوازن، وهو ما يعرف بتنظيم الانفعال (الضبع وشلبي، ٢٠١٥).

فقد ظهر ذلك المفهوم في مجال البحث النفسي لأول مرة عام ١٩٩٠ وذلك عندما قدم Gross ذلك المفهوم من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي مؤكداً على استخدام استراتيجيات التنظيم الانفعالي لتعديل ديناميات الانفعال (الضبع وشلبي، ٢٠١٥).

مفهوم التنظيم الانفعالي

يعرف التنظيم الانفعالي بأنه "تلك العملية المتصلة بالتعديل والتأثير على متى وكيف يتم التعبير عن الانفعالات الخاصة وكيف يتم معايشة تلك الانفعالات. ويشمل ذلك كل الانفعالات الشعورية واللاشعورية السلبية والموجبة على حد سواء" (Cisler, Olatunji, Feldner & Forsyth, 2010 ,70) "وهو عملية تعديل وتأثير الفرد في نوع الانفعالات وشدتها واستمراريتها والتعبير عنها وكيفية معايشتها، ويتضمن تنظيم الانفعال استراتيجيتين هما :إعادة التقييم المعرفي، وقمع التعبير الانفعالي" (مظلوم، ٢٠١٧، ٩).

ويرى جرانفسكي وكاريج (2007,142) Garnefski & Kraaijالتنظيم الانفعالي بأنه "المهارات التي تحفظ توازن الفرد الانفعالي في علاقاته الانفعالية مع ذاته والآخرين، وتساعده في التحكم بعواطفه أثناء مواجهة أحداث التوتر والتهديد".

وقد ميزت سارني (1999) Saarni بين التنظيم الذاتي وتنظيم الانفعالات، إذ تؤكد أن التنظيم الذاتي هو قدرة الفرد على إدارة سلوكه، وأفكاره، ومشاعره بطرائق فعالة ومرنة في المواقف التي تعكس ظروفاً اجتماعية، وأخرى جسمية، ويساهم التنظيم الذاتي الأمثل في إحساس الفرد بالرضا، وبالكفاية الذاتية، وبالقدرة على التواصل مع الآخرين. وبالمقابل ترى سارني أن تنظيم الانفعالات يتمثل بقدرة الفرد على إدارة الخبرة الذاتية للانفعالات، وشدتها واستمراريتها،

والتحكم في التعابير الانفعالية في مواقف التفاعل الاجتماعي.

وقد يكون تنظيم الانفعال بصورة شعورية أو غير شعورية. و يكون شعوري كاتخاذ قرار بتغيير مواضيع مزعجة، أو إخماد الضحك على حركات طفل مثيرة للضحك، وقد يحدث بدون معرفة شعورية، كأن تصبح إعمال روتينية نمارسها بشكل جيد تلقائية أو أوتوماتيكية كإخفاء الفرد لخيبة أمل على هدية غير جذابة، وإشعال سيجارة عند القلق أو ألقاء نكتة لتهدئه التوتر (Gross, 1999, 558).

ومن الأفضل أن نفكر في التنظيم الانفعالي بمتصل يمتد من تنظيم شعوري يتطلب جهداً متحكم به إلى تنظيم تلقائي لاشعوري ولا يتطلب جهداً (Gross, 2007, 11).

مما سبق يمكن القول أن التنظيم الانفعالي يعبر عن جهود الفرد للسيطرة على حالة الاستثارة الانفعالية وإعادة توجيهها وتحسينها وتعديلها حتى يتمكن من الأداء المتكيف الذي يساعده على تحقيق أهدافه وتجاوز العقبات التي تواجهه.

التنظيم الانفعالي والمصطلحات ذات العلاقة

كثيراً ما يشيع الخلط بين مفهوم التنظيم الانفعالي ومفاهيم أخرى، واستخدامها كمصطلحات مرادفة لذلك المفهوم ومن تلك المفاهيم الضبط الانفعالي، وإدارة الانفعال، الاتزان الانفعالي وهذا ما أشار إليه الضبع وشلبي (٢٠١٥) بأن مفهوم التنظيم عادة ما كان يشار إليه في التراث النفسي بتلك المفاهيم.

وفي واقع الأمر يعتبر مصطلح التنظيم الانفعالي مختلفاً عن تلك المفاهيم وذلك باعتباره أحد أهم مكونات الذكاء الانفعالي وهذا ما أكده سولفاي وماير عندما توصلا إلى مكونات الذكاء الانفعالي واعتباره يتكون من ثلاث عمليات عقلية وهي (Vitello-Cicciu, 2003, 30):

١. إدراك الانفعالات والتعبير عنها Appraising and expressing emotions
٢. تنظيم الانفعالات Regulating emotions
٣. استخدام الانفعالات بطريقة تكيفية Using emotions in adaptive ways

كما يعتبر التنظيم الانفعالي أحد الأبعاد الأساسية للذكاء الانفعالي حيث حدد (جولمان،٢٠٠٠) خمسة أبعاد تعتبر أركان اساسية يتكون منها الذكاء الانفعالي وهي:

- **البعد الأول:** المعرفة الانفعالية Emotional Cognitive
- **البعد الثاني:** إدارة الانفعالات Management of emotions
- **البعد الثالث:** تنظيم الانفعالات Regulating of emotions
- **البعد الرابع:** التعاطفEmpathy
- **البعد الخامس:** التواصل الاجتماعي Social Communication

هذا وتختلف مفاهيم تلك المصطلحات عن التنظيم الانفعالي فيما يشير إليه كل مفهوم فالضبط

الانفعالي Emotional Control يشير إلى ضبط النفس والسيطرة عليها في المواقف التي تثير الانفعال والتقدير الإيجابي للذات بما يتضمن القدرة على حل المشكلات ومعالجتها ذاتيا والشعور بالاستقلالية والبعد عن الانانية (بقوش، ٢٠١٦، ٢٥)

بينما الاتزان الانفعالي Emotional Stability يعبر عن "مقدرة الفرد في السيطرة على انفعالاته والتحكم بها، وعدم افراطه في التهيج الانفعالي، أو عدم الانسياق وراء تأثيرات الأحداث الخارجية العابرة وصولاً إلى التكيف الذاتي والاجتماعي دون أن يكلف ذلك مجهوداً نفسياً كبيراً" (يونس، ٢٠٠٤، ٣٦).

وفي السياق نفسه عبر عثمان ورزق (٢٠٠٢، ٢٥٦) عن إدارة الانفعالات والتنظيم الانفعالي بما يلي:

تشير إدارة الانفعالات Emotions Management إلى "القدرة على التحكم في الانفعالات السلبية، والسيطرة عليها واستدعاء الانفعالات الإيجابية بسهولة، وكسب الوقت للتحكم فيها وتحويلها إلى انفعالات إيجابية، وهزيمة القلق والاكتئاب وممارسة مهارات الحياة بفاعلية".

بينما التنظيم الانفعالي Emotional Regulation يشير إلى القدرة على "تنظيم الانفعالات والمشاعر، وتوجيهها إلى تحقيق الإنجاز والتفوق، واستعمال المشاعر والانفعالات في صنع أفضل القرارات، وفهم كيف يتعامل مع الآخرون بالانفعالات المختلفة، وكيف تتحول الانفعالات من مرحلة إلى أخرى".

من خلال ما سبق ترى الباحثات أن مفهوم التنظيم الانفعالي يختلف عن مفاهيم الضبط الانفعالي، وإدارة الانفعال، والاتزان الانفعالي إذ أن التنظيم الانفعالي لا يكتفي فقط باستخدام استراتيجيات منظمة للانفعال والتعبير عن الانفعال في المواقف المناسبة له، ولكن الاستفادة من تلك الانفعالات وتوجيهها إلى تحقيق الإنجاز والتفوق واتخاذ أفضل القرارات. كما أن التنظيم الانفعالي يستخدم مع الانفعالات السلبية والإيجابية على حد سواء وذلك بعكس إدارة الانفعال التي تستخدم مع الانفعالات السلبية مثل الغضب.

أبعاد التنظيم الانفعالي

اشار جراتز ورومير (2004) Gratz & Roemer إلى أن من أبعاد للتنظيم الانفعالي:

أولاً: الوعي الانفعالي Emotional awareness ويتضمن القدرة على إدراك الانفعال لتوضيح المشاعر دون قهرها أو إنكارها أو تجنبها.

ثانياً: القبول الانفعالي Emotional acceptanceويتضح بنقص في الاستجابة الانفعالية السلبية لشعور ما على سبيل المثال الشعور بالذنب تجاه الشعور بالغضب.

ثالثاً: المرونة التنظيمية Regulatory flexibility تتضمن المعالجة واستخدام استراتيجيات التنظيم الانفعالي بمرونة.

رابعاً: التسامح الانفعالي Emotional tolerance

يتضمن التصرف بأسلوب يقود إلى تحقيق الأهداف ومنع السلوكيات المندفعة والتسامح في نفس الوقت (Han, 2009).

خصائص التنظيم الانفعالي

للتنظيم الانفعالي عدد من الخصائص يمكن تحديدها كالتالي (Jazaieri, Morrison, Goldin & Gross, 2015)

١. مدى تأثير تنظيم الانفعال على شدة ومدة الانفعالات.

٢. تنظيم الانفعال يعتبر عملية واعية قصدية تتطلب مجهوداً، أو يمكن اعتبارها عملية تحدث بدون وعي.

٣. عمليات تنظيم الانفعال يجب تقييمها ضمن سياقات محددة في ضوء الهدف التنظيمي للفرد لتحديد ما إذا كانت تكيفية، أو غير تكيفية.

نماذج واستراتيجيات التنظيم الانفعالي

هناك نماذج عديدة لتفسير التنظيم الانفعالي وسوف نذكر منها نموذج جروس Gross (1998)، ومن أشهر نماذج التنظيم الانفعالي، وفيما يلي توضيح لذلك النموذج:

نموذج جروس Gross (1998)

وقد اقترح جروس Gross نموذج تنظيم الانفعالات، ويتضمن كل من الأساليب الشعورية والأساليب اللاشعورية التي نستخدمها في زيادة، واستمرار، وخفض واحد أو أكثر من مكونات الاستجابة الانفعالية. ويفترض ذلك النموذج سلسلة من المراحل وهي (Gross, 2002):

- **المرحلة الأولى:** حيث يواجه الأفراد المواقف التي يحتمل أن تولد استجابة انفعالية.
- **المرحلة الثانية:** يكون الأفراد قادرين أو غير قادرين على الأخذ بعين الاعتبار الخصائص الانفعالية للموقف.
- **المرحلة الثالثة:** يقوم الأفراد بتوليد تقييمات معرفية للموقف التي يمكن أو لا يمكن أن تؤدي إلى استجابة انفعالية.
- **المرحلة الرابعة:** يعبر الافراد عن انفعالاتهم من خلال سلوكهم.

وحسب نموذج العمليات، فكل مرحلة من المراحل الأربعة لتوليد الانفعال يمكن أن تكون هدفاً لعملية التنظيم (Koole, Dillen &Sheppes, 2010).

ويرى جروس Gross أن مكونات التنظيم الانفعالي تتضمن (Gross,1998):

- **المكون الخبراتي:** ويمثل المشاعر الذاتية لانفعال الفرد وفقاً خبراته الحياتية.
- **المكون السلوكي:** ويمثل الاستجابات السلوكية.
- **المكون الفسيولوجي:** ويمثل الاستجابات الفسيولوجية كضربات القلب وزيادة ضغط الدم.

استراتيجيات التنظيم الانفعالي لدى جروس

يستعمل الأفراد استراتيجيات معينة للتأثير في مستوى الاستجابة الانفعالية ليظهروا نمطاً معيناً من الانفعال فعلى سبيل المثال لا يوجد فرد لديه مستوى عال من

الانفعال وفي الوقت نفسه لديه مستوى منخفض من الانفعال أيضاً، وقد قسم جروس Gross استراتيجيات التنظيم الانفعالي بناء على الوقت أثناء عملية توليد الانفعال إلى استراتيجيات تركز على العمليات السابقة، واخرى على الاستجابة (Gross & john, 2003). ويمكن توضيحها كالتالي:

أولاً: استراتيجية التركيز المسبق Antecedent Focused Strategies

وهي التي يلجأ إليها الفرد في حالة الاستعداد للاستجابة قبل أن يكون متفاعلاً مع المثير للموقف الانفعالي بشكل كلي وقد ميز جروس بين أربعة أنواع مختلفة لاستراتيجيات التركيز المسبق لتنظيم الانفعال والتي يمكن أن تطبق في مواقف مختلفة في عملية توليد الانفعال (Gross, 2003) وهي:

١.اختيار الموقف Situation Selection

وتعني تجنب بعض الأفراد أو الأماكن أو الموضوعات، بهدف تنظيم الانفعال (Putnam & Silk, 2005).

٢.تعديل الموقف Situation Modification

حينما يتعمد الفرد موقف ليشعر بوضع انفعالي مختلف، فالشخص الذي يشاهد برنامج تلفزيوني مزعج ربما قد يغير القناة التلفزيونية Gross, (2007).

٣. نشر الانتباه Attention deployment

وهو تغيير الانتباه بعيداً عن الموقف فقد يغلق الفرد عيناه حينما يشاهد عملية إطلاق رصاص ، أي يتحول الانتباه عن المثيرات التي تثير مشاعر غير مرغوبة إلى أمور أخرى مرغوبة (Boss, Pontier & Treur 2007).

٤.التغيير المعرفي Cognitive Change

ويقصد به انتقاء معنى معرفي للحدث ويهدف إلى تنظيم منخفض للانفعال. ويعتبر إعادة التقييم المعرفي Reappraisal أحد أهم أشكال التغيير المعرفي والذي يعني أن الفرد يعيد تقييم المعرفة للتخلص من الانفعال المحتمل حدوثه من ذلك الموقف وخفض الأثر الانفعالي له (يعقوب، ٢٠١١).

و يركز إعادة التقييم المعرفي على التاريخ الانفعالي للفرد وردوده الانفعالية حسب المواقف التي تعرض لها، وتحدث قبل الاستجابة الانفعالية حيث تقوم بالتخفيف من المشاعر السلبية وزيادة الإيجابية و تستعمل في علم النفس الإيجابي الذي يركز على التكيف والتفاؤل واختيار الجوانب الايجابية للوضع تحسباً للعواقب (بلحسيني، ٢٠١٧).

كما تؤكد تلك الاستراتيجية أن ردودنا الانفعالية نتيجة أفكارنا، فأي موقف خارجي يمكن أن يترجم إلى انفعالات إيجابية أو سلبية اعتماداً على مدى تقييمه كأمر متوافق أو غير متوافق مع أهداف الفرد (Koole et al., 2010).

ثانياً: استراتيجية التركيز على الاستجابة Response Focused Strategies

وهي الاستراتيجية التي يلجأ الفرد لتطبيقها عندما يكون متفاعلاً أي يكون الانفعال قائماً، وقد حدد جروس Gross الاستراتيجيات التي تركز على الاستجابة الانفعالية باستجابة واحدة فقط هي:

تعديل أو قمع الاستجابة الانفعالية Response Modulation

وتعني التركيز على الاستجابة وتطبق بعد حدوث الاستجابة الانفعالية وتدعى أيضاً بكبت التعبير وتعني أن الفرد يكف عن المضي في سلوكه التعبيري لانفعالاته في ذلك الموقف، أو أنه يخفي العلامات أو الإشارات للتعبير الانفعالي، والهدف من ذلك المسايرة الاجتماعية والخضوع لأوامر الجماعة أو الانصياع للموقف (Gross, 2002).

وتستعمل أثناء الموقف بهدف منع التعبير عن العواطف أوإخفائها حتى لا تصل الانفعالات الداخلية للفرد الآخر، أي تغيير الاستجابة العاطفية بعد أن تم انشائها من الموقف، وتغيير الاستجابات السلوكية لتخفيض الحدة الانفعالية. وبالمقابل فإنه لا يمكن خفض الانفعال في ذلك الموقف ككل لان هذا يضر بالصحة النفسية للفرد ويشجع على ظهور اضطرابات نفسية انفعالية معينة مثل القلق والاكتئاب في الحالات المرضية (بلحسيني، ٢٠١٧).

وقمع الاستجابة يستدل عليها من خلال عدم إظهار تعبيرات الوجه أو المنطوقة، أو التعبير الجسدي للانفعالات التي يشعر بها الفرد داخلياً، كأن يحاول إظهار ملامح وجه حيادية عنه عند تلقيه نقداً لاذعاً (Gross& Levenson,1993).

دافع الإنجاز Achievement motivation

يعتبر منتصف القرن العشرين نقطة البداية الحقيقية لدراسة الدافعية بشكل علمي ودقيق من حيث تحديد الصياغة الدقية للمفاهيم ودراستها إجرائياً، أو من ناحية مناهج البحث وأساليب القياس، حيث يعد موضوع الدافعية في علم النفس مهم على المستوى النظري أو التطبيقي (خليفة وعبد الله، ٢٠١١).

مفهوم دافع الإنجاز

يعتبر الدافع للإنجاز أحد الدوافع الداخلية الفردية، على خلاف معظم الدوافع المماثلة (مثل الفضول والكفاءة) ويقتصر على الإنسان فقط، كما أنه كان موضوعاً لبحوث ودراسات مكثفة أكثر من الدوافع الأخرى (خليفة وعبد الله، ٢٠١١).

ويرجع استخدام مصطلح الدافع للإنجاز تاريخيا في المجال السيكولوجي الى ألفرد أدلر Adler، الذي أعتبر الدافع للانجاز هي دافع تعويضي مستمد من خبرات مرحلة الطفولة، وليفن Levin الذي أشار لذلك المفهوم خلال دراسته مفهوم الطموح Aspiration، وذلك قبل أن يستخدم موراي مصطلح الحاجة للإنجاز (عبد الخالق والنيال، ١٩٩١).

ورغم تلك البدايات المبكرة، فالفضل يعود إلى العالم النفسي الأمريكي هنري موراي، الذي يعتبر من أوائل الذين قدموا مفهوم دقيق للحاجة للإنجاز، باعتبارها أحد مكونات الشخصية (خليفة، ٢٠٠٠).

ويمكن تعريف دافعية الإنجاز بأنها: "الرغبة في الإجادة والامتياز في تحقيق نتائج المهام التي يقوم بها الأفراد. وتنشأ تلك الدافعية من حاجات مثل السعي وراء التفوق، تحقيق الأهداف السامية، أو النجاح في المهام الصعبة" (الكناني والكندري، ١٩٩٢، ٢١٣).

كما يقصد بها: "استعداد الفرد لتحمل المسؤولية والسعي نحو التفوق لتحقيق أهداف معينة، والمثابرة للتغلب على العقبات والمشكلات التي قد تواجهه، والشعور بأهمية الزمن والتخطيط للمستقبل" (خليفة، ٢٠٠٦، ١٧).

الاتجاه السلبي في دافع الإنجاز

يجب للتمييز بين نوعين من الاتجاهات نحو الإنجاز الأول اتجاه إيجابي والآخر اتجاه سلبي، فقد لوحظ أن إنجاز الفرد قد لا يكون مرده حب النجاح فقط، وهو الاتجاه الإيجابي، وإنما قد يكون مرده أيضاً الخوف من عاقبة الفشل، وهو الاتجاه السلبي. وقد كشفت البحوث أن الاتجاه الإيجابي ينمو عندما تثيب الأم طفلها عند نجاحه وتكون استجابتها محايدة في حالة فشله، بينما ينمو الاتجاه السلبي للإنجاز في الحالات التي تستجيب الأم فيها بالحياء عند نجاح الطفل لكنها تقوم بعقابه في حالة الفشل (محمد، ٢٠٠٤).

الدافع للنجاح والدافع لتجنب الفشل

ليس كل ما نقوم به من أعمال مدفوع بالأمل في النجاح، إذ يكون أداؤنا أحياناً مصحوباً بالخوف من الفشل. فدافعية الإنجاز هي الناتج النهائي للعلاقة بين دوافع النجاح ودوافع تجنب الفشل والتفاعل فيما بينها، فالدافع للنجاح هو الذي يوجه سلوك الفرد للاستفادة من امكانيته وقدراته في تحقيق النجاح بكفاءة وفعالية، ويكون في صورة صعاب تواجه الفرد، اهتمامات متنوعة، الإحساس بالمقدرة، المنافسة، الاستقلال، وتكون هذه الدوافع بمثابة دوافع إقدام لدى الفرد(منصور ، التويجري، والفقي، ٢٠٠٥).

وعلى العكس دوافع تجنب الفشل تستثير الفرد وتقلقه خلال قيامه بمعالجة المهام المختلفة، وتكون في صورة خوفه من الفشل، وضعف ثقته بقدراته ومعلوماته، وتمثل هذه الدوافع دوافع إحجام لدى الفرد (باهي وشلبي، ١٩٩٨).

الخصائص الشخصية لذوي دافع الإنجاز المرتفع

خلص كلٌ من الكناني والكندري (١٩٩٢) إلى عدد من السلوكيات التي يتصف بها ذوي دافعية الإنجاز المرتفعة وهي:

١. يفضلون المهام التي تمدهم بمعلومات عن نتائج انجازهم.

٢. يفضلون المهام متوسطة الصعوبة، أي التي يقترب احتمال النجاح في إنجازها من ٥٠ ، عن المهام السهلة جداً التي يكون احتمال النجاح في إنجازها كبيراً ٩٠ مثلاً.

٣. يفضلون المهام التي توفر لهم قدراً كبيراً من الاستقلال والمسؤولية الشخصية، أي التي تسمح لهم بالتحكم في نتائج جهدهم.

٤. يبذلون جهداً كبيراً في محاولة إنجاز وتحقيق الأهداف.

٥. يثابرون في محاولاتهم لتحقيق نتائج أداء ناجحة، رغم ما يعترضهم من عقبات.

يشعرون بالسعادة والرضا من مجرد تحقيق نتائج إنجاز ناجحة بصرف النظر عن أي عوائد خارجية.

النظريات المفسرة لدافع الإنجاز

- **نظرية ماكليلاند McClelland**

بدأ الاهتمام بالدافع للإنجاز منذ أن نشر ماكليلاند McClellandكتابه عن الدافع للإنجاز والذي يعني حاجة الفرد للقيام بمهامه على أفضل وجه عما أنجز من قبل بكفاءة وأقل جهد، وأفضل نتيجة (درويش، ٢٠٠٦).

ولماكليلاند(1975) McClelland إسهامات قيمة في الانتقال من تصور محدد لمفهوم الحاجة إلى تصور وجداني محدد بالتوقع. ويطلق على تصوره للدافعية نموذج الاستثارة الانفعالية وهو يعتبر جميع الدوافع متعلمة(الزيات، ٢٠٠٤).

يقوم تصور ماكليلاند McClelland لدافعية الإنجاز على تفسيره لحالة السعادة بالحاجة للإنجاز، وأشار إلى أن هناك ارتباطاً بين الهاديات السابقة، والأحداث الإيجابية، وما يحققه الفرد من نواتج فإذا كانت مواقف الإنجاز الأولى للفرد ايجابية، فإن الفرد يميل للأداء والانهماك في انجاز السلوكيات. أما إذا حدث نوع من الفشل وتكونت بعض الخبرات السلبية، سوف ينشأ عنه دافع لتحاشي الفشل (خليفة وعبدالله، ٢٠١١).

- **نظرية أتكنسون Atkinson**

تمكن أتكنسون وفيثر 1966 Atkinson and Feather من صياغة نظرية التوقع–القيمة Expectation–Value Theory في الإنجاز على أساس أن النجاح يتبعه الشعور بالفخر والزهو، والفشل يتبعه الخجل والخزي. أضاف أتكنسون Atkinsonالجديد للإنجاز حين تناوله بعلاقات رياضية (الزيات، ٢٠٠٤).

فالدافع للإنجاز من وجهة نظر أتكنسون يعني استعداد ثابت نسبياً عند الفرد (الدافع للنجاح–الدافع لتجنب الفشل) مع احتمال النجاح أو الفشل، اضافة إلى قيمة الحافز الخارجي للنجاح أو الفشل (باهي وشلبي، ١٩٩٨).

ويتكون الدافع للإنجاز لدى أتكنسون Atkinson شقين رئيسيين هما (الزيات، ٢٠٠٤، ٤٧٣):

الشق الأول: المحددات الشخصية وهي استعدادات ثابتة نسبياً عند الفرد ولا تتغير بتغير المواقف المختلفة .

الشق الثاني: المحددات البيئية ويعبر عنها بالفشل أو النجاح، وجاذبية الباعث الخارجي الموجب للنجاح أو قيمة الباعث السالب المترتب على الفشل. وعلى ذلك فإن تغيير ناتج الإنجاز عند الأفراد المختلفين

يرجع إلى المحددات الشخصية، وعند الفرد نفسه من موقف لآخر يرجع إلى المحددات البيئة حيث تصبح دوافع النجاح ودوافع تجنب الفشل هي المحددات الأساسية لدافعية الإنجاز.

لاحظ أتكنسون وفيثر Atkinson and 1966 Feather أن الإنجاز يمكن أن يستثار بالعديد من البواعث مثل المكافآت المادية، والمعززات الاجتماعية، والمركز الأدبي والاجتماعي المرتبط بالهدف المنجز. وأُطلق عليها البواعث الخارجية (باهي وشلبي، ١٩٩٨، ٣٧).

- **نظرية العزو السببي**

تهتم هذه النظرية بكيفية إدراك الفرد لأسباب سلوكه، والآخرين، وذلك لأن الأفراد لا يعزون السببية للفاعل، ولكن للبيئة، فالمعزيات السببية هي التي تحدد مشاعر واتجاه وسلوك الافراد نحو أنفسهم ونحو الآخرين (خليفة وعبد الله، ٢٠١١).

ويرتبط العزو السببي باعتقاد الفرد في أي العوامل تكون مسؤولة عن نجاحه أو فشله في المهمة ، هل العوامل الداخلية مثل القدرة والجهد، أم العوامل الخارجية التي تتعلق بالظروف أم صعوبة المهمة، تلك التفسيرات إذا اتسمت بالثبات النسبي مع تكرار المواقف تؤثر تأثيراً دالاً على أداء الفرد في مواقف الإنجاز اللاحقة حيث يتباين هذا التأثير بتباين تلك العوامل (باهي وشلبي، ١٩٩٨).

ثانياً: الدراسات السابقة

من خلال البحث والاطلاع على الدراسات ذات العلاقة بمتغيرات الدراسة الحالية وجدت دراسات قليلة بحثت العلاقة بين التنظيم الانفعالي ودافع الإنجاز، ولم توجد أي دراسة عربية بحثت في ذلك المجال في حدود علم الباحثات، وعليه تم عرض الدراسات السابقة من حيث الأقرب لعنوان الدراسة كالآتي:

دراسة ديكوير– غنباي، التمان وشوتر–Decuir Gunby, Aultman & Schutz (2009) والتي هدفت إلى التعرف على العلاقات التفاعلية بين الدافعية وتنظيم الانفعالات وعلاقتهما بالتعرض للامتحانات لدى طلبة الجامعة، وتكونت عينة الدراسة من (٤٢٥) من طلبة الجامعات تم اختيارهم عشوائياً في عدد من الأقسام الأكاديمية، ولتحقيق هدف الدراسة، تم استخدام مقياس دافعية الإنجاز، ومقياس تنظيم الانفعالات من إعداد الباحثين خلال أداء الامتحانات، وكشفت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية تفاعلية بين الدافعية وتنظيم الانفعالات خلال أداء الامتحانات.

كما هدفت دراسة فريد وشابمان (2012) Fried & Chapman في استراليا إلى التعرف إلى مستوى تنظيم الانفعالات وعلاقته بدافعية الطلبة والقدرة التنبؤية لكلا المتغيرين في تحديد الانخراط في مهام التعلم لدى طلبة المرحلة الإعدادية، وقد تكونت عينة الدراسة من (٢١٧) طالباً وطالبة من طلبة الصفين السابع والثامن من طلاب المرحلة المتوسطة تم

اختيارهم بطريقة عشوائية، ولتحقيق هدف الدراسة تم تطوير مقياس تنظيم الانفعالات ومقياس للدافعية من إعداد الباحثين، بالإضافة إلى الاعتماد على ملاحظات المعلمين في عملية جمع البيانات، وكشفت نتائج الدراسة أن مستوى تنظيم الانفعالات لدى الطلبة كان متوسطاً، وعدم وجود فروق تعزى إلى الصف والجنس في مستوى تنظيم الانفعالات، ووجود علاقة ارتباطية موجبة بين مستوى تنظيم الانفعالات ودافعية الطلبة وأن كلا المتغيرين من عوامل التنبؤ الدالة احصائياً في انخراط الطلبة في مهام التعلم.

وفي السياق نفسه هدفت دراسة عياش (٢٠١٦) إلى دراسة التنظيم الانفعالي لدى طلبة الجامعة وفق الاستراتيجيات، والكشف عن دلالة الفروق الإحصائية للتنظيم الانفعالي واستراتيجياته تبعاً لبعض المتغيرات كالجنس، التخصص (العلمي، الإنساني) والصف الدراسي (الأول، الثاني، الثالث، الرابع). وتكونت عينة الدراسة من (٤٠٠) طالب من طلبة جامعة بغداد للدراسات الصباحية للعام الدراسي ٢٠١٤-٢٠١٥، (٢٠٠) من الذكور و (٢٠٠) من الإناث، بواقع (٢٠٠) من التخصص العلمي و(٢٠٠) من التخصص الإنساني، واستخدم مقياس التنظيم الانفعالي لديفيد2012 David ، وأظهرت النتائج أن طلبة الجامعة يتمتعون بمستوى جيد من التنظيم الانفعالي، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التنظيم الانفعالي تعزى للجنس، التخصص، والصف الدراسي.

في حين هدفت دراسة البدارين (2016) Al, Badareen إلى الكشف عن القدرة التنبؤية النسبية والمشتركة لاستراتيجيات التنظيم المعرفي الانفعالي في التحصيل الأكاديمي لدى عينة من طلبة الجامعة الهاشمية للعام الدراسي (٢٠١٦- ٢٠١٧)، وتكونت عينة الدراسة من (٣٨٦) طالب وطالبة من الطلبة المسجلين بمسار مدخل لعلم النفس، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام مقياس استراتيجيات التنظيم المعرفي الانفعالي الذي طوره جارنفسكي وآخرون Garnefski et al.2001 واستخدم المعدل التراكمي (GPA) ، وأظهرت نتائج الدراسة وجود مساهمة مشتركة ونسبية لاستراتيجيات التنظيم المعرفي الانفعالي في التحصيل الأكاديمي.

كما اهتمت دراسة دورا (2012) Dora ببحث علاقة كل من ضبط النفس، والتنظيم الانفعالي، الاجترار، والجنس بقلق الامتحان والتعرف على مدى إسهام هذه المتغيرات في التنبؤ بقلق الامتحان، وتكونت عينة الدراسة من (١٨٨) من طلاب السنة التحضيرية في إحدى الجامعات الخاصة بمدينة أنقرة، وتم تطبيق قائمة قلق الامتحان إعداد Spielberger 1980، ومقياس التنظيم الانفعالي إعداد Gross & John 2003 والذي يقيس استراتيجيتي (الكتمان-إعادة التقييم المعرفي)، ومقياس الاستجابة الاجترارية، ومقياس ضبط النفس،

ومن أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة وجود ارتباط سالب ودال بين استراتيجية إعادة التقييم المعرفي وقلق الامتحان، أي أن الطلاب الذين يستخدمون استراتيجية إعادة التقييم المعرفي لديهم مستوى منخفض من قلق الامتحان، ووجود ارتباط موجب بين قلق الامتحان واستراتيجية الكتمان.

بينما هدفت دراسة سوميه، آقدام ونوسورت (2015) Som'eh, Aghdam & Nosort إلى تحديد دور استراتيجيات التنظيم الانفعالي المعرفية في التنبؤ بقلق الامتحان، وطبقت الدراسة على (٢٠٠) طالب من طلاب الجامعة تم اختيارهم بطريقة عشوائية، وتم استخدام مقياس التنظيم الانفعالي المعرفي من إعداد (2001) Garnefski, Kraaij & Spinhoven ومقياس قلق الامتحان من إعداد (1980) Sarason، وأوضحت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية دالة احصائياً بين استراتيجيات تنظيم الانفعالات وقلق الامتحان وإلى إمكانية التنبؤ بقلق الامتحان من خلال بعض استراتيجيات التنظيم الانفعالي المعرفية وهي (إعادة التركيز الإيجابي، استراتيجية تركيز التفكير، الاجترار واستراتيجية التفكير الكارثي).

كذلك هدفت دراسة البراهمة (٢٠١٧) إلى الكشف عن مستوى التنظيم الانفعالي ومستوى قلق الاختبار لدى طلبة الجامعة ومدى اختلافهما باختلاف الجنس ونوع الكلية والمستوى الدراسي، واستقصاء العلاقة الارتباطية بين كل من التنظيم الانفعالي وقلق الاختبار، وتكونت العينة من (٥٠٧) طالبا وطالبة من طلبة جامعة اليرموك ، وتم استخدم مقياس التنظيم الانفعالي المعد من قبل جروس وجون (2003) Gross & John، وأظهرت نتائج الدراسة أن مستوى التنظيم الانفعالي جيد لدى العينة، كما تم التوصل إلى وجود علاقة عكسية بين التنظيم الانفعالي وقلق الاختبار، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في التنظيم الانفعالي في بعد إعادة التقييم تعزى للجنس لصالح الإناث، بينما لا توجد فروق في التنظيم الانفعالي تعزى للمستوى الدراسي ونوع الكلية.

كما حاولت دراسة السيد (٢٠١٢) معرفة الإستراتيجيات المعرفية لتنظيم الانفعال الشائعة لدى المراهقين والراشدين، والكشف عن الفروق بين المراهقين والراشدين في الإستراتيجيات المعرفية لتنظيم الانفعال. ومعرفة علاقة تلك الاستراتيجيات بحالة وسمة القلق والاكتئاب لديهم، وتكونت عينة الدراسة من (٣٢٢) طالباً وطالبة بالفرقة الثانية بكلية التربية بالعريش- جامعة قناة السويس بواقع (٦٤) طالباً و (٢٥٨) طالبة، و (٢٠٢) من المعلمين والمعلمات بواقع (١٠٢) ذكور و(١٠٠) من الإناث الملتحقين بالدبلوم العام في التربية، واستخدم مقياس Garnefski et al. (2001) للتنظيم الانفعالي، وتم التوصل الى عدة نتائج منها أن

استراتيجية إعادة التقييم الإيجابي تحتل الترتيب الأول في الاستخدام لدى المراهقين، والترتيب السادس لدى

الراشدين، توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقين والراشدين لصالح المراهقين في استراتيجية إعادة التقييم الإيجابي ولصالح الراشدين في استراتيجية التخطيط، كما توجد علاقة ارتباطيه موجبة دالة إحصائياً بين استراتيجيات لوم الذات، الاجترار، التصور الكارثي للأحداث السلبية، ولوم الآخرين وبين حالة القلق، سمة القلق، والاكتئاب لدى المراهقين والراشدين.

وهدفت دراسة اسليم (٢٠١٧) إلى معرفة العلاقة بين التفكير الإيجابي والتنظيم الانفعالي، والكشف عن الفروق في مستوى التفكير الإيجابي والتنظيم الانفعالي تبعاً لمتغير (الجنس، مستوى دخل الأسرة، الجامعة، المعدل التراكمي)، وتكونت عينة الدراسة من (٣٦٤) من خريجي الجامعات الفلسطينية بغزة لعام ٢٠١٥-٢٠١٦ واستخدم مقياس التنظيم الانفعالي من إعداد الباحث، وتم التوصل إلى وجود مستوى مرتفع من التنظيم الانفعالي لدى الطلبة الخريجين، ووجود علاقة ارتباطية موجبة بين التفكير الإيجابي والتنظيم الانفعالي. كما كشفت الدراسة عن عدم وجود فروق في التنظيم الانفعالي تبعاً للجنس ومستوى دخل الأسرة. بينما توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التنظيم الانفعالي تبعاً للمعدل التراكمي وذلك لصالح الخريجين ذوي المعدل الممتاز.

كما درس عمران Omran (2011) العلاقة بين الاستراتيجيات المعرفية لتنظيم الانفعال وبين القلق والاكتئاب، وقد طبقت الأداة على عينة من طلاب الجامعة بلغت (٤٨٤) طالباً وطالبة (٢٦٥) منهم ذكور و (٢١٩) إناث، باستخدام مقياس التنظيم الانفعالي وأكدت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة بين استراتيجيات لوم الذات، والاجترار، والتصور الكارثي للحادث السلبي وبين القلق والاكتئاب، كما تنبئ إيجاباً بأعراض القلق والاكتئاب، ووجود علاقة ارتباطية سالبة دالة بين استراتيجيات إعادة التركيز الإيجابي، والتخطيط، والتقليل من أهمية الأحداث السلبية وبين القلق والاكتئاب، كما تنبئ سلباً بأعراض القلق والاكتئاب، بالإضافة إلى عدم وجود علاقات دالة بين استراتيجيات التقبل، وإعادة التقييم الإيجابي، ولوم الآخرين وبين القلق والاكتئاب.

التعليق على الدراسات السابقة

بعد استعراض الدراسات ذات العلاقة بالتنظيم الانفعالي يتضح تباين تلك الدراسات واختلافها في تناولها للتنظيم الانفعالي من عدة نواحي يمكن توضيحها كالتالي:

- **طبيعة المتغيرات**

من خلال الاطلاع على أدبيات الدراسات السابقة تبين ندرة وقلة الدراسات التي ربطت موضوع التنظيم الانفعالي بدافعية الإنجاز فلم تجد الباحثات سوى دراسة (Decuir-Gunby et al., 2009; Fried & Chapman, 2012) ، وتناولت بعض الدراسات متغير التنظيم الانفعالي وقلق الامتحان كما في دراسة (Som'eh et al., Dora, 2012)

2015; ودراسة البراهمة (٢٠١٧)، وبعضها بحثت عن مستوى التنظيم الانفعالي والاستراتيجيات الأكثر شيوعاً كما في دراسة (السيد، ٢٠١٢؛ عياش، ٢٠١٦)، فيما تناولت دراسة Al, Badareen (2016) علاقة التنظيم الانفعالي بالتحصيل الأكاديمي، وبحثت دراسة اسليم (٢٠١٧) علاقة التنظيم الانفعالي بالتفكير الإيجابي، كما تم ربط الاستراتيجيات المعرفية لتنظيم الانفعال بالقلق والاكتئاب في دراسة Omran (2011).

- **العينة المطبق عليها**

تباينت الدراسات من حيث العينة المطبق عليها، فهناك دراسات طبقت على طلبة الجامعة كدراسة (Decuir-Gunby et al., 2009; Omran, 2011; Dora, 2012; Som'eh et., 2015; Al, Badareen, 2016)، ودراسة (عياش، ٢٠١٦؛ والبراهمة، ٢٠١٧؛ اسليم، ٢٠١٧)، بينما أجريت دراسة فريد وشابمان Fried & Chapman (2012)على طلاب المرحلة المتوسطة، ودراسة السيد (٢٠١٢) طبقت على المراهقين والراشدين.

- **الأدوات المستخدمة**

اختلفت الأدوات المستخدمة في كل دراسة وذلك تبعاً للعينة المطبق عليها واختلاف البيئة فيها، فقد استخدم مقياس جارنفسكي وآخرون Garnefski et al.2001في دراسة (السيد، ٢٠١٢؛ Al, 2016 Badareen,؛ Som'eh et al, 2015) بينما استخدم مقياس جروس وجون Gross & John 2003في دراسة (Dora,2012؛ البراهمة، ٢٠١٧)، واستخدمت دراسة عياش (٢٠١٦) مقياس التنظيم الانفعالي لديفيد David 2012.

- **النتائج التي توصلت إليها الدراسات**

اتفقت العديد من الدراسات على وجود علاقة ارتباطية بين تنظيم الانفعالات وعدد من المتغيرات، حيث توصلت دراسة (Decuir-Gunby et al., 2009; Fried & Chapman, 2012) إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين الدافعية وتنظيم الانفعالات، وتوصلت دراسة (Dora, 2012; Som'eh et al., 2015؛ البراهمة،٢٠١٧) إلى وجود علاقة دالة إحصائياً بين استراتيجيات تنظيم الانفعالات وقلق الامتحان، وكذلك توصلت دراسة البدارين Al, Badareen (2016) إلى وجود مساهمة مشتركة ونسبية لاستراتيجيات التنظيم المعرفي الانفعالي في التحصيل الأكاديمي، وتوصلت دراسة عياش (٢٠١٦) أن طلبة الجامعة يتمتعون بمستوى جيد من التنظيم الانفعالي.

ثالثاً: فروض الدراسة

١. توجد مستويات مختلفة للتنظيم الانفعالي واستراتيجياته لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى.

٢. لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التنظيم الانفعالي واستراتيجياته ودافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى.

٣. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الدرجات الكلية لدافع الإنجاز لدى عينة

من طالبات جامعة أم القرى تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي.

❐ منهج الدراسة

استخدمت الدراسة في ضوء أهدافها وتساؤلاتها وفروضها المنهج الوصفي الارتباطي والسببي المقارن، بهدف الكشف عن العلاقة بين التنظيم الانفعالي ودافع الإنجاز لدى الطالبات.

❐ مجتمع الدراسة

يتحدد مجتمع الدراسة من جميع طالبات جامعة أم القرى لمختلف الكليات والتخصصات بمرحلة البكالوريوس في العام الجامعي ١٤٣٩- ١٤٤٠هـ.

❐ عينة الدراسة

١. **العينة الاستطلاعية:** تكونت من (٦٠) طالبة من طالبات جامعة أم القرى في مرحلة البكالوريوس من مختلف التخصصات من العام الدراسي ١٤٣٩-١٤٤٠هـ.

٢. **العينة الأساسية:** أجريت الدراسة على عينة عشوائية تكونت من (١٦٠) طالبة، وتم استبعاد (١٣) استبانة لعدم إجابة العينة على جميع فقرات المقياس أو الإجابة عليها بطريقة عشوائية، وأصبح العدد بعد ذلك (١٤٧) طالبة بمرحلة البكالوريوس، من مختلف التخصصات في العام الدراسي ١٤٣٩-١٤٤٠هـ.

❐ أدوات الدراسة

أولاً: مقياس التنظيم الانفعالي

تم استخدام مقياس جروس وجون Gross & John (2003) ترجمة البراهمة (٢٠١٧) والذي تكون من (١٠) عبارات موزعة على استراتيجيتين وهي إعادة التقييم وتضم (٦) عبارات، والكبت وتضم (٤) عبارات.

❐ الخصائص السيكومترية للمقياس

أولاً: الصدق

تم حساب الصدق بطريقة الاتساق الداخلي واستخراج قيم معاملات ارتباط كل فقرة مع الدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي اليه، وجميعها تجاوزت (٠,٣٥).

ثانياً: الثبات

تم حساب الثبات باستخدام معامل ارتباط بيرسون وقد بلغ معامل الارتباط (٠,٦٩).

❐ تصحيح المقياس

وللإجابة على الفقرات يختار المفحوص من سبع بدائل وفق تدريج ليكرت السباعي وهي اتفق بشدة وتعطى (٧) درجات، اتفق وتعطى (٦) درجات، اتفق أحياناً وتعطى (٥) درجات، (محايد) وتعطى (٤) درجات، أرفض أحياناً وتعطى (٣) درجات، أرفض وتعطى درجتان وأرفض بشدة وتعطى درجة واحدة. وأعلى درجة تحصل عليها المفحوصة (٤٢)، بينما أدنى درجة (٦). ويتم الحكم على مستوى التنظيم الانفعالي حسب المعيار الآتي كما هو موضح في جدول (١).

جدول ١

مستوى التنظيم الانفعالي حسب المتوسط

فئة الأوساط الحسابية	مستوى التنظيم الانفعالي
من (١-٣)	منخفض
من (٣,١٠-٥)	متوسط
من (٥,٠١-٧)	مرتفع

❐ صدق وثبات المقياس في الدراسة الحالية

أولاً: الصدق

١. صدق الاتساق الداخلي

تم حساب صدق الاتساق الداخلي لمقياس التنظيم الانفعالي عن طريق حساب قيم معاملات ارتباط بين كل بعد والدرجة الكلية للمقياس كما هو موضح في جدول (٢) ، وحساب ارتباط فقرات البعد وبالدرجة الكلية للمقياس كما يوضح ذلك جدول (٣).

جدول ٢

قيم معاملات الارتباط بين أبعاد مقياس التنظيم الانفعالي والدرجة الكلية (ن= ٦٠)

الأبعاد	ارتباط البعد بالدرجة الكلية
الأول: إعادة التقييم	,٧٦٨**
الثاني: بعد الكتمان	,٧٤٨**

**معامل الارتباط دال عند مستوى (٠,٠١)

يتضح من الجدول (٢) أن قيم معاملات الارتباط لأبعاد مقياس التنظيم الانفعالي بالدرجة الكلية كانت دالة احصائياً عند مستوى (٠,٠١) وهي معاملات ارتباط جيدة.

جدول ٣

قيم معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة والبعد الذى تنتمى إليه والدرجة الكلية لمقياس التنظيم الانفعالي (ن = ٦٠)

الأبعاد					
بعد إعادة التقييم			بعد الكتمان		
الفقرة	الارتباط بالبعد	الارتباط بالدرجة الكلية	الفقرة	الارتباط بالبعد	الارتباط بالدرجة الكلية
١	,٦٨٢**	,٤٣٢**	٢	,٣٦٦**	,٣٨٨**
٣	,٧١٣**	,٥٢٤**	٤	,٤٩٢**	,٤٣٩**
٥	,٦٠١**	,٤٥٤**	٦	,٦٣٦**	,٥٣٦**
٧	,٥٢١**	,٢٨٨**	٨	,٦٠٠**	,٤٨٦**
٩	,٧٤٥**	,٥٩٤**	١٠	,٥٧٠**	,٣٩٠**

**معامل الارتباط دال عند مستوى (٠,٠١)

يتبين من جدول (٣) أن جميع قيم معاملات الارتباط بين فقرات مقياس التنظيم الانفعالي والدرجة الكلية للمقياس كانت دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١)، كما نجد أن قيم معاملات الارتباط بين فقرات مقياس التنظيم الانفعالي والدرجة الكلية للأبعاد التي تنتمي إليها كانت دالة لجميع فقرات المقياس عند مستوى دلالة (٠,٠١).

٢. الصدق التمييزي

تم أخذ الدرجة الكلية لمقياس التنظيم الانفعالي محكاً للحكم على صدق مفرداته، وتم أخذ أعلى وأدنى ٢٥% من الدرجات لتمثل مجموعة أعلى ٢٥% من الدرجات المرتفعة، وتمثل مجموعة أدنى ٢٥% من الدرجات المنخفضة في التنظيم الانفعالي، وباستخدام اختبار "**t**" لتعيين القوة التمييزية للمقياس، والجدول (٤) يوضح النتائج.

جدول ٤

قيمة (ت) لدلالة الفروق بين متوسطات المجموعات الطرفية (الإرباعي الأعلى والإرياعي الأدنى) لمقياس التنظيم الانفعالي (ن= ٦٠)

المتغير	الإرباعيات	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t)	مستوى الدلالة
التنظيم الانفعالي	الإرباعي الأعلى	٣٣	٦,١٥	٠,٦٨٧	٦٥	٦,٢٧٨	٠,٠١
	الإرباعي الأدنى	٣٤	٣,٩١	٠,٩٨٨			

يتضح من الجدول السابق أن قيمة "ت" للفرق ين متوسطات المجموعات الطرفية (الإرباعي الأعلى –الإرباعي الأدنى) داله إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) وهذا يدل على تمتع المقياس بمدى واسع من الصدق والكفاية والتمييز بين مرتفعي ومنخفضي التنظيم الانفعالي.

ثانياً: الثبات

تم حساب ثبات مقياس التنظيم الانفعالي بطريقة ألفا كرونباخ وطريقة التجزئة النصفية كما هو موضح في جدول (٥):

جدول ٥

قيم معاملات الثبات بطريقتي ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية لمقياس التنظيم الانفعالي (ن= ٦٠)

معامل ألفا كرونباخ	التجزئة النصفية	
	(سبيرمان براون)	(معادلة جتمان)
٠,٦٥٦	٠,٦٣٠	٠,٦٣٦

يتضح من الجدول السابق أن معامل ألفا كرونباخ لثبات مقياس التنظيم الانفعالي بلغ (٠,٦٥٦) بينما بلغ معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية حسب معادلة سبيرمان براون (٠,٦٣٠) وبلغ حسب معادلة جتمان (٠,٦٣٦) وهي معاملات ثبات مقبولة مما يعني أن المقياس يتمتع بدرجة ثبات جيدة.

ثانياً: مقياس دافع الإنجاز

قام السرحا (٢٠١٦). بإعداد مقياس دافعية الإنجاز مكون من (٢٠) عبارة، مقسمة على بعدين وهي: دافع تحقيق النجاح، دافع تحقيق الفشل،ويتكون البعد الأول من (١٠) عبارات، والبعد الثاني من (١٠) عبارات.

❐ تصحيح المقياس

يستجيب المفحوص على كل فقرة من فقرات المقياس وفق تدريج خماسي وتبدأ، بـ (موافق بشدة) وتأخذ خمس درجات الى (غير موافق بشدة) وتأخذ درجة واحدة وبالتالي فان أعلى درجة يحصل عليها الطالب (١٠٠) وأدنى درجة(٢٠). ويتم الحكم على مستوى دافعية الإنجاز حسب المعيار الآتي كما هو موضح في جدول (٦):

جدول ٦

مستوى دافع الإنجاز حسب المتوسط

فئة الأوساط الحسابية	مستوى دافعية الانجاز
من (١-٢,٤٩)	منخفض
من (٢,٥٠-٣,٤٩)	متوسط
من (٣,٥٠-٥)	مرتفع

❐ الخصائص السيكومترية للمقياس

أولاً: الصدق

تم حساب الصدق بطريقتين وهي:

١. صدق المحكمين

تم عرض العبارات التي يتكون منها المقياس في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين، وبناءً على نسبة الاتفاق بينهم لكل عبارة من عبارات المقياس تم الإبقاء على جميع العبارات التي حصلت على نسبة اتفاق ٨٠% فأكثر وتم تعديل الفقرات في ضوء ذلك، وبذلك ظل المقياس في صورته الأولية مكون من (٢٠) عبارة.

٢. صدق الاتساق الداخلي

وللتحقق من صدق الاتساق الداخلي تم استخراج قيم معاملات ارتباط كل فقرة مع الدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي اليه، حيث بلغت معامل ارتباط كل فقرة من فقرات بعد (تحقيق النجاح) مع بعدها تراوحت بين(٠,٤٠-٠,٥٩)، أما معامل ارتباط فقرات بعد (تجنب الفشل) مع بعدها تراوحت بين(٠,٣٩-٠,٥٢).

ثانياً: الثبات

ثبات الإعادة لبعد تجنب الفشل (٠,٨٦) وهي درجة ثبات دالة إحصائياً. كما أن ثبات الاتساق الداخلي لبعد تحقيق النجاح بلغ (٠,٨٢)، وثبات بعد تجنب الفشل بلغ (٠,٧٨).

تم حساب الثبات بطريقة إعادة التطبيق بفاصل زمني يتراوح بين (١٠-١٥) يوم، على عينة بلغ عددها (٣٥) طالباً وطالبة من طلبة جامعة ال البيت. فكان ثبات الاعادة لبعد تحقيق النجاح (٠,٨٣)، بينما بلغ

❐ صدق وثبات المقياس في الدراسة الحالية

أولاً: الصدق

١. صدق الاتساق الداخلي

تم حساب صدق الاتساق الداخلي لمقياس دافع الإنجاز عن طريق حساب قيم معاملات ارتباط بين كل بعد والدرجة الكلية للمقياس كما هو موضح في جدول (٧) كما تم حساب ارتباط فقرات البعد بالبعد نفسه وبالدرجة الكلية للمقياس كما يوضح ذلك جدول (٨).

جدول ٧ قيم معاملات الارتباط بين أبعاد مقياس دافع الإنجاز والدرجة الكلية (ن=٦٠)

الأبعاد	ارتباط البعد بالدرجة الكلية
الأول: دافع تحقيق النجاح	,٧٥٢**
الثاني: تجنب الفشل	,٧٧٤**

* معامل الارتباط دال عند مستوى (٠,٠١)

من خلال جدول (٧) نجد أن جميع قيم معاملات الارتباط (بيرسون) لأبعاد دافعية الإنجاز مع الدرجة الكلية للمقياس كانت دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١) وهي معاملات ارتباط موجبة مما يشير إلى الاتساق الداخلي للمقياس.

جدول ٨ قيم معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة والبعد الذي تنتمي إليه والدرجة الكلية لمقياس دافع الإنجاز (ن= ٦٠)

الأبعاد					
دافع تحقيق النجاح			تجنب الفشل		
الفقرة	الارتباط بالبعد	الارتباط بالدرجة الكلية	الفقرة	الارتباط بالبعد	الارتباط بالدرجة الكلية
١	,٤٨٩**	,٣٦٩**	٢	,٤٢٥**	,٢٨٤**
٣	,٣٦٧**	,١٦٩*	٤	,٤٠٩**	,٢٩٩**
٥	,٣٨٧**	,٢١٢*	٦	,٥٥٢**	,٢٥٨**
٧	,٣٤٣**	,٤٣٥**	٨	,٥٦٦**	,٤٦٦**
٩	,٤٦١**	,٤٨٦**	١٠	,٤٥٧**	,٣٥٩**
١١	,٤١١**	,٣٠٢**	١٢	,٦٢٥**	,٣٢٢**
١٣	,٣٢٣**	,٣٠٠**	١٤	,٤٠٠**	,٣٨١**
١٥	,٢٢٥**	,٣٩٠**	١٦	,٤٢٨**	,٣٩٧**
١٧	,٤٩٦**	,٤٣٢**	١٨	,٥٠٩**	,٣٥٧**
١٩	,٥٦٥**	,٣٤٩**	٢٠	,٧١٨**	,٤٩٨**

**معامل الارتباط دال عند مستوى (٠,٠١) * معامل الارتباط دال عند مستوى (٠,٠٥)

من جدول (٨) يتبين أن جميع قيم معاملات الارتباط بين كل فقرة من مقياس دافع الإنجاز والدرجة الكلية للمقياس كانت دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١) أو عند مستوى دلالة(٠,٠٥) وهي معاملات ارتباط موجبة. كما نجد أن قيم معاملات ارتباط فقرات مقياس دافع الإنجاز مع الدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه أيضاً كانت دالة عند (٠,٠١) وهي قيم موجبة.

٢. الصدق التمييزي

تم أخذ الدرجة الكلية لمقياس التنظيم الانفعالي محكاً للحكم على صدق مفرداته، وتم أخذ أعلى وأدنى ٢٥% من الدرجات لتمثل مجموعة أعلى ٢٥% من الدرجات المرتفعة، وتمثل مجموعة أدنى ٢٥% من الدرجات المنخفضة في دافعية الانجاز، وباستخدام اختبار "**t**" لتعيين القوة التمييزية للمقياس، وجدول (٩) يوضح النتائج.

جدول ٩

دلالة الفروق بين متوسطات المجموعات الطرفية (الإرباعي الأعلى والإرباعي الأدنى) لمقياس دافع الإنجاز (ن= ٦٠)

المتغير	الارباعيات	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t)	مستوى الدلالة
دافعية الانجاز	الإرباعي الأعلى	٣٦	٤,٥٣	٠,٧٦٥١	٦٤	٩,١٥٢	٠,٠١
	الإرباعي الأدنى	٣٠	٣,٥١	٠,٨٨٧			

يتضح من جدول (٩) أن قيمة "ت" للفرق ين متوسطات المجموعات الطرفية (الإرباعي الأعلى – الإرباعي الأدنى) داله إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) وهذا يدل على تمتع المقياس بمدى واسع من الصدق والكفاية والتمييز بين مرتفعي ومنخفضي دافعية الإنجاز.

ثانياً: الثبات تم حساب درجة ثبات مقياس دافعية الانجاز بطريقة الفا كرونباخ والتجزئة النصفية والنتائج موضحة في جدول (١٠)

جدول ١٠

قيم معملات الثبات بطريقتي ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية لمقياس دافعية الإنجاز (ن= ٦٠)

معامل ألفا كرونباخ	التجزئة النصفية	
	(سبيرمان براون)	(معادلة جتمان)
٠,٦٩١	٠,٦٦٥	٠,٦٦٥
٠,٧١١	٠,٦٩٤	٠,٦٨١
٠,٧٥٠	٠,٧٠١	٠,٧١٥

من الجدول (١٠) نجد ان معاملات الثبات لأبعاد مقياس دافعية الانجاز حسب ألفا كرونباخ تراوحت بين (٠,٦٩١ – ٠,٧١١) بينما نجد أن معامل الثبات للمقياس ككل بلغ (٠,٧٥٠). كما نجد أن معاملات الثبات بطريقة التجزئة النصفية معادلة سبيرمان براون لأبعاد مقياس دافعية الانجاز تراوحت بين (٠,٦٦٥ – ٠,٦٩٤) بينما بلغ معامل الثبات للمقياس ككل (٠,٧٠١) وحسب معادلة جتمان تراوحت معاملات الثبات لأبعاد مقياس دافعية الانجاز بين (٠,٦٦٥ – ٠,٦٨١) بينما نجد أن معامل الثبات للمقياس ككل بلغ (٠,٧١٥) وهي معاملات ثبات جيدة.

❐ إجراءات الدراسة

للإجابة على التساؤلات والتحقق من الفروض تم القيام بالخطوات التالية:

١. كتابة أدبيات الدراسة والدراسات السابقة المتعلقة بالمتغيرات المتمثلة في (التنظيم الانفعالي، دافعية الإنجاز).

٢. تحديد المنهجية المناسبة، وعينة الدراسة وأدواتها.

٣. التأكد من صلاحية أدوات الدراسة وذلك بتطبيقها على عينة استطلاعية مكونة من (٦٠) طالبة من طالبات جامعة أم القرى من مختلف الكليات والأقسام.

٤. اختيار العينة الممثلة لمجتمع الدراسة بالطريقة المناسبة.

٥. تطبيق أدوات الدراسة على عينة الدراسة متمثلة في طالبات جامعة أم القرى من مختلف الكليات.

٦. تصحيح الاستمارات وفقاً لطريقة التصحيح الخاصة بكل مقياس، تفريغ البيانات، جدولتها وتحليلها باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة.

٧. صياغة نتائج الدراسة وتفسيرها منطقياً في ضوء الإطار النظري والدراسات السابقة، واستخلاص التوصيات والمقترحات المناسبة.

❐ الأساليب الإحصائية

- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
- اختبار (ت) لدلالة الفروق بين المتوسطات.
- معامل ارتباط بيرسون.
- تحليل التباين الأحادي.

❐ نتائج الدراسة

نتائج الفرض الأول

للتحقق من الفرض الأول الذي ينص على أنه "توجد مستويات مختلفة للتنظيم الانفعالي واستراتيجياته لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى" تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة على مقياس التنظيم الانفعالي واستراتيجياته على النحو التالي:

جدول (١١)

المتوسطات الحسابية والمرجحة والانحرافات المعيارية لدرجات طالبات جامعة أم القرى

استراتيجيات التنظيم الانفعالي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
اعادة التقييم	٥,٥١	٥,٠٢	مرتفع
الكتمان	٤,٥٩	٤,٨٥	متوسط
الدرجة الكلية	٥,١٤	٧,٤٨	مرتفع

لمقياس التنظيم الانفعالي (ن=١٤٧)

يتبين من الجدول السابق أن مستوى التنظيم الانفعالي بشكل عام لدى طالبات جامعة أم القرى مرتفع، حيث بلغ المتوسط للدرجات الكلية (٥,١٤) وهذه الدرجة تشير إلى ارتفاع مستوى التنظيم الانفعالي لدى طالبات الجامعة، حيث تقع هذه الدرجة ضمن الفترة (٥,٠١ – ٧) وهي الفترة التي تكون ضمنها درجات التنظيم الانفعالي مرتفعة.

وكان أكثر استراتيجيات التنظيم الانفعالي شيوعاً لدى طالبات جامعة أم القرى استراتيجية إعادة التقييم بمتوسط بلغ (٥,٥١) يليها استراتيجية الكتمان لدى طالبات جامعة أم القرى بمتوسط بلغ (٤,٥٩).

وتتفق تلك النتيجة مع دراسة كلاً من (اسليم، ٢٠١٧) بينما تناقض تلك النتيجة ما توصلت إليها دراسة (عياش، ٢٠١٦ والبراهمة، ٢٠١٧) والتي توصلت إلى وجود مستوى جيد من التنظيم الانفعالي لدى طلبة الجامعة.

ويمكن تفسير ارتفاع مستوى التنظيم الانفعالي لدى طالبات الجامعة إلى طبيعة المرحلة العمرية (المراهقة المتأخرة) وطبيعة المرحلة الدراسية. حيث أن طلبة الجامعة على درجة عالية من النضج والوعي مما يمكنهم من التحكم في انفعالاتهم وتنظيمها والتقليل من الانفعالات السلبية وتأثيراتها عليهم.

كما أن قدرة الأفراد على التنظيم الانفعالي تتطور مع المراحل النمائية ففي مرحلة الطفولة يفتقر الفرد لتنظيم انفعالاته وكلما تقدم الفرد في المراحل العمرية كلما اكتسب تلك المهارات بشكل أفضل وأوضح وأصبح قادراً على السيطرة على انفعالاته والتحكم في استجاباته السلبية والتعامل مع تلك الانفعالات بوعي بحيث لا تؤثر سلباً على أداءه وعلاقاته مع الأفراد.

نتائج الفرض الثاني

للتحقق من الفرض الثاني والذي ينص على أنه "لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التنظيم الانفعالي واستراتيجياته ودافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى" تم حساب معامل ارتباط بيرسون وذلك لاختبار العلاقة بين درجات أفراد العينة على مقياس التنظيم الانفعالي واستراتيجياته ودافع الإنجاز ، كما يوضح ذلك جدول (١٢):

جدول (١٢)

معامل ارتباط بيرسون للتنظيم الانفعالي واستراتيجياته ودافع الإنجاز (ن= ١٤٧)

استراتيجيات التنظيم	دافعية الإنجاز
اعادة التقييم	٠,٢٧٣**
الكتمان	٠,٣٦٣**
الدرجة الكلية	٠,٤١٨**

** معامل الارتباط دال عند مستوى (٠,٠١)

يتبين من جدول (١٢) وجود علاقة موجبة دالة احصائياً عند (٠,٠١) بين التنظيم الانفعالي واستراتيجياته ودافع الإنجاز، حيث بلغ معامل الارتباط بين الدرجة الكلية للتنظيم الانفعالي والدرجة الكلية لدافعية الانجاز (٠,٤١٨).

ونجد أن أكثر استراتيجيات التنظيم الانفعالي ارتباطاً بدافع الإنجاز استراتيجية الكتمان بمعامل ارتباط (٠,٣٦٣) يليها اعادة التقييم بمعامل ارتباط (٠,٢٧٣).

وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة كلاً من (Decuir-Gunby et al., 2009; Fried & Chapman, 2012).

وتعتبر تلك العلاقة منطقية وذلك تبعاً للدور المهم الذي يلعبه التنظيم الانفعالي في مجالات الحياة المختلفة، وماله من تأثير كبير في زيادة توافق الفرد النفسي وتوافقه مع المحيطين حوله وتحقيق إنجاز عالي وكفاءة عالية في العمل والقدرة على مواجهة المشكلات النفسية والاجتماعية بانفعال منظم يتناسب مع الموقف الذي يتعرض له الفرد.

فمن خلال قدرة الفرد على تنظيم انفعالاته يستطيع فهم مشاعره والتحكم فيها ومعرفة مخاوفه والتمييز بينها والقدرة على ضبطها مما يساعد على الإنجاز والتغلب على الصعوبات التي تواجهه في أداء المهمات في المجالات المختلفة سواء في المجال الأكاديمي أو غيره من المجالات.

نتائج الفرض الثالث

للتحقق من الفرض الثالث والذي ينص على أنه "لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الدرجات الكلية لدافع الإنجاز لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي." تم استخدام تحليل التباين للفروق بين المتوسطات في دافع الإنجاز تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي على النحو الآتي:

جدول (١٣)

نتيجة تحليل التباين لدافع الإنجاز تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي (ن= ١٤٧)

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	ف	الدلالة
دافع تحقيق النجاح	بين المجموعات	٢٤٥,٧٩٥	٢	١٢٢,٨٩٨	٨,٣١٢	,٠٠٠
	داخل المجموعات	٢١١٤,٢١٢	١٤٣	١٤,٧٨٥		
	الكلي	٢٣٦٠,٠٠٧	١٤٥			
تجنب الفشل	بين المجموعات	١٠٢,٤٤٦	٢	٥١,٢٢٣	١,٩٧٧	,٠٦٤
	داخل المجموعات	٢٤٦٠,١٦٤	١٤٣	١٧,٢٠٤		
	الكلي	٢٥٦٢,٦١٠	١٤٥			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	٦٤٨,٧٢٣	٢	٣٢٤,٣٦٢	٩,١٢٩	,٠٠٠
	داخل المجموعات	٥٠٨٠,٨٣٨	١٤٣	٣٥,٥٣٠		
	الكلي	٥٧٢٩,٥٦٢	١٤٥			

يتبن من الجدول السابق وجود فروق في دافع الإنجاز وأبعادها تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي بشكل عام حيث نجد أن قيمة (ف) للفروق في الدرجة الكلية للتنظيم الانفعالي بلغت (٩,١٢٩) وهي دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١).

كما أن بعد دافع تحقيق النجاح قد سجلت درجاته فروقاً دالة احصائياً تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي، حيث بلغت قيمة (ف) للفروق في درجات هذا البعد (٨,٣١٢) وهي دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١).

بينما لم تسجل درجات بعد تجنب الفشل أي فروقاً دالة احصائياً لدى عينة من طالبات جامعة ام القرى تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي، حيث بلغت قيمة (ف) للفروق في درجات هذا البعد (١,٩٧٧) وهي غير دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١).

ولمعرفة لصالح أي فئة كانت الفروق في كل من (بعد دافع تحقيق النجاح – الدرجة الكلية لدافعية الإنجاز) تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي (مرتفع – متوسط – منخفض)، تم اجراء اختبار شيفيه للمقارنات المتعددة للتحقق من ذلك وجدول (١٤) يوضح ذلك:

جدول (١٤)

اختبار شيفيه للمقارنات المتعددة (Scheffe) لدلالة الفروق في متوسطات (بعد دافع تحقيق النجاح – الدرجة الكلية لدافع الإنجاز) تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي (ن= ١٤٧)

الأبعاد	الفئات	المقارنات	الفرق في المتوسط	الدلالة
دافع تحقيق النجاح	مرتفع	متوسط	٢,٥٩٨٥٠	,٠٠٠
		منخفض	٢,٧١٣٠٨	,٤٨٩
	متوسط	مرتفع	-٢,٥٩٨٥٠	,٠٠٠
		منخفض	,١١٤٥٨	,٩٩٩
	منخفض	مرتفع	-٢,٧١٣٠٨	,٤٨٩
		متوسط	- ,١١٤٥٨	,٩٩٩
الدرجة الكلية لدافع الإنجاز	مرتفع	متوسط	٤,٢٧٩٦٧	,٠٠٠
		منخفض	٢,٥٤٠٠٨	,٧٧٠
	متوسط	مرتفع	-٤,٢٧٩٦٧	,٠٠٠
		منخفض	-١,٧٣٩٥٨	,٨٨٥
	منخفض	مرتفع	-٢,٥٤٠٠٨	,٧٧٠
		متوسط	١,٧٣٩٥٨	,٨٨٥

يتضح من جدول (١٤) أنه توجد فروقاً دالة احصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١) في المقارنة بين المستوى المرتفع والمتوسط لصالح الطالبات اللواتي كان لديهن مستوى التنظيم الانفعالي مرتفع.

وتأتي تلك النتيجة متسقة مع نتيجة الفرض الثاني والتي أسفرت عن وجود علاقة موجبة بين التنظيم الانفعالي ودافع الإنجاز مما يترتب عليه وجود فروق في الدافعية تبعاً لمستويات التنظيم الانفعالي لصالح المستوى المرتفع. ويدل ذلك على أن الطلبة الذين لديهم القدرة علي السيطرة على مشاعرهم وانفعالاتهم وتخلصهم من الانفعالات السلبية اثناء تفاعلهم يكونون أيضاً لديهم الرغبة في إنجاز مهمات صعبة والتغلب على العقبات في المواقف الأكاديمية والدراسية.

❐ توصيات الدراسة

١. تضمين المقررات الدراسية على تدريبات وأنشطة تسهم في تنمية ورفع مستوى التنظيم الانفعالي.

٢. عقد ورش عمل وندوات للطلبة الجامعيين لتوظيف استراتيجيات التنظيم الانفعالي بفعالية في مختلف المواقف الجامعية.

٣. تقديم دورات تدريبية في استراتيجيات التنظيم الانفعالي للقائمين على العملية التعليمية من معلمين ومدراء وأساتذة.

المـراجـع

أحمد، إبراهيم.(٢٠٠٥). **الاستراتيجيات الدافعية للتعلم وعلاقتها بمستوى الذكاء والمناخ التعليمي**

والنوع لدى طلاب المرحلة الثانوية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنصورة

اسليم، يوسف. (٢٠١٧). **التفكير الإيجابي وعلاقته بالتنظيم الانفعالي لدى عينة من خريجي الجامعات الفلسطينية.** رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، فلسطين.

باهي، مصطفى حسين، و شلبي، أمينة. (١٩٩٨). **الدافعية نظريات و تطبيقات.** القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

البراهمة، نسرين. (٢٠١٧). **التنظيم الانفعالي وعلاقته بقلق الاختبار لدى طلبة جامعة اليرموك.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.

بقوش، زينب. (٢٠١٦). **الاتزان الانفعالي وعلاقته بأنماط التفكير لدى طلاب بعض الجامعات السوادنية.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان، السودان.

بلحسيني، وردة. (٢٠١٧). استراتيجيات تنظيم الانفعالات. **فكر وإبداع.** ١١١، ١٨٣-٢٠٨.

جولمان، دانييل. (٢٠٠٠). **الذكاء العاطفي،** (ترجمة ليلى الجبالي). الكويت: مطابع الوطن.

خليفة، عبد اللطيف محمد، وعبد الله، معتز سيد. (٢٠١١). **الدوافع والانفعالات.** الرياض: دار الزهراء.

خليفة، عبد اللطيف محمد. (٢٠٠٠). **الدافعية للإنجاز.** القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

خليفة، عبد اللطيف محمد.(٢٠٠٦). **مقياس الدافعية للإنجاز.** القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر .

درويش، ناجي محمد. (٢٠٠٦). **مدخل في علم النفس وتطبيقاته التربوية.** د.ن.

الزيات، فتحي مصطفى. (٢٠٠٤). **سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي والمنظور المعرفي.** سلسلة علم النفس المعرفي (٢). القاهرة: دار النشر للجامعات.

السرحا، محمد ذياب. (٢٠١٦). **الكفاءة الذاتية ودافعية الإنجاز والتعلم المنظم ذاتيا كمتنبئات بالتسويف الأكاديمي لدى طلبة جامعة ال البيت.** رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة اليرموك، الأردن.

سرحان، سهير.(٢٠١٥). **الدافعية للتعلم والذكاء الانفعالي وعلاقتهما بالتحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الاعدادية بغزة.** رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الازهر، غزة.

السيد، عبد المنعم. (٢٠١٢). الاسترتيجيات المعرفية في تنظيم الانفعال وعلاقتها بأعراض القلق والاكتئاب لدى المراهقين والراشدين. **مجلة التربية جامعة الأزهر -مصر.** ١٥١ (٣)، ٦٥٩-٦٩٣.

الضبع، فتحي، وشلبي، يوسف. (٢٠١٥). الاستراتيجيات المعرفية لتنظيم الانفعال كمتغير وسيط بين الكف المعرفي والأعراض الاكتئابية لدى طلاب الجامعة. **مجلة كلية التربية- جامعة الإسكندرية.** ٢٥(٣)، ٢٣١-٣٠٥.

عبد الخالق، أحمد، والنيال، مايسة. (١٩٩١). الدافع للإنجاز وعلاقته بالقلق والانبساط. **دراسات نفسية**- القاهرة، ٤، ٦٣٧-٦٥٣.

عثمان، فاروق، ورزق، محمد. (٢٠٠٢). **مقياس الذكاء الانفعالي مفهومه وقياسه.** القاهرة: دار الفكر العربي.

عياش، ليث. (٢٠١٦). التنظيم الانفعالي لدى طلبة الجامعة. **مجلة كلية التربية الأساسية الجامعة المستنصرية العراق**، ٩٥، ٦١٣- ٦٣٨.

الكناني، ممدوح عبد المنعم، والكندري، أحمد محمد. (١٩٩٢). **سيكولوجية التعلم وأنماط التعليم.** الكويت: مكتبة الفتح للنشر والتوزيع.

محمد، محمد جاسم. (٢٠٠٤). **علم النفس التربوي وتطبيقاته.** عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع.

مظلوم، مصطفى. (٢٠١٧). تنظيم الانفعال وعلاقته بالأليكسيثيميا لدى عينة من طلاب الجامعة: دراسة سيكومترية كلينيكية. **دراسات عربية في التربية و علم النفس.** ٨٢، ١٤٣-٢١٢.

مغربي، عمر. (٢٠٠٧). **الذكاء الانفعالي وعلاقته بالكفاءة المهنية لدى عينة من معلمي المرحلة الثانوية في مدينة مكة المكرمة.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى.

منصور، عبد المجيد سيد، التويجري، محمد عبد المحسن، و الفقي، إسماعيل محمد. (٢٠٠٥). **علم النفس التربوي.** ط. ٤. الرياض: مكتبة العبيكان.

موراي، إدوارد (١٩٨٨). **الدافعية والانفعال.** ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة. القاهرة: دار الشروق.

يعقوب، حيدر. (٢٠١١). التنظيم الانفعالي للطلبة المتميزين في محافظة ديالي. **المؤتمر العلمي العربي الثامن لرعاية الموهوبين المتفوقين-الأردن.** ٢، ٤٤٩-٤٧٦.

يونس، محمد. (٢٠٠٤). مبادئ علم النفس. عمان: دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع.

Al, Badareen, G. (2016). Cognitive emotion regulation strategies as predictors of academic achievement among University Students. **Journal of Educational and Psychological Studies**.10 (4), 680-686.

Albert, T. (2005). Dictionary of Psychology. New York: American Publisher.

Alen, P. (2005). **Social Psychology**. Toronto: Toronto press.

Boss, T., Pontier, M., Treur, J. (2007). **A Dynamical system modelling approach to Gross' model of emotion regulation.**Vrije University Amsterdam.

Cisler, J. & Olatunji, B. (2012). Emotion regulation and anxiety disorders. **Current Psychiatry Reports.** 14, 183-187.

Cisler, J., Olatunji, B., Feldner, M., & Forsyth, J. (2010). Emotion Regulation and the Anxiety Disorders: An Integrative Review. **J Psychopathol Behav Assess.** 32(1), 68–82.

DeCuir-Gunby, J., Aultman, L., Schutz, A. (2009). Investigating transactions among motives, emotional regulation related to testing, and test emotions. **Journal of Experimental Education**. 77, 409–436.

Dora, A. (2012). **The contribution of Self-controlm Emotion Regulation, Rumination, and Gender to Test Anxiety of University**

Students. A thesis Submitted to the Graduate School of Social Scienes of Middle East Technical University, Turkey.

Fried, L., & Chapman, E. (2012). An investigation into the capacity of student motivation and emotion regulation strategies to predict engagement and resilience in the middle school classroom. **Australian Educational Researcher.** 39(3), 295-311.

Garnefski, N., & Kraaij, V. (2007). The cognitive emotion regulation questionnaire psychometric features and prospective relationships with depression and anxiety in adults. **European Journal of Psychological Assessment.** 23(3), 141–149.

Gratz, K., & Roemer, L. (2004). Multidimensional assessment of emotion regulation and dysregulation: Development, factor structure, and initial validation of the difficulties in emotion regulationscale. **Journal of Psychopathology and Behavioral Assessment.** (26)1, 41-54.

Gross, J. (1998). The Emerging field of emotion eegulation: An integrative review. **Review of General Psychology.** 2(3), 271-299.

Gross, J. (1999). Emotion regulation: Past, present, future cognition and emotion. **Cognition an Emotion.**13(5), p. 551-573.

Gross, J. (2002). Emotion regulation affective, cognitive, and social consequences. **Psychophysiology.** 39(3), 281-291.

Gross, J. (2007). **Regulation of emotion, Handbook of emotion**. New York: Guilford Press.

Gross, J., & John, O. (2003). Individual differences in two emotion regulation processes: Implications for affect, relationships, and well-being. **Journal of Personality and Social Psychology.** 85, 348–362.

Gross, J., Levenson, R. (1993). Emotional Suppression: Physiology, self-report, and expressive behavior. **Journal of Personality and Social Psychology.** 64(6), 970-986

Han, S. (2009). **Emotion regulation, coping, and attachment in bingeing behaviors.** Unpublished Ph. D. Thesis, Purdue University.

Jazaieri, H., Morrison, A., Goldin, P., & Gross, J, (2015). The role of emotion and emotion regulation in social anxiety disorder. **Current psychiatry reports.** 17(1), 531-540

Koole, S., Van Dillen, L., & Sheppes,G. (2010). **The self-regulation of emotion.** New York: Guilford Press.

Mayer, J., & Salovey, P. (1995). Emotional intelligence and the construction and regulation of feelings. **Applied and Preventative Psychology.** 4, 197 - 208.

Omran, M.(2011). Relationships between cognitive emotion regulation strategies with depression and anxiety. **Open Journal of Psychiatry**.1, 106- 109.

Putnam, K. & silk, K. (2005). Emotion dysregulation and the development of borderline personality disorder. **Development and psychopalthology.** 17, 899 - 925.

Saarni, C. (1999). **The development of emotional competence**. New York: The Guilford press.

Som'eh, S., Aghdam, J, & Nosort, H.(2015). The Role of the Strategis of Emotion Regulation in predicting Test Anxiety. **Applied Research Educational psychology**. 2(1)3, p. 29-40.

Vail, p. (2005). **Learning as a way of being : strategies for survival in a world of permanent white water.** San Francisco : Jossey-Bass.

Vitello- Cicciu, J. (2003). Innovative leadership through emotional intelligence emotional intelligence. **Nursing Management.** 34(10), p. 28-33.

Emotional Regulation and its Relation to Achievement Motivation in Sample of Students at Umm Al- Qura University

Abeer Alsabban, Samah Alsulami, Hiba Al-Ansari

Abstract. the present study aims to reveal the level of emotional regulation and its strategies in sample of students at Umm Al- Qura University. Also, It aims to recognize the relationship between emotional regulation and its strategies and achievement motivation, and reveal the differences in achievement motivation according to the levels of emotional regulation. The sample consisted of (147) students at Umm al-Qura University from various specialties, have applied the emotional regulation scale of Gross & John (2003), the achievement motivation scale of Al- Sarha (2016). The study's results indicated that there is average level of emotional regulation in sample and the most common strategy is reappraisal then suppression. The results also showed that there is a positive statistically significant relationship between emotional regulation and its strategies and achievement motivation. Also, There are statistically significant differences in achievement motivation and its dimensions according to the levels of emotional regulation in favor of high level. According to the results the study recommended a number of recommendations.

Contents
English Section

Page

- «Attacking public property - pictures and rulings» A Comparative Jurisprudence Study
  Nawal Saeed Yahya..... 30
- Modern Concepts Of Alternative Penalties To Discretionary Judgments
  Anood Mohammad Alkhudairi..... 62
- Pay attention in light of the different Quranic readings and its explanatory connotations
  Fahad Abdelmonaim Assilmi..... 91
- The position of Imam Ibn Hazm Al-Andalusi on suspicion of distorting the Koran when Shiites
  Fahd bin Mohammed bin Abdulrahman Al Qurashi..... 112
- The textual thresholds in the anecdotal set «Tomorrow Comes» by Sharifa AlShamlan
  Fawaz bin Abdulaziz Allaboun..... 137
- A comparaive study of Two Scholars from Taif
  Ahmad Al-Hilali..... 170
- Abulrazzaq Saud Al Mana (1937-2016) His life and Literature
  Abdullah Abdulrahman Alhaidary, Abulrazzaq Saud Al Mana..... 191
- Literary Recognition and Self-image Construction: Saudi Women Writers as an Example
  Abdullah H. Alfauzan..... 215
- Emotional Regulation and its Relation to Achievement Motivation in Sample of Students at Umm Al- Qura University
  Abeer Alsabban, Samah Alsulami, Hiba Al-Ansari..... 248

■ **Editorial Board** ■

Prof. Dr. Ahmed Mohamed Azab aazab@ kau.edu.sa	Editor in Chief
Prof. Dr. Abdul Rahman Raja Allah Alsulami aralsulami@kau.edu.sa	Member
Prof. Dr. Mohamed Salih Alghamdi Msalghamdil@kau.edu.sa	Member
Prof . Dr. Amal Yahya Alshaikh Ayalshaikh@kau.edu.sa	Member
Prof . Samia Abdallah Bukhari Sbukare @kau.edu.sa	Member
Prof . Zakaria Ahmed El-sherbeny zalsherpeny @kau.edu.sa	Member
Prof . Nuha Suliman Alshurafa Nalshurafa@kau.edu.sa	Member
Dr . Zainy Talal Alhazmi Zalhazmi@ kau.edu.sa	Member
Dr . Suliman Mustafa Aydinn slaydinn@hotmail.com	Member
Dr . Abdul Rahman Obeid al-qarni aoalqarni@ kau.edu.sa	Member

King Abdulaziz University Press

JKAU/ Arts and Humanities, **28.3**, 248 Pages (2020A.D.)**ISSN : 1319-0989**
Legal Deposit 14/0294

Journal of
KING ABDULAZIZ UNIVERSITY
Arts and Humanities

Volume 28 Number 3

2020 A.D.

Scientific Publishing Center
King Abdulaziz University
P.O. Box 80200, Jeddah 21589
Saudi Arabia
http://spc.kau.edu.sa

IN THE NAME OF ALLAH,

THE MERCIFUL,

THE MERCY-GIVING